

نبيل محمد رشوان
الإسلام السعودى
دور السعوديين فى إفساد دين المسلمين

نبيل محمد رشوان

الإسلام السعودى

دور السعوديين في إفساد دين المسلمين

عين الإسلام

المشروعان يتواجهان من جديد

رياح الاستنارة
تهب من مصر

٣

في الوقت الذى كانت فيه الثورة الفرنسية تشعل الثورة فى كل أوروبا، وقيم العصور الوسطى تتهاوى، وقيم احترام العقل والحرية والمساواة تصرخ بها أفواه الثوار والشعراء والفلاسفة، فى الوقت الذى كانت فيه مصر تبنى مشروعها الحضارى للنهضة، والذى تأثر بكل الفوران والجيشان الحادث فى أوروبا، فى الوقت الذى كان رفاعة الطهطاوى يقرأ لمونتسكيه وروسو ويترجم أهم إنتاج الثورة الفرنسية العقلى ليحدث به زلزالا ثقافيا هائلا فى المجتمع المصرى، فى الوقت الذى كان محمد على باشا ينشىء فيه مشروعه الحضارى لنقل مصر إلى العصر الحديث، معتمدا على مشايخ الأزهر العظام الذين شعروا بنبض العصر، وأرادوا أن يُلحقوا المسلمين به، أمثال الشيخ الجبرتى والشيخ العطار والشيخ الخشاب، الذين أستطاعوا أن يضعوا الأساس العقلى لحركة النهضة المصرية فى العصر الحديث ـ كانت مصر بحسها الحضارى المرهف تعلم وتحس أن العصور الوسطى تتقوض وعصراً جديداً يتخلق فى الأفق وأن هناك ثورة عارمة تشتعل فى أوروبا تضرب بمطارقها وكلمات فلاسفتها الثواركل أساسيات الدنيا القديمة: الدول الدينية، سلطة الملوك المقدسة، سلطة البابوات المقدسة، حقوق النبلاء المقدسة.

في الوقت الذى يحدث فيه كل ذلك، كانت تنشأ فى جزيرة العرب دولة من الواضح أنها لا تعلم شيئاً عما يحدث فى العالم وإن كان من الواضح أنها معادية له، أو قل خارجة عن حركة الحياة لعصرها نفسه، عصر تكسير القيود وتحديد سلطة الملوك أو

إلغائها والقضاء على الدول الثيوقراطية المقدسة والأخطر من كل ذلك أن تلك الدولة قامت على أساس من عقيدة تكفير المخالفين، فكل فرد أو جماعة أو دولة وصلتها الدعوة الوهابية ولم تؤمن بها أو تنضوى تحت لوائها دولة كافرة، أو قبيلة كافرة.

واعتبرت رؤياها المتطرفة فى فهم الإسلام هى عين الإسلام، وأى فهم أو رؤية أخرى كفر صراح. ولا مجال للحوار العاقل الرشيد، بل السيف - والسيف فقط - للمخالفين، وأخذت جيوش تلك الدولة الجامحة تغير على الدول المجاورة وتعيث فسادا فى كل ما حولها.

وأصبحت سياسة تلك الدولة المتطرفة تعتمد على فتاوى مرشدها (الروحى) محمد بن عبدالوهاب، فيعلن أن قبيلة كذا كافرة لأنها تلقت الدعوة الوهابية ولم تستجب، أى لم تخضع سياسيا. هنا تنطلق حشود المتطرفين بقيادة ابن سعود الكبير ليضم القبيلة وأملاكها له، هنا يعترف المرشد الروحى بإسلام القبيلة ويعترف بإسلام أفرادها ويحله ذبائحهم ومأكلهم ومشربهم بعد أن أصبحوا جزءاً من هذا الكيان المتطرف الجامح.

وأصبح من أهم أعمال تلك الدولة تخريج الدعاة الوهابيين الذين يبدأون فى إعادة تشكيل عقول الشبان الذين ضموا إلى المعسكرات (الجهادية) التى يقطنها المسلمون (كما أفهموهم) يتدربون على القتال ويتحرقون شوقا لملاقاة الكفار، وهم كل من هو غيرهم، بل لقد وصل الأمر إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أفتى بأن الهجرة إلى الدرعية - عاصمة الدولة - فرض عين على كل مسلم، وأن الهجرة إليها تماثل هجرة النبى (ﷺ) والمسلمين الأوائل من مكة إلى المدينة أو من ديار الكفر إلى ديار الإسلام.

ولابد أن ننتبه إلى نقطة غاية فى الخطورة، فالدولة السعودية اليوم، بما تملك من مال ورجال، روجت من خلال آلاف المطبوعات لمقولة أن الدولة السعودية عندما نشأت من خلال تحالف محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، قامت لتقضى على مجتمع الكفر والوثنية فى جزيرة العرب، وقدمت نفسها كحركة إحيائية تعيد للإسلام شبابه ونضارته، وروجت لفكرة أن عرب الجزيرة كانوا قد ارتدوا وعادوا إلى عبادة الأصنام والأوثان والأشجار، وأن السادة السعوديين جاءوا ليعيدوهم إلى الإسلام من جديد. وكل هذا لم يحدث على الإطلاق، فما تروِّج له السعودية لتبرر حكمها لجزيرة العرب، هو عين ما تروِّج له الآن جماعات الإسلام السياسى من أجل الوصول إلى حكم مصر، فهم يروِّجون نفس المقولات، فالمصريون هم عبدة الأوثان وعبدة القبور، والمجتمع المصرى مجتمع جاهلى، تماما كمجتمع السيد محمد بن سعود أثناء تأسيسه الدولة السعودية الأولى فى بدايات القرن التاسع عشر.

والواقع أن المجتمع السعودى زمن سعود الكبير كان مجتمعاً مسلماً مغموراً بالإسلام ولا تعبد فيه أوثان ولا أصنام ولكن السادة الوهابيين اعتبروا أن المسلم إذا زار ضريحاً كفر وإذا سمع غناءً أو موسيقى كفر وإذا لبس رداءً طويلاً كفر وإذا لم تتنقَّب المرأة كفرت. وكل المقولات التى نسمعها الآن فى مصر هى ما كفَّر محمد بن عبد الوهاب مجتمع جزيرة العرب على أساسه. كانت مدرسة الأزهر الدينية هى التى تغمر جزيرة العرب والفهم السمح المتحضر للإسلام هو السائد لا أكثر ولا أقل، وجاء سعود الكبير وحليفه محمد بن عبد الوهاب وقضوا على هذا المجتمع السمح (المستنير) وحطموا أركانه وأطفأوا كل مشاعله العقلية والحضارية وأنشأوا دولة يصعب تصور وجودها حتى

٦

فى حكايات ألف ليلة، دولة تكفر مواطنيها بسبب أسمائهم أو أزيائهم أو زيارتهم لقبر أو لسماعهم فاحشة الموسيقى، فقد استطاع محمد بن عبد الوهاب إنشاء منظومة تأثيم وتكفير تصعب على التصديق، فقد تصور لمسألة توحيد الله (عز وجل) مفهوما غاية فى الغرابة، أساله على كل شئ وفرد مظلته.. على كل شئ، فتوحيد الله ليس كما يفهمه المسلمون فى كل العصور هو الشهادة بوحدانية والإيمان بذلك.. كلاً...

فالتوحيد عند عبد الوهاب يشمل أسماء البشر والنباتات ـ فنبات عباد الشمس مشكلة وهابية ـ ويشمل التعبيرات التى يتفوهٌ بها اللسان ويشمل الملابس والغناء والموسيقى والعلم والفن. بناء على ذلك أصبح هناك شرك الأسماء، وشرك التعبيرات وشرك الملابس وشرك الغناء وشرك الدعاء وشرك النذور وشرك زيارة القبور وشرك قص الشعور وشرك الصور وشرك اللوحات الفنية وشرك التماثيل وشرك حلق اللحية، فقد غمرت منظومة محمد بن عبد الوهاب التأثيمية كل كيان المسلم وتخللت مسامه ودخلت تحت جلده، وهذه المنظومة الذى أنشأها عبد الوهاب فى أواخر القرن الثامن عشر مازالت تحكم المجتمع السعودى حتى الأن ومازالت هى مصدر الإلهام لكل حركات الإسلام السياسى حتى اليوم.

ولقد أنشأ ابن سعود الكبير شرطته الدينية لتراقب سلوك الناس وتطبق عليهم منظومة عبد الوهاب التأثيمية.

وكان من الطبيعى أن تكون هذه الدولة معادية للعقل ومكفرة لأهله من المتكلمين والفلاسفة، فقد اعتمدت التفسير الظاهرى للقرآن والسنة، ورفضت أى حوار بين العقل والنص الدينى، كما لو كان النص من خلق الله والعقل من خلق الشيطان.

واستمرت عربدة الدولة السعودية الأولى الثقافية والسياسية وحاولت فرض مشروعها الظلامى على العراق وبلاد الشام حتى كادت قوات الوهابيين تدخل دمشق. وهنا جاء دور مصر للحسم، فتحرك الجيش المصرى إلى جزيرة العرب واستطاع دخول الدرعية عاصمة الدولة عام ١٨١٨ وقضى على المشروع الظلامى الأول لآل سعود.

وكان من الطبيعى أن تحدث تلك المواجهة بين المشروع التنويرى المصرى زمن محمد على وبين المشروع الظلامى المضاد للعصر والمواجه والمتحدى للمشروع المصرى، فمحمد على لم يخرج لمنازلة ومواجهة تلك الدولة المتطرفة بناء على أوامر السلطان العثمانى ـ كما بدا الأمر ـ ولكنه خرج ليواجه الحركة المعوقة لمشروعه التنويرى التحديثى، بل إن علماء الأزهر هم أول من تحمس لتلك الخطوة المصرية، فهم قد أحسوا أن ما يفعله محمد بن عبد الوهاب انقلاب فى عقائد المسلمين، وأن مشروع ابن سعود / عبد الوهاب الظلامى مضاد تماما لمدرسة الأزهر الدينية، فقد أعلن عبد الوهاب ذلك صراحة بلسانه وسيوف مقاتليه، فكان علماء الأزهر ومشايخه أول من يُذبح فى كل مدينة من مدن جزيرة العرب باعتبارهم زعماء الكفر وطواغيت العصر. والواقع أن مدرسة الأزهر الدينية كانت ومازالت تمثل الفهم الدينى المتحضر والمتوازن والمستنير فى ديار المسلمين.

المشروعان يتواجهان من جديد

ومع بداية القرن العشرين حدث انبعاث للمشروعين من جديد، مشروع مصر التنويرى ومشروع السعودية المضاد للتحضر، وكأن قدر البلدين أن يكونا فى حالة مواجهة.

كانت مصر تتشكل فيها معالم الدولة الحديثة بكل جوانبها، كان البعد القومى يتشكل ويتبلور، والإحساس بأنها كيان خاص وليست مجرد جزء من كيان إمبراطورى يتأكد ويتضح، كما كان البعد المدنى يتشكل ويتحدد. فقد بدأ المصريون يدركون أن لهم حقوقاً وليسوا مجرد محكومين، وأنهم مصدر السلطة، وبدأوا يتلمسون طريقهم للمشاركة فى تلك السلطة. فقد استطاعوا منذ عام ١٨٧٩ الظفر بتحقيق مبدأ المسئولية الوزارية وإقرار الميزانية والقوانين العامة، وعرفوا مجلس شورى النواب منذ عصر إسماعيل وبدأوا يتطلعون للمزيد والمزيد، وبدأت حركة المطالبة بضرورة وجود دستور للبلاد تقوى وتشتد.

كان المجتمع المصرى فى حالة فوران وجيشان كبيرين وتجتاحه رغبة عارمة فى فك الأسر عن روحه. وهكذا وجدنا قاسم أمين يصدر كتابه الخطير تحرير المرأة عام ١٨٩٩ ثم يتبعه بكتاب المرأة الجديدة عام ١٩٠١، ووجدنا الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية يقدم تفسيره العصرى الخطير للقرآن ويترجم كتاب «التربية» لهربرت سبنسر وينضم إلى قافلة المطالبين بالدستور، ويتقدم أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد ليقدم الدعامة العقلية لحركة جيل كامل من خلال ترجمته لأرسطو[1] وكتاب روح الاجتماع وسر تطور الأمم وغيرها من أمهات الكتب الغربية.

---

(١) وأهمها «الكون والفساد والأخلاق والطبيعة والسياسة.

٩

كانت مصر فى حالة بعث حقيقى، كأن روح مصر تخرج من قمقمها، فإذا ببسطائها وفلاحيها وعمالها محل اهتمام الجميع، وهكذا وجدنا سعدزغلول يعلن بكل بساطة أنه يمثل الجلاليب الزرقاء أو الفلاحين، والدكتور هيكل يكتب زينب ويوقعها باسم (مصر فلاح)، وسيد درويش ملأ الدنيا غناءً عن الفلاحين والمراكبية والعربجية والسقايين، والمثال محمود مختار يوقف فنه للتعبير عن الفلاحين ويصنع تمثاله الخالد «نهضة مصر» ويجعل روح مصر تتجسد فى فلاحة بسيطة شامخة[١].

لقد كان الفن أحد أهم أركان المشروع المصرى للاستنارة والنهضة ولهذا لم يكن غريباً أن نرى الإمام محمد عبده أكبر الرؤس الدينية فى عصره يكتب عام ١٩٠٣ يقول (الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى، إن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الأشخاص فى الشئون المختلفة، ومن أحوال الجماعات فى المواقع المتنوعة، ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والأحوال البشرية، يصورون الإنسان أو الحيوان، فى حال الفرح والرضا والطمأنينة والتسليم، وهذه المعانى المدرجة فى هذه الألفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض ولكنك تنظر فى رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهراً باهراً).

ويعرض لحكم الشريعة فى الفنون فيدفع عنها شبهة التحريم الدينى قائلاً: (إن الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة، قد محى من الأذهان.. وبالجملة يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين، لا من وجهة العقيدة ولا من وجهة العمل[٢].

---

(١) المثال مختار - تأليف بدر الدين غازى.
(٢) الإمام محمد عبده - تأليف العقاد ص ٢٦٦ .

كذلك وجدنا قاسم أمين يشير فى كتاباته إلى أهمية الفن ويحكى لنا عن سياحته فى متحف اللوفر، ونشر فرح أنطون فى مجلة «الجامعة» فصولاً عن فلسفة الجمال عند «رسكن» وقد مهد كل ذلك الطريق لظهور مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨.

هذه بعض ملامح مشروع الاستنارة المصرى، فإذا نظرنا إلى الناحية الأخرى من البحر وجدنا عبد العزيز آل سعود يعيد إلى الحياة مشروع أسلافه المضاد للتحضر ويعيد تأسيس الدولة السعودية من جديد وعلى نفس المنطلقات التى أقام عليها أسلافه دولتهم الأولى، وهى تكفير المخالفين، ورفض العقل والاعتماد على ظاهر النص فى التعامل مع القرآن والسنة، وبالتالى تكفير الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء المعتمدين فى مناهجهم على العقل، وهكذا تم تكفير ابن سينا وابن رشد والفارابى والكندى وكل فلاسفة المسلمين، ومن الفقهاء تم تكفير أبى حنيفة ومالك والشافعى، بالإضافة إلى كل المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة، والقائمة تطول بغير نهاية.

كما اعتمد الملك عبد العزيز منظومة التأثيم التى ابتدعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وطبقها فى دولته الناشئة، وقد ترتب على ذلك أن أحدث هو وفقها، دولته انقلاباً هائلاً فى عقائد المسلمين سوف تتضح ملامحه فى فصول الكتاب التالية.

وقد أقام عبد العزيز دولته على نفس النهج الذى أقيمت به دولتهم الأولى، فقد اعتبروا أنفسهم «الجماعة الإسلامية» الوحيدة، ومن ثم فعليهم فتح بلاد وقبائل الكفار فى بادية جزيرة العرب وغير جزيرة العرب، وهكذا انطلقت كتائب الوهابيين تغزو وتفتح بلاد الكفار فى كل مدن وقرى جزيرة العرب وتدخلهم فى دين الإسلام السعودى.

كما جدد التحالف التاريخى بين آل سعود وآل الشيخ (محمد بن عبد الوهاب)

بزواجه مـن ابنة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ التى أنجبت له الأمير فيصل الذى صار ملكا فيا بعد.

واعتمدت [١] حركته السياسية العسكرية على إقامة المستعمرات المسلحة، فالمستعمرة الكبرى هى الرياض، مقر الوحى الجديد وملهمة الحركة. كما سيطر على تجمعات البدو ولقنهم مبادىء الوهابية على أنها هى عين الإسلام، وأفهمهم أن كل من ليس وهابياً أو ليس من الإخوان - كما كانوا يطلقون على أنفسهم - فهو كافر.

وأصبحت الهجرة إلى الرياض، هجرة مقدسة، لا يتم إسلام المرء إلا بها، فهى موطن الإسلام ومكة الجديدة. وكان حلم عبد العزيز الأكبر ضم منطقة الحجاز الغنية وصاحبة المكانة التاريخية ومعقل الأماكن المقدسة. وقد أضاء الإنجليز له الضوء الأخضر عام ١٩٢٦، فاكتسح جنوده المتعصبون مكة والمدينة وأعملوا القتل والتقتيل فى أهلها (الكفار) وخاصة علماء الأزهر وطلبة الأزهر حتى يقطعوا صلة السكان بكل منابع الفكر الرشيد فى دولتهم التكفيرية الفتية.

وأقام عبد العزيز لدولته نظاماً أمنياً غاية فى الصرامة يكفل له السيطرة على كل شبر فى دولته من خلال سيطرته المطلقة على سلوك أفراد شعبه منذ لحظة يقظتهم حتى يأوون إلى خيامهم فى المساء فأنشأ جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - كما فعل سعود الكبير - وأعطاها سلطات بلا حدود، فكل فرد من هؤلاء المطوِّعين - لاحظ دلالة الاسم الذى يعنى تطويع أفراد الشعب لسلطة الدولة - يمكنه أن يعتقل ويعاقب فوراً أى خارج على الفكر الوهابى، فكل مطوِّع يمتلك قائمة بأسماء رجال منطقة نفوذه، وعليه إجبارهم على أداء الصلاة فى مواقيتها وضبط واعتقال المخالفين فوراً، بل وصل الأمر

(١) يراجع في ذلك «الإسلام والعرش».

إلى المناداة على رجال المنطقة داخل المسجد من قوائم يمتلكها كل مطوع وكشف تغيب أى فرد ومعاقبته فوراً[١]، وبالطبع لا يقتصر عمل رجال الأمن الدينى على ملاحقة الناس من أجل الصلاة ولكن يمتد عملهم إلى كل مكان لتطبيق منظومة التأثيم الوهابية المعتمدة، فلابد من مراقبة لحى الرجال وإلتزامهم بالملابس الشرعية والقبض على المدخنين وبائعى التبغ وتكسير الآلات الموسيقية والقبض على بائعيها ومشتريها، ومصادرة اللوحات الفنية. وأخطر أعمال السادة المطوِّعين مطاردة النساء غير المنقبات والعمل على الفصل الكامل بين الرجال والنساء فى كل مكان. وأى مخالف يعاقب فوراً وأمام الناس، فإذا وجدوا شارب أحد الرجال كثيفاً يقصونه فوراً، كما كانوا يحملون أدوات لقص ملابس الرجال الطويلة (غير الشرعية) عندهم.

وقد اصطبغت الدولة السعودية بصبغة مضادة للعلم والحضارة فقد أفتى السادة الوهابيون بأن التليفون واللاسلكى والبريد والسيارات من البدع، وبالطبع كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار. واعتبروا الدراجة عربة الشيطان أو حصان إبليس وتسير بقوة السحر [٢]، وقد أمر الملك عبد العزيز عام ١٩٢١ بإيقاف العمل باللاسلكى الموجود فى المدنية المنورة، وعوقب خادم الملك الذى يركب الدراجة ـ عربة الشيطان ـ على أساس اعتبارها بدعة لأنها تسير بقوة السحر، والدليل على ذلك أنها لا تتوقف عن السير إذا نزل الراكب عنها[٣] وبعد مداولات ومشاورات مستفيضة أفتى علماء السعودية بأن التليفون يقوم على تشغليه جن مسلم لأنهم سمعوا من يقرأ القرآن فى الطرف الآخر فى إحدى المرات، وعلى هذا فقد أجازوا استعمال التليفون [٤]. ولكنهم استمروا فى رفض عبور الطائرات فوق بلادهم لأنها من ألاعيب الشيطان [٥].

(١) يراجع في ذلك «الإسلام والعرش».

(٢) مقدمة تاريخ العرب الحديث ـ عبد الكريم غرايبة ص ٤٢٥.

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين ـ حافظ وهبة ـ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٩.

(٤) ملوك وأمراء الدولة والدين في السعودية ـ ترجمة سيد زهران ـ ص٧.

(٥) حافظ وهبة ـ ص ٢٩٤.

وقد اعتقد علماء السعودية وأهلها من السادة الوهابيين بأن من لم يكن وهابياً ومن لم يسكن الهجر (معسكراتهم الجهادية) فهو كافر، فلا يجوز لهم أن يلقوا علية السلام أو الأكل معه ويجب شن الحرب على سكان الحضر، أى حضر لأنها بلاد الكفار لأنهم يطيلون الشارب والثياب. والوهابيون فى دولة عبد العزيز كانوا يكنون كرهاً شديداً للإفرنج - الأوروبيين - لدرجة أنهم كانوا إذا رأوا إفرنجياً فى الشارع غطوا وجوههم وأداروها عنه، وانهالوا عليه باللعنات.

وإذا تحركنا قليلا مع الدولة السعودية لوجدنا فى عام ١٩٣٠ مؤتمراً وهابياً لمناقشة السياسة التعليمية للدولة الفتية وكانت أهم قراراته رفض تعليم اللغات الأجنبية للمسلمين لاعتقاد السادة العلماء بأن تعليمها سيمكن المسلمين من معرفة دين الكفار والمشركين، وحظر تدريس الجغرافيا لأنها تفترض كروية الأرض، وتحريم تدريس الرسم لأنه محاكاة لخلق الله [١].

وكانت من أهم القضايا الوهابية المطروحة فى تلك الفترة هى صياغة الأرض أو جغرافيا البلاد وهابياً. فكما صاغوا البشر وحولوهم إلى بشر وهابيين، فعلى جغرافيا البلاد أن تخضع وتعبِّد وتصير وهابية، وهكذا هدموا بيوت الصحابة والتابعين وأزالوا القباب والأضرحة المرتفعة عن سطح الأرض ولو تُركوا لشأنهم لدمروا كل ما أقامه الفن العربى فى الجزيرة العربية ولأشعلوا فيها النار والدماء، فكم المعلومات التى فى رؤوسهم ضئيل والتفسير عقيم والفقر شديد والولوغ فى الدماء أمر شهى ومستحب تقر به العيون وتهدأ به النفوس.

---

(١) الإسلام والعرش - ص٧٣.

وقبل أن نترك مرحلة التأسيس الجديدة للدولة السعودية لابد من التنوية بأمر شديد الأهمية، يتمثل فى ظهور حركة الإخوان المسلمين بزعامة حسن البنا فى نفس الفترة الزمنية تقريبا وتسمت الحركة «الإخوان» كما كان الوهابيون يسمون أنفسهم بالضبط فليس من قبيل الصدفة ظهور حركة الإخوان المسلمين فى مصر فى أوائل العشرينات لهذا القرن ولكنه اختراق وهابى مبكر لمصر.

رياح الاستنارة تهب من مصر

ومع منتصف القرن العشرين جرت فى النهر مياه جديدة، فقد مات الملك عبدالعزيز عام ١٩٥٣ . وفى نفس الوقت تقريباً كان الظهور المدوى للرئيس جمال عبدالناصر على مسرح السياس المصرية والعربية، وأخذت تتحدد فى الأفق ملامح مشروع مصر عبدالناصر للنهضة والاستنارة لتواجه من جديد المشروع الوهابى الذى أسلمه الملك عبد العزيز لسعود ثم فيصل. إذا كانت المرحلة الأولى من المشروع المصرى (زمن محمد على) مرحلة وضع اللبنات الأولى، والمرحلة الثانية فى بداية القرن العشرين كانت مرحلة تأسيس الدولة المدنية، فإن المرحلة الثالثة – زمن عبدالناصر - كانت مرحلة زرع العقلانية فى التربة المصرية والتركيز على قضايا العدل الاجماعى.

وقد ساهم فى إبراز ملامح هذا المشروع جيل كامل جميل مشتعل بالثورة والاستنارة والرغبة فى إعادة تشكيل الحياة على نحو أجمل وأرشد وأكثر عدلاً، فانبرى الدكتور زكى نجيب محمود ينظّر لفلسفة التغيير ويدعو للعقلانية ويحاول زرعها فى التربة المصرية والعربية، وغمرنا الدكتور لويس عوض بفيض زاخر من الثقافة الأوربية الرفيعة معتمداً على مصادرها اليونانية واللاتينية الأولى، وظهرت أعمال عبد الرحمن

الشرقاوى التى تمجد البسطاء، وتحولهم إلى أبطال يحتلون صدارة العمل الأدبى وتكشف كمّ النبل والتوهج الكامن فيهم، فظهرت «الأرض» و«الفلاح» وغيرهما وظهر عمله الكبير «محمد رسول الحرية» الذى ركز فيه على الجانب الإنسانى لمحمد (ﷺ)، وكيف قاد هذا الإنسان العظيم حركة تغيير تتسم بالجسارة، وكيف أعاد تشكيل مجتمعه على أسس جديدة مفعمة بالعدل والكرامة والحرية، وقدم لنا ألفريد فرج «ليلة مصرع جيفارا» و«النار والزيتون» فغمرنا بروحه الشاعرة ومشاعره الحانية وهى تأسو جراح الثوار الحقيقيين، وكيف تتحول هذه الرقة إلى زئير يصرخ بالحرية وكرامة الإنسان فى كل مكان، وتدفق عطاء محمود أمين العالم وكامل زهيرى ود. رفعت السعيد يدعو للعلمية والاشتراكية، وقدم الشاعر محمد الفيتورى أوبراه الأفريقية عن تجار الرقيق المحدثين وأرخ صنع الله إبراهيم لمنجزات الثورة أدبياً وفنياً، وتدفق الجرح الضارب فى أعماق صلاح عبد الصبور أنيناً وشجواً نبيلاً وزهوراً طوق بها فارسه القديم. ثم واجهنا يوسف إدريس بـ «أرخص ليالى»، و«الحرام» و«النداهة» و«الفرافير» فأدخلنا تلك المساحات البكر الغنية بالألم والعوز والمأساة. جيل كامل من المبدعين كانوا رسل الثورة والحلم بالتغيير، وانهمر عطاؤهم يغير ويشكل عالماً عربياً جديداً أكثر عدلاً وأكثر عقلانية.

وسرعان ما تحددت الأمور، وانقسم العالم العربى إلى معسكرين، معسكر الاستنارة والثورة الاجتماعية بقيادة مصر، ومعسكر الرجعية والإظلام العقلى بقيادة السعودية.

وحاول المعسكر الظلامى بقيادة السعودية إيقاف مسيرة الثورة والاستنارة فكانت مؤامرة الملك سعود الشهيرة عام ١٩٥٨ التى استهدفت اغتيال عبد الناصر من خلال

ضابط المخابرات السورى عبدالحميد السراج الذى رفض مليون جنيه استرلينى ثمنا لرأس عبد الناصر وفشلت المؤامرة، ثم تدفق الذهب السعودى ليدمر مشروع الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ . ورغم كل هذه الصغائر والدنايا استمرت عواصف الاستنارة والثورة تهب من مصر لتعيد صياغة الحياة فى جزيرة العرب وتفجر طاقات الثورة الاجتماعية والسياسية فى كل مكان، فتفجرت الثورة اليمنية عام ١٩٦١، وتحركت مصر عسكرياً لتأمين الثورة، وأحدث وجود عبدالناصر فى جزيرة العرب وعلى مرمى حجر من السعودية ما يشبه السحر، وكأن الحلم الخارق يتجسد فجأة فوق أرض الواقع المفعم بالظلم والجهالة. فخرج ثوار ظفار ينادون بالحرية والعدالة، وتحركت كتائب ثوار اليمن الجنوبى لتواجه الاستعمار الإنجليزى وتشكلت الجماعات الثورية فى عقر دار السعودية نفسها، بل وصل الأمر أن انقسمت العائلة المالكة على نفسها عندما ظهر تنظيم الأمراء الأحرار بقيادة الأمير طلال بن عبدالعزيز أخو الملك فيصل[1] والذى أعلن تبنّيه لمشروع عبد الناصر فى الثورة الاجتماعية وفى اتجاهاته القومية، ثم بدأ مسلسل هروب الطيارين الأمراء بطائراتهم السعودية إلى القاهرة، وبدا فى الأفق أن قلعة الجهالة والإظلام على وشك السقوط، وأن رايات عبدالناصر سوف تخفق فى سماء المملكة خلال وقت قصير. وجاء عام ١٩٦٧ واقترب ميعاد العد التنازلى لسقوط الملك فيصل. ففى هذا العام قبلت مصر استضافة الملك سعود الذى أعلن ولاءه لمشروع عبدالناصر الثورى التقدمى بعد أن قاد فيصل حركة انقلابية ضده وأسقطه عن العرش، فلم يجد أمامه من فرصة للعودة إلى العرش إلا من خلال التحالف مع قوى الثورة داخل البيت السعودى الحاكم والشارع السعودى المشتعل بنيران الثورة ضد نظام فيصل المعادى لحركة التحرير والتقدم العربية.

(١) ضم تنظيم الأمراء الأحرار، بالاضافة إلى الأمير طلال، الأمير عبد المحسن والأمير بدر، والأمير نواف

وفى ٢٠ مارس ١٩٦٧ وجه الملك سعود كلمة إلى الشعب السعودى تحدث فيها عن تدهور الأوضاع فى السعودية إثر تورط السلطات الحاكمة فى التعاون مع الاستعمار لقمع الثورة التحررية اليمنية وطالب فيصل بإعادة البلاد للركب العربى الصحيح، واختتم كلمته بقوله (إننا نرجوا الله أن يجمعنا وإياكم فى القريب العاجل على أرض وطننا الحبيب)[(١)].

وفى ٢٣ أبريل ٦٧ سافر سعود والمشير عامر والسادات إلى اليمن. ومن شرفة القصر الجمهورى، أعلن الملك سعود اعترافه «باسم الشعب السعودى بأكمله بالنظام الجمهورى فى اليمن»[(٢)].

وفى يوم ٢٤ أبريل صرح سعود فى صنعاء بأنه ترك السعودية تجنباً لسفك الدماء، إلا أن الوضع الذى تردت إليه من وجود للمرتزقة الأجانب ووقوع للحكم تحت سيطرة الأمريكيين والإنجليز يحتم عليه أن يعيد النظر فى هذا الأمر، وأشار إلى ولاء كثير من القبائل له ورفض الشعب السعودى للوضع القائم)[(٣)].

وفى اليوم التالى أعلن إصراره على استعادة عرشه (مهما كان الثمن)[(٤)]. وقد ارتبط وصول سعود إلى مصر بسلسلة من حوادث انفجارات شهدتها السعودية، أعلن عن أولها فى منتصف ديسمبر ٦٦ وبعد ثلاثة أيام من تبادل المراسلات بين سعود وعبدالناصر، واستمرت حتى أبريل ١٩٦٧، وقد نسبت هذه الانفجارات لاتحاد شعب الجزيرة العربية الذى أعلن أنه يمثل كل طبقات المجتمع السعودى وأنه الذى فجر أجزاء التابلاين ومقر القيادة العسكرية الأمريكية فى الرياض ومبنى الأمن العام فى الدمام وأجزاء من قصرين ملكيين وجزءاً من القاعدة الجوية السعودية فى «خميس مشيط».

(١) جريدة الأهرام ٢١/٣/٦٧
(٢) جريدة الأهرام ٢٤/٤/٦٧
(٣) جريدة الأهرام ٢٥/٤/٦٧
(٤) جديدة الأهرام ٢٦/٤/٦٧

وقد اعترفت السلطات السعودية بوقوع الانفجارات، وإن نسبتها إلى عناصر يمنية دربت تدريباً مصرياً. وفى ١٧ مارس أعدمت السلطات السعودية ١٧ يمنياً بتهمة القيام بهذه العمليات[1].

ومن المؤكد أن استراتيجية عبد الناصر عام ٦٧ فى جزيرة العرب وبصفة خاصة فى السعودية (مثلت دون شك هزة عنيفة لحكم فيصل، والأهم من ذلك أن الدوائر الغربية التى نظرت لأحلام إمبراطورية عبد الناصر منذ كتب «فلسفة الثورة» فى منتصف الخمسينيات لابد أنها كانت تنظر إلى الأمور بفزع حقيق، خاصة وقد بدا واضحاً أن الملك سعود يشق طريقه إلى السعودية تحت رايات التحالف مع عبد الناصر)[2].

وهكذا قرر الغرب ضرب عبد الناصر الذى اقترب من جزيرة الكنز. وبسقوط نظام فيصل المتحالف مع الغرب، وباعتلاء الأمراء الأحرار العرش السعودى تحت رايات عبدالناصر، سوف يصبح كنز البترول الهائل فى صالح قوى التغيير الاجتماعى والثورة وسوف يُحدث كل ذلك تغييراً هائلاً فى المنطقة والعالم، إذن لابد من تدمير مشروع عبد الناصر، وهكذا تحركت الأحداث سريعاً، ففى يوم ١٣ مايو ٦٧ استقبل عبد الناصر الملك سعود، وفى اليوم التالى مباشرة بدأت الأزمة التى انتهت إلى حرب يونيو أو هزيمة يونية الهائلة.

وهكذا هُزِم مشروع عبد الناصر وانتصر المشروع الرجعى الظلامى هذا الانتصار المروِّع، وهكذا تم اغتيال الحلم الخارق بالنهضة والتنوير، ثم ظهر المنتصر السعودى على المسرح السياسى العربى بوضوح وفجاجة فى مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ ليجبر عبد الناصر على سحب قواته من اليمن، أى إبعاده عن

المملكة العربية السعودية أخطر بقعة على وجه الأرض بالنسبة للغرب. وهكذا بدأت حقبة الجهالة والظلامية تتشكل بزعامة السعودية بعد أن تم الإجهاز على مشروع عبد الناصر للنهضة والاستنارة. وبدأت السعودية ومجموعة الدول الرجعية تستأسد وتصنع منظمة خارج إطار الجامعة العربية، وبمبادرة من السعودية بالذات هى، وملك ليبيا وأمير الكويت، وهى منظمة الأوبك وذلك عام ١٩٦٨.

وقد أورد بعض الباحثين مؤشرات على بروز السعودية بعد هزيمة عبد الناصر الدرامية، فقد كانت السعودية حتى عام ١٩٧٠ تستضيف منظمة عربية واحدة، ولكنها أضافت ثمانى منظمات فى ثمانى سنوات [١].

ثم بدأت السعودية تحاول إذلال عبد الناصر والإجهاز عليه، ففى آخر مؤتمر قمة حضره عبد الناصر فى الرباط، كان يطالب بـ ١٤٥ مليون جنيه استرلينى من أجل المعركة، وأخذ فيصل يماطل مماطلة شديدة أحرجت عبد الناصر حرجاً بالغاً وكان هذا الحاكم وهؤلاء الحاكم هم الذين أغرقوا السادات بالملايين عندما نسى مشروع الثورة العربية [٢].

ثم اشترى فيصل ثورة مصر ومشروعها التنويرى كله بـ ٥٠٠ مليون دولار دفعها للسادات ليحسم الأمر ويتجه إلى أمريكا والمشروع الرجعى السعودى. وبشراء ثورة مصر ذبلت جبهة تحرير الخليج العربى وتراجع ثوار ظفار وبدأت رياح التغيير والاستنارة تخفت وتسكن وتكرس الوضع للمشروع الرجعى السعودى فى العالم العربى.

وهكذا هزمت مصر وتجربتها الفذة. وبوصول السادات إلى سدة الحكم بدأت مرحلة

(١) تأثير الثروة النفطية - د/أحمد يوسف أحمد - ص ٤١.

(٢) المرجع السابق - ص ١٢٠.

انسحاق الروح المصرية، وعملت أجهزة السادات الإعلامية على تشويه تجربة عبد الناصر العظيمة وحولت مصر إلى شعب بلا أيديولوجية، هنا تحركت الأيديولوجية الوهابية أيديولوجية القرن الثامن عشر - وبكل زخم البترول الهائل، لتملأ هذا الفراغ في مصر وكل بلاد المسلمين.

مافعله الوهابيون بعقيدة المسلمين

ومنذ هذه النقطة والكتاب، حتى نهايته، يحدد ملامح العاصفة الوهابية التى تهب علينا وتروّعنا. ففى هذا الفصل نحدد ملامح الإفساد التى أحدثوها فى العقيدة الإسلامية نفسها، ثم يليه ملمح المرأة، ثم ملمح العلم، ثم ملمح الفن، ثم ملمح غير المسلمين.

وسنبدأ بملامح الإفساد التى أحدثوها فى مجال العقيدة الإسلامية. ولعل أخطر ما فعله السادة الوهابيون فى هذا الشأن، أنهم أفسدوا التصور الإسلامى الرشيد عن الله عز وجل ثم أفسدوا صورة الرسول (ﷺ)نفسه فأحدثوا بذلك انقلاباً هائلاً فى عقيدة المسلمين.

والمسلمون يعتنقون هذه الأفكار الآن - من خلال آلاف المطبوعات التى غمروا بها بلاد المسلمين - بشكل تدريجى ولا يدركون حقيقة الانقلاب العقيدى الذى يمارس بهدوء وإصرار فى كل بلاد المسلمين، وسيصبح خلال أعوام قلائل ما يملأ صدور الناس إسلام لا علاقة له بالإسلام الذى أنزله الله على رسوله الكريم.

وسنحاول أن ندخل فى الموضوع خطوة خطوة. نقطة البداية عند السادة الوهابيين هى إنكار العقل، ومحاولة إزاحته عن طريقهم ونعته بأقبح الصفات، والتعامل مع النصوص الدينية على ظاهرها، فتعامل العقل مع النص الدينى كفر وزندقة ومروق، وإلغاؤه إيمان ورشد ووضاءة دينية. فالسادة الوهابيون كأن بينهم وبين العقل ثأراً قديماً، فوجودهم منوط بإلغاء العقل وسحقه، فلا تواجد للنور والظلمة معاً هذه إحدى بديهيات الحياة. ويحاول السادة الوهابيون تأصيل مذهبهم العقيم وزرعه فى أعماق تاريخنا الإسلامى، فيدعون أن مذهبهم هو مذهب السلف، كما لو كان السلف معادين للعقل. وهم من أجل

حصار العقل المسلم من أول لحظة يحددون عصر السلف بالقرون الثلاثة الأولى بعد بدء الدعوة الإسلامية، وبعد أن حددوا لنا من هم السلف - أو أسلافهم شخصيا - أخذوا يحددون لنا مفهوم «الخلف» أو الأجيال المارقة والخارجة عن الفهم الصحيح للإسلام. وهم يحددون الفترة الزمنية «للخلف» بالفترة التى تلت القرون الثلاثة الأولى إلى أن ظهرت الدولة الوهابية فى أواخر القرن الثامن مضلين حسب منطق وعقائد السادة الوهابيين.

ويشرح لنا أحد مشايخ الوهابية المعاصرين وهو الشيخ عيد عباسى هذه المفاهيم الأساسية عندهم والتى تشكل حجر الزاوية فى الدعوة الوهابية، فيقول: الدعوة السلفية نسبة إلى السلف والمراد بهم أهل القرون الثلاثة الأولى الخيرة. ويقابل السلف الخلف، وهم الذين جاءوا بعد هذه القرون الثلاثة. ثم يقول: ونحن نعلم أنه قد اختلفت طريقة السلف عن الخلف فى كثير من الأمور، فقد ظهرت بعد القرن الثالث أمور لم تكن، وكان ذلك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم ودخول الثقافات الأجنبية على الدولة الإسلامية.

وهذه الثقافات أثرت فى المسلمين مع الأسف، وأخذ بعض الأمراء والحكام من الذين لم يفقهوا الإسلام يعطونهم الجوائز الكبيرة من أجل ترجمة كتب هذه الأمم الأجنبية.

وبالطبع هذا خطأ فادح، فلا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم ولا إرشادهم ولا أخلاقهم ولا أى شىء من الأفكار والتصورات والقيم والسلوك من أى أمة أخرى، فالذى يذهب إلى غير حديث الوحى الذى جاء به محمد (ﷺ) فإنما يعتقد أن هدى الرسول (ﷺ) غير كاف، وأن هناك هدية آخر وخيراً آخر يمكن أن يلتمسه لدى الأمم الأخرى، وهذا مؤداه الكفر وإن كان كثيرون لا يفقهون.[1]

---

(١) الدعوة السلفية - الشيخ عيد عباسى - ص ٣:٥ .

وإذا حللنا هذا النص الخطير الذى يمثل ـ وأمثاله ـ الدعامة الفكرية للحركة السلفية الوهابية، نصل إلى الآتى:

ـ إن الدعوة الوهابية تحصر العقل المسلم داخل مساحة محدودة جداً من الزمن (مساحة السلف عندهم) ، وما جاء بعدها من إبداع عقلى دينى باطل وكفر مبين.

ـ تصادر المستقبل والحركة إلى الأمام بالنسبة للمسلمين.

ـ تدين الإبداع العقلى المسلم ولا تعتبره إثراءً لعلوم الدين ولكن مجرد إفساد وتدنيس لدين المسلمين. وعلى هذا تعتبر أزهى عصور حضارة المسلمين عصور زندقة وكفر وإفساد.

ـ تتعامل مع الدين الإسلامى كما لو كان دين العرب وليس دين كل البشر، فلا تعترف بأى إبداع عقلى لمن اختلطوا بالمسلمين فى زمن (الخلف) من فرس وروم وهنود وأتراك.. إلخ.وتعتبره كفراً، وهى بذلك تقع فى تناقض مع نفسها ، فمحدثى أهل السنة المعتمدين عند كل المسلمين الذين ألفوا الصحاح الستة فرس، إلا إذا اعتبروا الصحاح الستة زندقة، وعلوم الحديث وأسس مناهجه أقامها هؤلاء الفرس. ويمكن أن نستطرد فى هذا المجال...

ـ تدين الحركة الوهابية حركة الترجمة وتعتبرها كارثة على الإسلام، أى أن المطلوب غلق كل أبواب النور القادم من أى ثقافة أخرى.

ـ تكفر الحركة كل المتعاملين مع أى فكر أجنبى، لأن معنى ذلك أن الوحى (الإسلامى ناقص) . وهذا مفهوم غاية فى الغرابة، فمن قال إن المتعامل أو القارىء للثقافات

الأجنبية يتصور أن هدى الله ورسوله ناقص. المسألة ببساطة: لماذا لا نستفيد من ثقافات وخبرات الأمم الأخرى؟ وأين هى تلك الأمة التى تريد غلق كل النوافذ والتعامل والتحاور مع الحضارات والثقافات الأخرى، إلا إذا كانت تريد أن تندثر وتصبح نسياً منسيا؟

والسادة الوهابيون، بناء على هذا الفهم السابق، يكفّرون كل المتعاملين مع الفكر الأجنبى. وعلى هذا فكل المثقفين والمبدعين والفلاسفة والفقهاء والمحدثين المسلمين الذين استفادوا من ثقافات الأمم الأخرى مجرد كفار مارقين ابتداءً من الأشعرى حتى الدكتور زكى نجيب محمود.

إننى أركز فى هذا المقام على الأشعرى والماتريدى بالذات لأن طروحاتهما فى علم الكلام تشكل حجر الزاوية فى عقائد المسلمين وقد ارتضتها جماهيرهما طوال أكثر من ألف عام، حتى جاء السادة الوهابيون فكفّروا الماتريدى والأشعرى وفكرهما، وبالتالى أدانوا كل عقائد المسلمين بكل بساطة طوال عشرات القرون وحتى يومنا هذا. وتعالوا نتأمل هذا النص الوهابى للشيخ العثيمين: (إن هناك مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها، ومدرسة الأشاعرة والماتريدية الموجبين لصرفها عن ظواهرها فى أسماء الله وصفاته). ثم يقول: (ومن المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافاً بيناً فى المناهج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالمدرسة الأولى يقرر معلموها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، مع نفى ما يجب نفيه عن الله تعالى، من التمثيل أو التكييف، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته. وهذان المنهجان متغايران

تماماً ويظهر تغايرهما بالمثال التالي: قال الله تعالى (بل يداه مبسوطتان ينفق كي
يشاء) (المائدة ٦٤)، وقال تعالى (ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أ
اختلف معلموا المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالى لنفسه، فقال
المدرسة الأولى: يجب إبقاء معناها على ظاهره، وإثبات يدين حقيقيتين لله تعالى، ع
وجه يليق به. وقال أهل المدرسة الثانية: يجب صرف معناها عن ظاهره، ويحرم إثبا
يدين حقيقيتين لله تعالى، ثم اختلفوا في المراد بهما هل هي القوة أو النعمة.

وبهذا المثال يتبين أن منهاجي أهل المدرستين مختلفان متغايران، ولا يمكن بعد ذ
التغاير أن يجتمعا في وصف واحد، هو أهل السنة. إذن فلابد أن يختص وصف أ
السنة بأحدهما دون الآخر. ويتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصاً بالمدرسة الأولى
يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جور، وجمع بين الضدين
والجور ممتنع شرعاً، والجمع بين الضدين ممتنع عقلاً) [١]

أي أن العيثمين قالها ببساطة، أن كل المسلمين عدا الوهابيين أهل المدرسة الأولى
ليسوا من أهل السنة وكافرون ومؤولون.. إلخ.

ثم يقول الشيخ العثيمين: (والمقصود بيان أن وصف (أهل السنة) لا يمكن أن يعط
لطائفتين يتغاير منهاجهما غاية التغاير، وإنما يستحقه من كان قوله موافقاً للسنة فقط
ولا ريب أن أهل المدرسة الأولى (غير المؤولين) أحق بالوصف المذكور من أهل المدرسة
الثانية (المؤولين) لمن نظر في منهاجيهما بعلم، فلا يصح تقسيم أهل السنة إلى طائفتين
بل هم طائفة واحدة) [٢].

(١) فتاوي العقيدة ـ ص ٤٤٠: ٤٤١.
(٢) فتاوي العقيدة ـ ص٤٤٢.

والمسألة ليست مسألة طروحات وأفكار الأشعرى والماتريدى ورفضها وتكفير معتنقيها، وهم كل المسلمين فى العالم عدا الوهابيين، فهناك ما هو أسوأ وأخطر من ذلك، فإن ما تقدمه الآن السعودية ومدرستها الوهابية على اعتبار أن ذلك هو مذهب أهل السنة والجماعة وتملأ به ديار المسلمين من خلال ملايين الكتب وملايين الأشرطة (الكاسيت) وآلاف الدعاة المحليين الذين يُستقدمون إلى السعودية تحت عشرات المسميات ويعودون لنا محملين بالفكر الوهابى. إن ما تقدمه السعودية اليوم على اعتبار أنه يمثل مذهب أهل السنة الصحيح والوحيد والمعترف به إنما هو إفساد كامل لعقائد المسلمين، وسأدخل فى الموضوع بشكل مباشر ومحدد.

الله عند السادة الوهابيين

إن أخطر مفاهيمنا الإسلامية مفهومنا عن الله عز وجل، فنحن - كمسلمين عقلاء وراشدين - نفهم أن الله عز وجل «ليس كمثله شيء» فأى تصور لله تقليل من قيمته ومكانته السامقة، أو كما قال أحد الفلاسفة، عند الله الصمت أبلغ من أى كلام، فأى كلمة نصف بها الله تقليل من قيمته العظيمة والرائعة، ونحن كمسلمين عقلاء راشدين نفهم أن الله أعظم وأجل من أن يكون له مكان محدد أو أن وجوده مرتبط بزمان محدد، فالله عز وجل فوق المكان والزمان، فالمكان والزمان مفاهيم أرضية نسبية مرتبطة بالبشر، أما الله عز وجل فهو فوق كل ذلك. وبما أن الله عز وجل يند عن المكان والزمان فمصطلح فوق أو تحت، أو الفوقية أو التحتية لا معنى لهما بالنسبة إلى الله عز وجل، فإذا كانت هذه المعانى نسبية بالنسبة إلى البشر أنفسهم، فما بالك بالله خالق الوجود كله.

هذا هو تصور المسلمين فى كل مكان وفى كل زمان عن الله عز وجل، وهو التصور الذى استطاعت مدرسة الأزهر الدينية أن تحافظ عليه وتصونه طوال مئات السنين.

وجاء السادة الوهابيون وقدموا لنا تصوراً للذات العلية ما أنزل الله به من سلطان، فالله - عز وجل - عندهم، له عينان وقدمان ويدان وكلتا يديه الاثنتين يمين، لأن اليد اليسرى يعتورها دائماً النقص، والله فوق النقص. وحددوا لله بعض أنواع السلوك (حاشى لله)، فهو ينزل السماء الدنيا كل ليلة فى وقت معين، ويضحك، ويهرول، وينظر كل يوم عدداً محدداً من النظرات فى اللوح المحفوظ، وأنه (فوق) جالس على عرشه.

وللفوقية عندهم أهمية قصوى فسيادتهم لا يعلمون أن الله عز وجل فوق الفوقية والتحيتة جميعاً، فالله أجل من كل هذه المعانى الأرضية الساذجة التى تتسربل بها فى دنيانا الفانية. والأغرب من كل ذلك أن من لا يؤمن بما يقولون عن الله كافر خالد فى النار، فهم لا يقولون - كالعقلا - هذه رؤيانا وتصورنا، قد نصيب وقد نخطئ، ولكنهم يقولون بكل غلظة، هذا هو صحيح الدين أو عين الدين ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر خالد فى النار.

وسأركز على فكرة المكان وعلاقة الله - عز وجل - بالمكان لأهمية هذه النقطة عند السادة الوهابيين، فنحن نقول ببساطة وحزم «الله نور السماوات والأرض» أى أن الله فى كل مكان، فالله (هو) (الروح) العظيم الذى ينساب فى الوجود كله.

ونأتى إلى السادة الوهابيين ونصوصهم ونرى ماذا يقولون، يقول الشيخ محمد صالح العثيمين أحد أهم شيوخ المؤسسة الدينية الوهابية بالحرف الواحد: (من قال «إن الله فى كل مكان» وأراد بهذا ذاته، فهذا كفر فالله تعالى على كل شيء وأنه فوق السماوات مستوى على عرشه)[١].

يقول الشيخ العثيمين: (وأما قولهم «إن الله تعالى فى قلب المؤمن» فهذا لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنة رسوله (ﷺ) وهو أيضاً على إطلاقه باطل، فإنه إن أريد به أن الله تعالى حالٌ فى قلب العبد فهو باطل قطعاً)[٢].

ولكن لماذا يرفض السادة الوهابيون القول بأن الله فى كل مكان أو أن الله فى قلب المؤمن كما يقول كل المسلمين فى كل العصور؟ السبب يرجع لاعتقادهم أن لله (مكاناً)

---

(١) فتاوى العقيدة - ص٨٧ .
(٢) فتاوى العقيدة - ص٨٦ .

معيناً فوق خلقه، ويفسرون ما ورد في القرآن والسنة في هذا الشأن بشكل حرفي ب
أن الله عز وجل له مكان محدد فإن حركته - حاشا لله - تبدأ من هذا المكان المحدد إلى
عرشه. وإذا قلنا لهم «وسع كرسيُّه السماوات والأرض» وهي كناية عن أن هذا العرش
هو الوجود كله، أصمُّوا آذانهم وقالوا بل له مكان محدد فوق عباده، وتحركوا خطوة أبعد
من ذلك وقالوا أنه - عز وجل - ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في وقت محدد هو الثلث
الأخير من الليل، لأنهم فسروا الحديث الشريف التالي تفسيراً حرفياً، والحديث يقول
(يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير
فيقول : من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) وبهذا
قلنا لهم أن هذا نزول مجازي - مع افتراض صحة الحديث، والحديث كما يعرف أهل العلم
من أحاديث الآحاد - رفضوا منطقنا وكفَّرونا، وقالوا بل ينزل نزولاً حقيقياً، حيث يقول
الشيخ العثيمين: ثبوت النزول لله سبحانه وتعالى، لقوله (ﷺ): «يتنزل ربنا» والنزول
من صفات الله الفعلية، لأنه فعل وهذا النزول - نزول الله نفسه - حقيقة، لأن
الرسول (ﷺ) أضافه إلى الله [1].

وبما أن الله عز وجل ينزل نزولاً حقيقياً كل ليلة وفي وقت محدد بعينه، فقد ترتب
على ذلك إشكاليات أوقعوا أنفسهم فيها، فوجدناهم يملأون مئات الصفحات في كتبهم
الوهابية وتمتلىء صحفهم السعودية بعشرات الاستفسارات عن هذا النزول المقدس اليومي
وما يثيره في نفوسهم من تساؤلات أغرب من الخيال، فتجدهم يتساءلون كيف ينزل الله
(عز وجل) إلى السماء الدنيا كلها، بينما الليل لا يغطي سوى أحد نصفيها؟!

وبالطبع يحاول السادة الوهابيون حل هذه الإشكالية التي أوقعوا أنفسهم فيها بلا

(١) فتاوي العقيدة - ص ٦٢، ٦٣.

جدوى، ويحاول الشيخ العثيمين، من صفحة ٦٢ حتى ٨٠ فى مجلده الضخم فتاوى العقيدة، حل هذه الإشكالية، ولكن بلا طائل.

وتتتابع الانحرافات الدينية والعقلية عند السادة الوهابيين فنجدهم يتساءلون: هل يخلو «العرش» من الله عز وجل عندما ينزل كل ليلة فى الثلث الأخير إلى السماء الدنيا؟ وتسمع أغرب الفتاوى وأسوأ الانحرافات عند الخوض فى هذه المسائل الشائكة والتى لم يسألها قبل الوهابيين أحد من المسلمين.

ومسلسل القبائح لا ينتهى، فتراهم يتساءلون هذا السؤال الغريب: «عندما ينزل الله السماء الدنيا هل تقلّه السماء؟» وبالطبع تختلف فتاواهم القشيبه فى هذا الموضوع، وسأطلعكم على ما قاله الشيخ العثيمين فى هذا الشأن: هذا لا يكون، لأنك لو قلت إن السماء تقله لزم أنه يكون محتاجاً إليها، كما يكون الإنسان محتاجاً إلى السقف إذا أقله، ومعلوم أن الله غنى عن كل شىء، وأن كل شىء محتاج إلى الله، فإذاً نجزم بأن السماء لا تقله، لأنها لو أقلّته لكان محتاجاً إليها وهذا مستحيل على الله عز وجل) (١)

والعجيب أنهم صنعوا المشكلة بتفسيرهم الحرفى لنص الحديث الشريف وغرقوا فى متاهات دينية وعقلية بلا أى مبرر من عقل أو شرع. ولكن الإشكاليات لا تنتهى والتساؤلات حول هذا النزول المقدس تحاصر العقل السعودى، فتراهم يتساءلون: هل السماء الثانية فما فوقها تكون فوقه - عز وجل - إذا نزل إلى السماء الدنيا؟

ويجيب الشيخ العثيمين: «لا ، ونجزم بهذا لأننا لو قلنا بإمكان ذلك لبطلت صفة العلو، وصفة العلو لازمة لله، وهى صفة ذاتية لا تنتفى عن الله، ولا يمكن أن يكون

(١) فتاوي العقيدة - ص ٦٥.

شيء فوقه». حينئذ يبقى الإنسان مبهوتاً، كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا ولا تظل ولا تكون السماوات الأخرى فوقه؟ هل يمكن هذا؟ الجواب: «إذا كنت أيها الإنسان منبهتاً من هذا، فإنما تنبهت إذا قست صفات الخالق بصفات المخلوق، صحيح أن المخلوق إذا نزل إلى المصباح صار السطح فوقه، وصار سطح المصباح يقلّه، لكن الخالق لا يمكن أن يقاس بخلقه، فلا تقل: كيف؟ ولم؟»[1]

وإذا قال المفسرون غير الوهابيين في شأن حديث نزول الله، أن الذي ينزل أمر الله أو رحمة الله، أو ملك من ملائكة الله، وبالطبع هذا أقرب إلى المنطق والعقل والدين وبهذا التفسير تحل كل هذه الإشكاليات التي أوقع الوهابيون أنفسهم فيها. فهل يقتنع السادة الوهابيون بذلك؟ كلا لم يقتنعوا ورفضوا كل هذه التفسيرات التي قال بها علماء أجلاء، بل واعتبروا هذه التفسيرات تحريفاً للكلم عن موضعه، وهكذا وجدنا الشيخ العثيمين يقول مهاجماً هؤلاء المفسرين الراشدين: «هذا تحريف، ولا نقول هذا تأويل، فالقول بأن مثل هذا التحريف تأويل تلطيف للمسألة، وكل تأويل لا يدل عليه دليل فهو تحريف، نقول هذا التحريف لا شك أنه باطل، فإذا قلنا إن الذي ينزل أمر الله في ثلث الليل، فمقتضاه:

أولاً: أنه في غير ثلث الليل لا ينزل أمر الله، وأمر الله نازل في كل لحظة «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه» (السجدة: ٥).

ثانياً: أمر الله ماينتهي بالسماء الدنيا فقط (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) فبطل هذا التأويل»[2].

(١) فتاوي العقيدة ـ ص ٦٥.

(٢) فتاوي العقيدة ـ ص ٦٨.

ثم يهاجم الشيخ العثيمين المفسرين الذين يقولون أن الذى ينزل من السماء رحمة الله وليس الله جل جلاله نفسه فيقول: (إن رحمة الله تنزل كل لحظة، ولو فقدت رحمة الله من العالم لحظة لهلك، إذن ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط.

ثم يصرع الشيخ العثيمين المفسرين الراشدين قائلاً ومفحماً إياهم: يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول: من يدعونى فأستجب له.. إلخ ويجيب: الجواب لايمكن أن تقول رحمة الله: من يدعونى، ولا يمكن أن يقول أمر الله: من يدعونى، فالذى يقوله هو الله عز وجل).

هل ترون سذاجة الشيخ فى الرد والنابعة من فهمه «الحديث» على ظاهر ألفاظه. وعلى هذا فالذى يتكلم وينادى هو الله عز وجل شخصياً، والسبب المفحم الساحق: أن رحمة الله أمر الله لا يستطيعان النطق والكلام!!

ويستمر الشيخ فى معركته انتصاراً السادة الوهابيين للحديث الشريف فيقول: كذلك إذا قيل: إن الذى ينزل ملك من ملائكته (عز وجل)، نقول: الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يمكن أن يقول: من يدعونى أبداً، لأنه لو قال الملك «من يدعونى» صار من دعاة الشرك، لأن الذى يجيب الداعى إذا دعاه هو الله عز وجل، فلا يمكن للملك أن يقول هكذا، حتى لو فرض أن الله أمره أن يقول، لقال: من يدعو الله فيستجيب له، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لا يعصون الله أن يقول: من يدعونى فأستجب له، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى، أى أن يكون النازل فى الثلث الأخير من الليل ملكاً من الملائكة).(١)

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٨ - ٦٩ .

إذن فالضربة القاضية التى وجهها الشيخ العثيمين للمفسرين القائلين بنزول ملك ينوب عن الله فى مسألة النزول اليومى، هى عدم استطاعة الملك قول «من يدعونى» وإلا صار مشركاً، ونقول: ومن قال إن الملك سيقول هذه العبارة أو غيرها، إن عبارة «من يدعونى» الواردة فى الحديث، تعبر عن المعنى المراد، أى أن الله أو من ينوب عنه سيكون فى ذلك الوقت قريباً من الناس يأسو جراح قلوبهم، هذه هى المسألة ببساطة.

ويستمر الشيخ العثيمين فى حربه المقدسة ضد المفسرين الراشدين ليقول لهم، إن مسألة نزول الله كل ليلة فى وقت معلوم جزء هام من عقيدة المسلمين ومن لا يؤمن به فهو كافر، بل ويغالى فى ذلك معتبراً أن من لا يؤمن بأن الله يتكلم فى هذا الوقت من الليل بصوت مسموع فهو كافر أيضاً، فيقول الشيخ: (وفى قوله « فيقول من يدعونى فأستجب له» فى هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت، لأن أصل القول لابد أن يكون بصوت، ولو كان قولاً بالنفس لقيده الله، كما قال تعالى (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله) فإذا أطلق القول، فلابد أن يكون بصوت ثم إن كان من بعد سُمى نداءً، وإن كان عن قرب سُمى نجاء).

والقضية لا تنتهى هكذا ببساطة عند الشيخ العثيمين، فلابد أن يسمع البشر صوت الله عز وجل، وهكذا وجدنا العثيمين يقول: (إذا قال قائل نحن لا نسمع هذا القول؟ فنقول: أخبرنا به من قوله عندنا أشد يقينا مما لو سمعنا، وهو رسول الله).[1]

وتعليقى على كل ما قاله الشيخ العثيمين دفاعاً عن فهم السادة الوهابيين للحديث الشريف، أن المسألة أبسط من ذلك كثيراً....... فالقضية ليست أمر الله، أو رحمة الله

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٢ ـ ٧٣.

أو ملك من ملائكة الله، ولكن الرسول الكريم أراد أن يبسط الأمر للناس ويشعرهم أن ربهم قريب منهم، يشملهم برحمته ويقيل عثراتهم، ويتقبل توبتهم، ويؤيدهم دائما بمدد من عنده، وكل تفاصيل الحديث مجرد صورة حاول الرسول (ﷺ) توصيل هذا المعنى لهم من خلالها.

أما أن نتصور أن الله جل جلاله يهبط لنا كل ليلة وينادى علينا ثم يعود إلى عرشه عز وجل، كل هذا إساءة وتقليل لمكانة الله. ولكن السادة الوهابيين يملأون الصفحات فى شرح النزول المقدس اليومى لله، ويوقعون أنفسهم فى إشكاليات نزوله: فى أى جهة من الأرض يكون ذلك؟ وهل يفرغ العرش منه عز وجل لحظة ذلك؟ وهل السماوات السبع تكون فوقه لحظة نزوله السماء الدنيا؟ إلى آخر هذا العبث وهذا الإفساد.

والأشد سوءاً من كل ذلك، أنهم لا يقولون هذا فهمنا ونحترم أفهام علماء المسلمين الآخرين، بل يقولون هذا فهمنا ومن لم يؤمن به كافر، فى حين أن مسألة نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا ليست جزءاً من عقيدة المسلمين، وسماع المسلمين (لصوته) عز وجل ليس من تمام إسلام المسلمين، ولكنهم السادة الوهابيون الذين أفسدوا الدين وأقلقوا ضمائر المسلمين.

ويستند السادة الوهابيون على ابن تيمية بشكل واضح فى هذا الفهم الغريب للحديث الشريف السابق ذكره، ويؤكد ذلك هذا النص الذى كتبه الرحالة ابن بطوطة عن ابن تيمية. يقول النص (وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته - أى ابن تيمية - يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه، أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن

الزهراء وأنكر ما تكلم به) ثم يوضح ابن بطوطة أن الفقهاء أنكروا كلامه وانتهى أمره إلى المحاكمة فى القاهرة والسجن، حيث قضى عدة أعوام، ولم يطلق سراحه إلا بعد استرحام تقدمت به والدته إلى الملك الناصر، ويعلق د. سعد زغلول عبد الحميد، على ذلك قائلاً: إن ابن تيمية التزم بتفسير القرآن تفسيراً ظاهرياً، مما جعل كلا من الشافعية والمالكية يقفون ضده - باعتباره مجسماً). [١]

والقضية ليست قضية نزول الله إلى السماء الدنيا كل ليلة فى وقت بعينه وكلامه عز وجل وندائه على البشر، ولكن القضية أخطر من ذلك بكثير، إن هؤلاء الوهابيين قد تصوروا الله عز وجل تصوراً اقترب بهم من التجسيم! فوجدناهم يسندون إلى الله عز وجل الصفات الآتية: الفوقية، النفس، اليدين، السمع، البصر، الوجه، العين، الحياة، الكلام بصوت مسموع، وغرسه شجرة طوبى بيده، وخطه - عز وجل - التوراة بيده ، وأنه ليس بأعور، وأن كلتا يديه يمين، وأن له أقداماً وأصابع وأن له كل يوم كذا نظرة فى اللوح المحفوظ وأنه يضحك ويتعجب ويمل ويخادع ويهرول. [٢]

ومن أكثر الأمور مدعاة للحيرة، أن نجد الشيخ العثيمين يملأ صفحات مطولات من أجل إثبات أن كلتا يدى الله عز وجل يمين وأنه لا يمكن تصور وجود يد يسرى لله على الإطلاق لأن اليد اليسرى دائما يكون بها نقص والله فوق النقص. [٣]

ولتدعيم مذهبهم فى التجسيم أحيوا مشكلات تخطاها العقل المسلم منذ أكثر من ألف عام، وأعنى بذلك مشكلة القرآن أو كلام الله، أهو قديم أم حادث؟

---

(١) مجلة عالم الفكر - العدد الأول ١٩٨٠ - مقال «الحياة الدينية فى المدينة الإسلامية» ص ٧٥.
× نص ابن بطوطة عن كتاب «رحلة ابن بطوطة» - ص ٥٨.
(٢) كتاب التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية للشيخ عبدالله حميد - رئيس مجلس القضاء الأعلى بالسعودية ص ٥٤، ٥٦ ×
كتاب فتاوى العقيدة ص ٥٢، ١١١.
(٣) فتاوى العقيدة - ص ٨٩: ٩١.

وأصل المسألة، أن المعتزلة، وانطلاقاً من مذهبهم فى التوحيد والذى يشكل الدعامة الأساسية لمذهبهم الدينى كله، اعتقدوا أنه يلزم عنه نفى أزلية الصفات الإلهية، بمعنى أنهم لم يتصوروا أن يكون مع الذات الإلهية القديمة - أى الأزلية - صفات قديمة كذلك، كالعلم والقدرة والحياة وما إليها، لأن ذلك من شأنه - عندهم - أن يجعل من الوحدة كثرة؛ ولذلك فهم يرون أن الله عالم بذاته، قادر بذاته، حى بذاته.. فليس هنالك «علم» و«قدرة» و«حياة» تضاف إلى الله عز وجل، وكأنما هو شىء وصفاته شىء آخر، بل الذات الإلهية نفسها علم، وهى نفسها قدرة، وهى نفسها حياة، وهكذا؛ فإذا طبقنا هذا المبدأ على صفة «الكلام» و«البصر» و«السمع» وغيرها، انتفى أن يكون الكلام (الذى هو القرآن) قديماً، كما انتفى أن يكون لله - عز وجل - بصر وسمع بالمعنى الذى يكون به للإنسان مثلاً بصر وسمع؛ فقد أتصور الإنسان ذا بصر وقد أتصوره فاقد البصر أو أتصوره ذا سمع وغير ذى سمع، لأن أمثال هذه الصفات مصاحبة للإنسان وليست جزءاً من ذاته؛ ولا كذلك الأمر بالنسبة إلى الله تعالى، فهو - كما يقول المعتزلة - بصير بذاته سميع بذاته.

ولم تظهر أزمة فكرية فى شىء من هذا كله بقدر ما ظهرت فى مسألة «كلام» الله: أهو قديم أزلى، أم هو حادث مخلوق؟ هل كان القرآن كما نقرؤه ونسمعه موجوداً قبل وقت نزوله على النبى (ﷺ)؟ أو أنه استحدث استحداثاً وقت نزوله، ولم يكن قبل ذلك؟ قال المعتزلة إنه مخلوق حادث، وقال ابن حنبل ومن سار على نهجه، بل هو أزلى قديم.

ولقد رفض المعتزلة فكرة قدم القرآن لأن ذلك يستتبع رأيا فى التشبيه، أعنى فى تصور الله مشبهاً بالإنسان سمعاً وبصراً وإرادة، وغير ذلك؛ مما جعل الله عز وجل وكأنه إنسان كبير كل ما يختلف به عن الإنسان الصغير، أنه غير مرئى من جهة، وأنه أوسع

مكاناً وأطول زماناً من جهة أخرى؛ وهو تصور يجعل الفرق بين الله والإنسان فرقاً فى الكم لا فى الكيف[١].

المهم أن العقل المسلم تخطى كل ذلك، وتحرك إلى الأمام وضاعت ملامح المشكلة وتأصلت صورة الله المنزهة عن التشبيه والمنطلقة من معنى الآية الكريمة: «ليس كمثله شىء» واستراح العقل المسلم إلى هذا التصور الرائع لله عز وجل، حتى جاء الوهابيون وأحيوا الفتنة من جديد وقالوا إن المسلم الذى لا يقر بأن كلام الله قديم كافر وخالد فى النار!

ويستمر السادة الوهابيون فى إفساد عقائد المسلمين، فلا يتركون مساحة يقين إلا شككوا فيها وفردوا مظلة فهمهم الطفولى عليها.

فكلنا نعلم كمسلمين فى جميع أقطار الأرض، أن الرسول الكريم تنزل عليه القرآن من خلال سيدنا جبريل، ولكن السادة الوهابيين يقررون أن الرسول (ﷺ) تلقى الوحى - فى بعض الأحيان - من الله عز وجل مباشرة ويستندون فى ذلك إلى تفسير شاذ للآية الكريمة التى تقول «إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى». وقالوا إن الذى دنا فتدلى هو الله عز وجل.

ويعلق الشيخ الغزالى على هذا التفسير الشاذ الذى يحُدث صدعاً هائلاً فى عقائد المسلمين فيقول:

(القوى الذى علم الوحى، ونزل به من السماء الدنيا، وحلق به فى جو الأرض، ثم

(١) تجديد الفكر العربى - د/ زكى نجيب محمود - ص ١٢٤: ١٢٦.

اقترب به من الرسول العربى هو جبريل بداهة، ولا يحتمل السياق إلا هذا، ومع ذلك فقد جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الآحاد رواية مستغربة، أن الذى دنا فتدلى هو الله عز وجل. والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة، ومن هنا لم يكترث بها المحققون، بل جمدت فى مكانها، حتى جاء ضعفاء الفقه، فاستحيوها دون وعى.

وقد ضقت ذرعاً بأناس قليلى الفقة كثيرى النظر فى الأحاديث، يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة. ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جرىء، واعتمادهم كله على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامى المستوعب لشئون الحياة.

وقد جاء الإمام مسلم فعلق على رواية إمامه البخارى فبيَّن ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر.

إن مسلماً مضى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريك الرواى عن أنس، ثم رفض المتن وحسناً فعل. إن الخطأ فى تفسير آية النجم ـ والزعم بأن المعنى ـ دنا الجبار رب العزة فتدلى. كان مثار استنكار السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فلما سألها مسروق: يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد وقف شعرى مما قلت! أين أنت من ثلاث ؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير). (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب! ثم قرأت «وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت» ومن حدثك أن محمداً كتم أمراً فقد كذب، ثم قرأت (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من

ربك) ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين) (١).

وإذا كان السادة الوهابيون قد أفسدوا الرسالة فلابد أن يمتد إفسادهم إلى الرسول (ﷺ) نفسه. وهكذا ساهم مذهبهم الرافض للعقل - إذا جاز اعتباره منهجاً أصلاً - فى تمرير الكثير من الإسرائيليات التى بثها مفكروا اليهود وغيرهم فى ثنايا تراثنا الإسلامى من أجل تدميره من الداخل، ولم يحاولوا دراسة هذا التراث دراسة نقدية تنقيه وتغربله مما علق به من الشوائب والأدران، وهكذا وجدنا السادة الوهابيين يروجون فى خطابهم الدينى لحادثة مكذوبة تقول أن الرسول قد سُحر من خلال بعض السحرة اليهود. وهكذا وجدنا أحد أهم أقطاب مشايخ السعودية يقول (وقد ثبت أن النبى (ﷺ) قد سُحر، لكن لم يؤثر عليه من الناحية التشريعية أو الوحى، إنما غاية ما هنالك أنه وصل إلى درجة يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يكن فعله، وهذا السحر الذى وضع كان من يهودى يقال له لبيد بن الأعصم وصنعه له، ولكن الله تعالى أنجاه منه عندما جاءه الوحى بالمعوذتين فشفاه الله بهما، وقد أنكر بعض الناس أن يكون النبى (ﷺ) سُحر بحجة أن هذا القول يستلزم تصديق الظالمين الذين قالوا (إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) (الإسراء ٤٧). ولكن هذا لا شك أنه لا يستلزم موافقة هؤلاء الظالمين بما وصفوا به النبى(ﷺ) لأن أولئك يدعون أن الرسول (ﷺ) مسحور فيما يتكلم به من الوحى وأن ما جاء به هذيان كهذيان المسحور، وأما السحر الذى وقع للرسول (ﷺ)فلم يؤثر عليه فى شىء من الوحى ولا فى شىء من العبادات، ولا يجوز لنا أن نكذب الأخبار الصحيحة بمجرد فهم سيىء فهمه من فهمه) (٢).

وهكذا فتح السادة الوهابيون الباب على مصراعيه للطعن فى الرسول (ﷺ) والرسالة معاً، وضرب الدين الإسلامى فى مقتل. ولم يكتفوا بذلك بل مرر كبيرهم الشيخ

---

(١) ص ١٢٥ - ١٢٦. كشف موقف الغزالى من السنة د/ ربيع بن هادى المدخلى رئيس شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) فتاوى العقيدة - العثيمين - ص ٢٣١.

محمد بن عبد الوهاب حديثاً مكذوباً آخر، هو حديث «الغرانيق» الذى خلاصته أن الرسول الكريم قبل فى لحظة ما حلاً وسطاً مع كفار قريش على أن يعبدوا إلهه ويعبد آلهتهم، وفى إثبات هذا الحديث هدم كامل لمصداقية الرسول.

وقد استغل سلمان رشدى هذه الإسرائيليات المدسوسة فى تشوية صورة الرسالة والرسول، وقدم الرسول الكريم فى كتابه ليس كنبى يوحى إليه وإنما كرجل مسحور يعيش فى الخيال، كما اعتمد على قصة الغرانيق اعتماداً كبيراً حتى أن اسم كتابه وهو «آيات شيطانية» يقصد بها الآيات التى زعم اليهود أن الرسول (ﷺ) قد قالها مراضاة لقريش.

ولا يمكن أن أغلق ملف إفساد الوهابيين لعقائد المسلمين دون أن أنوه بما فعلوه فى نظرة وعقائد المسلمين عن العالم الآخر أو الجنة والنار. وإذا كنا كلنا كمسلمين نعتقد أن الجنة والنار فى عالم آخر لانعرف عنه شيئاً، فإذا بنا نكتشف من خلال السادة الوهابيين أن جزءاً من العالم الآخر نعرفه عز المعرفة ويدرسه العلماء فى كل أنحاء الدنيا وأقصد بذلك الكرة الأرضية التى نعيش فوقها، فقد أفتى السادة الوهابيون بأن جهنم أو نار الآخرة موجودة فى باطن الكرة الأرضية شخصياً. وتعالوا نرى ماذا قال أحد أقطابهم وهو الشيخ محمد صالح العثيمين عندما سأل: هل النار فى السماء أم فى الأرض؟ فأجاب: هى فى الأرض، ولكن بعض أهل العلم قالوا إنها فى البحار وقال آخرون بل هى فى باطن الأرض والذى يظهر أنها فى باطن الأرض، ولكن ما ندرى أين هى من الأرض بالضبط، نؤمن بأنها فى الأرض وليست فى السماء.

ولكن لا نعلم فى أى مكان هى على وجه التعيين.(١)

إذن فالخلاف بين السادة الوهابيين على مكان جهنم ينحصر فى أن فضيلاً وهابياً يرى أنها فى البحار وفصيلاً آخر يرى أنها فى باطن الأرض، ولتذهب عقائد المسلمين حول الجنة والنار إلى جحيم.

وخلاصة القول أن السادة الوهابيين قد أحدثوا انقلاباً فى عقائد المسلمين، فلم يتركوا مساحة يقين واحدة إلا وبذور الريب والشكوك وقدموا تصورات عقائدية جديدة ما أنزل الله بها من سلطان، ولعل أخطر ما فعلوه أنهم قد روجوا لتصوَر لله عز وجل يتناقض تناقضاً تاماً مع كل ما اعتقده المسلمون عن الله فى كل العصور، ورفضوا كل مقولات الأشعرى والماتريدى فى علم الكلام والتى تمثل الحل الوسط بين أهل النص وأهل العقل، والتى ارتضاها المسلمون طوال أكثر من ألف عام والتى تبناها الأزهر وشكلت حجر الزاوية فى مناهجه الدراسية فى علم الكلام، ولم يكتفوا بذلك بل اعتبروا الأشعرى والماتريدى ضالين مضلّين وكل من تبنى مقولاتهما خارجاً عن إطار الإسلام الصحيح، واعتبروا أنفسهم الفئة الوحيدة الناجية وأنهم هم بعينهم أهل (السنة) وما عداهم من المسلمين السنّيين فى جميع أنحاء العالم كفاراً مارقين.

واستمر إفسادهم ليغطى مساحات إيمانية جديدة فروجوا لمقولة أن النبى (ﷺ) تلقى الوحى - فى بعض الأحيان - ليس عن طريق جبريل عليه السلام ولكن عن طريق الله جل جلاله مباشرة، وأكدوا من الأحاديث المكذوبة حول الرسول ما أساء إلى الرسالة والرسول معاً.

وهكذا استطاعوا ابتداع عقائد جديدة للمسلمين لم يقل بها وحى الله ولا رسوله (ﷺ) ولا تعبَّد بها الصحابة والتابعين والمسلمين فى كل العصور.

---

(١) فتاوى العقيدة - ص ٥٢١ .

الفصل الثاني

منظومة التأثيم

والآن - بعد أن تكلمنا عن منطلقاتهم الفكرية والمذهب الظاهرى فى التعامل مع النصوص الدينية وإلغائهم العقل ودوره تماما، وكيف أفسد ذلك عقائد المسلمين - نوضح كيف قادهم ذلك إلى أن أظلوا كل شيء بمظلة التحريم والتكفير أو إلى منظومة التأثيم التى أدرجوا فى ثناياها وأحراشها كل دقائق حياتنا حتى أصبح هواء جزيرة العرب ملوثاً بأدران التأثيم والتكفير.

ومن نقطة البداية عندهم انطلقت سهام التكفير تحاصر المسلمين وتثخن ضمائرهم وترفض الاعتراف بإسلامهم إلا بعد عبور شراكهم الإيمانية وفخاخهم الفقهية، فلا يكفى وهابياً أن تكون مسلماً و أن تنطق بالشهادتين، فإن أمامك أهوالاً وأدغالاً عليك أن تعبرها، وإلا صرت من الكافرين عندهم.

ودوائر التكفير تبدأ باقتحام وغزو ضمير المسلم ثم تكبر وتتسع لتشمل كل جنبات الحياة، الألفاظ، الجمل، التعبيرات، لعب الأطفال، أسماء النباتات.. إلخ. دوائر تخنق الروح والعقل والإبداع وتحول الإنسان إلى كائن مكبل بأغلال غير مرئية، يخشى أن يتكلم، يخشى أن يضحك، يخشى أن يفرح بالحياة ويهنأ بالوجود.

وليت الأمر مجرد حصار فقهى فقط، ولكن هذا الحصار يدفعه ويقوده إلى دائرة الموت المقدس، إذا ما أحكم السادة الوهابيون حصارهم الدميم حوله.

ومنطقة القتل المقدس حافلة بعشرات الشراك الإيمانية التى ستوقع بالضحية مهما حاولت الفكاك.

نعود إلى نقطة البدء عندهم، أى مجرد الاعتراف بإسلام المسلم، فإذا أنت نطقت

بالشهادتين وتصورت أنك مسلم، فلا شك أنك ساذج واهم، فسيقولون لك: كونك تعترف بأن هناك إلهاً واحداً خالقاً للكون هذا «مجرد توحيد ربوبية اعترف به المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله (ﷺ) ولم يُدخلهم ذلك فى الإسلام فهم مقرون (مثلك) بأن الله هو الخالق الرازق ومجرد الاعتراف بهذا لايكون به الإنسان مسلماً».(١)

وهكذا يكتشف المسلم لأول مرة من خلال السادة الوهابيين أن كفار قريش كانوا كفاراً محترمين وموحدين بالله، ولكنهم غير مسلمين، لأنهم عبدوا الله مع اللاّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ويكتشف المسلم البرىء أيضاً أنه غير مسلم عند السادة الوهابيين لأن مجرد الاعتراف بالله مرحلة أولى من مراحل الإسلام والتوحيد، فسيجد السادة الوهابيون يصدموه قائلين: (اعلم أن التوحيد الذى دل عليه القرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات).(٢)

وعلى هذا، سيكتشف المسلم أن إقراره بوجود الله وعبادته له مجرد مرحلة من مراحل الاعتراف والإقرار بإسلامه، فهو قد عبر فقط من بوابة التوحيد أو مرحلة توحيد الربوبية، ولكن عليه أن يعبر أهوالاً حتى يتم الاعتراف به من السادة الوهابيين. وهكذا يجد المسلم نفسه أمام بوابة ثانية أشد غلظة وحراسها أشد جهامة وقتامة وهى بوابة توحيد الألوهية، وأحكام هذه المساحة التأثيمية شديدة البتر والحسم والصرامة، ويقول عنها أحد أهم دعاة الوهابية المصريين والمروجين لها فى مصر وبلاد المسلمين الدكتور يوسف القرضاوى: إنها مرحلة التوحيد العملى. وهكذا نكتشف من خلال هذا الداعية

(١) التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية - الشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالسعودية - ص ١١.

(٢) المرجع السابق - ص ١٦.

النفطى أن للتوحيد جانباً نظرياً وجانباً عملياً وقد أسموه هؤلاء السادة «توحيد الألوهية».

وهكذا أصبح إسلام المرء محل اختبار ومراقبة كل لحظة من لحظات حياته والأرسب فى مساحة التوحيد العملى، وأصبح كافراً ملعوناً، فإذا ما زار مسلم طيب القلب قبر الحسين أو السيدة زينب أو السيد البدوى تبركاً أصبح فى نظر السادة الوهابيين مشركاً من عُبّاد الأوثان والقبور وغير موحد فى مرحلة التوحيد العملى التى اخترعوها، وأصبح مثله مثل كفار قريش المقرِّين بالله والمشركين به، لعبادتهم معه اللات والعزى. والمسلمين الكفار وهابياً اليوم يعبدون مع الله الحسين والسيدة زينب والسيد البدوى أصنام وأوثان العصر.

وإذا نذر مسلم بسيط نذراً لأى ولى من الأولياء، وإذا ما احترم رئيس عمله أو رئيس بلاده أو حيًا علم دولته أصبح كافراً يعبد الطاغوت[١].

وبالمناسبة، السادة الوهابيون يطلقون علينا نحن المسلمين المصرين «القبوريون» أو عبدة القبور، فنحن عندهم مجرد كفار عبدة أوثان، ككفار قريش عبدوا اللات والعزى ونحن عبدنا الحسين والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والمرسى أبى العباس والشيخ إبراهيم الدسوقى، فنحن رسبنا فى مرحلة التوحيد العملى أو توحيد الألوهية وبالتالى كفرنا وخرجنا من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية ولا أمل لنا فى الخلاص إلا بهدم كل مقابر أولاد الرسول وآل بيته وكل الصالحين والعارفين بالله.

(١) المرجع السابق ـ ص ٣٤.

والسادة الوهابيون يعتبرون مسألة القبور مسألة جوهرية ومحورية لأنها مقر الوثنية الجديدة ومملكة الشركة والكفر الموجودة فى كل ديار المسلمين. وعلى هذا، فهم يستصرخون المسلمين قائلين: ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع - يقصدون وجود القبور - لا نجد من يغضب لله. فيا علماء الدين، ياملوك المسلمين أى رزء للإسلام أشد من الكفر، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله (أى الحسين والمرسى أبى العباس.. إلخ) وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً)(١).

وإذا عبر المسلم مرحلة توحيد الألوهية واستطاع أن يجتاز كل الجنادل والصخور ظاناً أنه سيعبر إلى الناحية الأخرى من نهر الإيمان والإسلام، سيكتشف أنه واهم وأن عليه أن يعبر من بوابة ثالثة لا تقل علواً وارتفاعاً، بوابة حافلة بشتى الشراك الوهابية المعدة للإيقاع بالمسلمين المخالفين، وأقصد بها مرحلة توحيد الأسماء والصفات أو أسماء الله عزوجل وصفاته، وهى مرحلة جديدة من مراحل التوحيد العلمى، التى ابتكرها لنا السادة الوهابيون، وفى هذا يقول لنا الشيخ حميد: (توحيد الأسماء والصفات هو اعتقاد انفراد الله عز وجل بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله (ﷺ) من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فنحن لا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد فى أسماء الله وآياته)(٢).

(١) التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية - ٣٥ .
(٢) المرجع السابق - ص ٤٢ .

لاحظ تعبير «من غير تحريف ولاتعطيل ولاتكييف ولا تمثيل»، فذلك مدخلهم إلى تكفير غير الوهابيين من المفكرين الإسلاميين. فإذا اعتبر مفكر إسلامى أن الآية الكريمة (الرحمن على العرش استوى) لاتعنى أن الله جل جلاله جلس على العرش بشكل فعلى ولكنه تعبير مجازى ليس إلا يدل على هيمنة الله على الكون كله، دخل هذا المفكر الإسلامى فى خانة التحريف أو التعطيل أو التكييف أو التمثيل حسبما يختارله السادة الوهابيون، المهم أنه أصبح كافراً عندهم.

ولاحظ تعبير (ولا نلحد فى أسماء الله وآياته) فمن خلال هذا المعنى المبثوث فى التعبير السابق صنعوا مساحة هائلة ممتدة من مساحات التكفير طوقوا بها أعناق وأفئدة المسلمين وهى مساحة الإلحاد من خلال الأسماء والشرك من خلال الأسماء والكفر من خلال الأسماء، بمعنى أن من لم يفهم أسماء الله وصفاته كما يفهمونها بالضبط أصبح كافراً بكل بساطة وهابية، فالشيخ حميد يقرر لنا من خلال نص ذكره عن أبى بكر بن خزيمة: من لم يُقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماوت، بائن من خلقه، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، وألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة)[1].

لاحظ أن الاختلاف فى تفسير صفة من صفات الله كما يحدث بين كل الفقهاء والمفسرين ـ لم يقد إلى التخطيء بل إلى التكفير والقتل بلا تردد.

وإذا كانت المرحلة الثالثة من التوحيد (الإسلام) عندهم، وهى توحيد الأسماء والصفات، قد فردت مظلتها التكفيرية على كل المفكرين والمفسرين والفلاسفة المسلمين

(١) المرجع السابق ـ ص ٤٥.

غير الوهابيين فى كل العصور. فإن السادة الوهابيين لم يحرموا عوام المسلمين من أن تشملهم هذه المظلة التكفيرية المستحدثة، وهكذا وجدنا الشيخ عبد عباسى يقول لنا بكل حزم: (إن النوع الثالث من أنواع التوحيد الذى يجهله الكثير من المسلمين ويخالفون مضمونه ويشركون بالله فيه، هو توحيد الصفات، وهو اعتقاد أن أحدا يشارك الله فى صفة من صفاته (مثل علم الغيب) وادعاد الصوفية ذلك، فحينما يعتقد إنسان أن بشراً من البشر يعلم الغيب فإنه يكون قد أشرك بالله، فتوحيد الصفات من أخطر أنواع التوحيد التى جهلها كثير من المسلمين وخالفوها، ومعروف أن مسألة التوحيد هى الفيصل بين الإسلام والكفر، فلو إن إنساناً متعبداً أعظم درجات التعبد، يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدق، ويزكى ويقوم بأنواع النوافل ويتقرب إلى الله بشتى القربات، لو أشرك فى عمره مرة واحدة واستغاث بغير الله، أو قال كلمة وصف فيها أحد المخلوقات بصفة الله، فإن كل عمله باطل وأنه مخلد فى النار إذا لم يتب من ذلك)[١].

وها هو أحد مشايخ الوهابية يقولها لنا صريحة وحاسمة أنه لو إنساناً فاضلاً خيراً يقوم الليل ويتصدق ويتقرب إلى الله بشتى القربات واستغاث مرة.. مرة واحدة بولى من الأولياء الأموات أو بإنسان صاحب نفوذ ليرفع عنه ظلماً ألم به، أصبح مشركاً كل عمله باطل ومخلداً فى النار.

وهكذا أصبح على المسلم أن يعبر أهوالاً ويخطى مفازات من الصعوبات الفكرية والفلسفية واللفظية والسلوكية لمجرد إثبات أنه مسلم وليس حتى مسلماً صالحاً ومن

(١) الدعوة السلفية - الشيخ عبد عباسى - ص ١٨، ١٩.

سقط مجندلاً فى رحلة التيه الوهابية وصولاً للاعتراف بإسلامه اقتيد إلى ساحة القتل المقدس الوهابية.

وليس بمجرد اعتراف السادة الوهابيين بإسلامك قد انتهى الأمر، فأنت قد نفذت فقط من البوابة الرئيسية، ولكنك أصبحت تتحرك وتعيش وتمارس وجودك الإنسانى وأنت مظلل بسماء سعودية تفرد عليك مساحات هائلة من المحرمات وأنواعاً مختلفة من أردية الكفر، كفر الكلمات، كفر الجمل والتعبيرات، الكفر المبثوث فى لعب الأطفال، وكفر الصور التى تخرج من شاشة التليفزيون، أو كفر الصور المعلقة على الحوائط والجدران. وثق أن رجال الأمن الدينى يحاصرونك من كل جانب لمراقبة سلوكك وانضباطك العقيدى والفقهى، فقد تلحد فى كلماتك، وقد تلحد فى تعبيراتك، وقد تلحد فى حلفك، قد تلحد فى نذرك، قد تلحد فى دعائك، قد تلحد فى مشترياتك من السوق فتشترى سلعاً مشكوك فى إطارها الدينى، وقد تخرج عن الشرع فى طريقة أكلك أو قص شعرك، وقد تتورط وتشترى قميصاً أو رداءً به رسوم لطيور، صقور أو عصافير لا يهم، أسماك أو زواحف لا يهم، لإنسان أو حيوان لا فرق، أليست هذه الرسوم لكائنات بها روح؟ إذن فقد دخلت فى دائرة المحرمات والتكفيرات. فحذار.. حذار.. فالعيون الوهابية تراقبك، وعليك أن تعرف أنه ليس بمجرد أن السادة الوهابيين قد اعترفوا بإسلامك وأدخلوك من البوابة الكبرى فقد أمنت على نفسك، كلا، فإسلامك سيظل موضع اختبار طوال حياتك، فالمحرمات ودوائر الشرك الصغرى ودوائر الشرك الكبرى تترصدك بمجرد ولوجك من البوابة الفقهية الأساسية. وعليك أن تعلم أنك تتحرك فى مساحات ممتدة مظللة بالمحرمات، وأن أمامك أحراشاً وأدغالاً وعرة ثمارها مسممة

بالكفر والإلحاد وعليك أن تعبرها كل يوم، فكل تلك الأحراش جزء من غرفة نومك ومكتبك وشارعك والسوق التى تشترى منها حاجياتك، والكتاب الذى يمكن أن تقرأه أو شريط الكاسيت الذى يمكن أن تسمعه، فالشر يلاحقك وامتدادات المحرمات والتكفيرات تجدها حتى فى فنجان الشاى أو ملابس الأطفال.

وتأكد أن العيون الوهابية تحاصرك وتقتحم كيانك.. لا حركة، لا لفتة، لا ابتسامة، قبل أن تتأكد من خلوِّها من المحظورات الفقهية والفتاوى اليومية.

وكما أسلفت، هناك ثلاثة مستويات للتجريم والتأثيم الدينى عند الوهابيين: المستوى الأول «مستوى التحريم»، يليه مستوى «الشرك الأصغر»، يليه مستوى «الشرك الأكبر» حيث يقتل كل من تطأ قدماه أو سلوكه أو كلماته هذه المنطقة المغمورة بالبطش والسحق المقدس.

وسوف نحاول أن نطأ المساحة الأولى، أو مساحة التحريم أو دائرة المحرمات الوهابية، ولن نستطيع أن نرصد كل أنواع التحريمات الوهابية بالطبع، فهى لا تنتهى على الإطلاق، ولكننا سنحاول تقديم عينة توضح لنا نوعية الفكر الذى أفرزها.

وأول ما يصادفنا فى هذه المساحة العجيبة دائرة الأسماء أو الألقاب المحرمة أو المحظورة. وأول ما يصادفنا فى هذه المجموعة من الأسماء المشاغبة اسم «سيد» حيث يقول فقهاء الوهابية عنه، أنه (لايجوز أن يتسمى به فاسق ولا كافر، كما لايجوز استخدام لقب السيد فلان على الإطلاق إلا إذا كان الشخص ذا سيادة فعلاً)[1] كما

---

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٤٧.

لايجوز إطلاق كلمة «السيدة» على المرأة و«السيدات» على النساء فهذه الكلمة متلقاة من الغرب، حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع النساء. ولكن من كانت منهن سيدة لشرفها أو دينها أو جاهها أو غير ذلك فلنا أن نسميها سيدة، كما أن التعبير بالسيدة عائشة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفاً عند السلف.[1]

لاحظ مدى السخف فى محاصرة الناس، فكلمة سيد أو سيدة ليس مقصود بهما سوى أننا جميعاً سادة متساوين فى المجتمع وليس لأحد منا مكانة فوق الآخر لمجرد أنه أغنى أو صاحب جاه إلخ وأننا أمام القانون سواء، فكلمة سيد أو سيدة متوافقة تماماً مع الإسلام وروحه وحرصه على المساواة والعدالة بين الأفراد، بينما السادة الوهابيون بتفسيراتهم السخيفة يتناقضون مع الدين الإسلامى فى أخطر قضاياه على الإطلاق. ولاحظ رفض السادة الوهابيين منح لقب سيدة للسيدة عائشة أو السيدة خديجة لمجرد أن (السلف) لم يستخدموا هذه الكلمة، وطالما أن (السلف) لم يستخدموا هذه الكلمة قضى الأمر وأصبح (الخلف) محظور عليهم تماماً استخدام هذه الكلمة أو هذا اللقب مهما أعطت هذه الكلمة أو هذا اللقب معنى التكريم وإلا صاروا مبتدعين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

والمواطنون السعوديون محرومون حرماناً كاملاً من تسمية أولادهم باسم عزيز أو كريم وإلا دخلوا منطقة المحرمات الوهابية، فالفتوى تقول (إذا قصد بالاسم معنى الصفة

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٠٤.

(الكرم، العزة) فإنه لا يسمى به أبداً)[١]. فذلك شرك بالله فلا عزيز إلا الله ولا كريم إلا الله!!

ويلفت الشيخ العثيمين نظر المسلمين إلى أن اسم «إيمان» لا يجب التسمّي به، لأن فى ذلك مشكلة إيمانية خطيرة (فاسم إيمان يحمل نوعاً من التزكية، ولهذا لا ينبغى التسمية به، ويمكن أن نسمى بصالح وعلى ما أشبهها من الأعلام المجردة التى لا تحمل معنى التزكية)[٢].

ولماذا لا نقول أن اسم إيمان يدفع صاحبه أو صاحبته إلى الارتباط بالدين والخلق الفاضل، هكذا ببساطة وبلا تعسير على الناس.

وينتقل السادة الوهابيون إلى عالم النبات لمحاصرة فتنة الأسماء، وسد كل الثغرات الإيمانية فى مملكة النبات، وهكذا أفتى السادة الوهابيون هذه الفتوى الصارمة (إن تسمية بعض الزهور بـ «عباد الشمس» لأنه يستقبل الشمس عند الشروق والغروب لا يجوز لأن الأشجار لا تعبد الشمس، إنما تعبد الله عز وجل وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كنباتات «مراقبة الشمس» ونحو ذلك)[٣].

وهكذا حاصر السادة الوهابيون حركة التمرد الدينى داخل مملكة النباتات وقمعوا تمرد هذا النبات الأحمق الذى قرر أن يعبد الشمس من دون الله.

وأحس السادة الوهابيون أن ألفاظاً خبيثة بدأت تهرب من الحصار وتتسلل إلى

(١) فتاوى العقيدة - ص ٣٧.

(٢) فتاوى العقيدة - ص ٧٠٣.

نشرات الأخبار مثل كلمة «تكهُّن» الشريرة المفعمة بالشرور والآثام، وهكذا صدرت الفتوى الوهابية التى تحظر عبارة «تكهَّنت بعض المصادر المطلعة بوقوع كذا أو كذا» لأنه لا ينبغى أستخدام لفظ «تكهن» الدال على عمل محرم (الكهانة) على أمر مباح، فلا ينبغى على مُعِدِّى نشرات الأخبار استخدام لفظ «تكهن» ولكن يقال «أظن كذا»)[(١)].

وهكذا استطاع السادة الوهابيون اكتشاف هذه الإشكالية الدينية والثغرة الإيمانية فى نشرات الأخبار وسيطروا عليها فقهياً.

ننتقل إلى مساحة العبارات المحظورة بعد أن طوفنا سريعاً فى عالم الكلمات المحظورة دينياً، وهكذا طالعتنا عبارة «العصمة لله وحده» واكتشفنا أن ألفاظها مستنكرة ومستكرهة، لماذا يا وهابيون؟ قالوا (لأن لفظها قد يوحى بأن هناك عاصماً عصم الله والله هو الخالق وما سواه مخلوق).[(٢)]

وهناك عبارة أخرى محفوفة بالمكاره وهى عبارة «لاسمح الله» (لأن استخدام هذه العبارة ربما توهم أن أحداً يجبر الله على شىء فيقول «لا سمح الله»، والله عز وجل كما قال الرسول (ﷺ): «لا مُكره له») [(٣)].

وأعتقد ويعتقد كل المسلمين أن المسلم إذا قال «العصمة لله وحده» لا يدور بخلده إطلاقاً أن هناك عاصماً لله عز وجل، وأنه إذا قال «لا سمح الله» لا يتصور إطلاقاً أن هناك مكرهاً لله، ولكنه التعسير الوهابى لحياة الناس.

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٢٥.
(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٥٣.
(٣) فتاوى العقيدة ـ ص ٧١٤.

ويكتشف السادة الوهابيون عبارة آثمة أخرى أو مساحة محرمة جديدة ليرفعوا عليها رايات المنع الخفاقة، وهى عبارة «حرام عليك أن تفعل كذا» لأن هذا الذى وصف بالتحريم إما أن يكون صحيحاً مطابقاً للشرع، وإما كان الشىء غير محرم فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ولو لفظاً، لأن ذلك قد يوهم تحريم ما أحل الله عز وجل أو قد يوهم الحجر على الله فى قضائه وقدرة [١].

ومن الواضح أن المسألة أبسط من ذلك كثيراً، فهذا تعبير دارج يقوله الناس ولا يدور بخلدهم أن له صلة من قريب أو بعيد بأحكام الدين، أما مسألة أن يتوهم البعض أن هذه العبارة تعنى الحجر على الله فى قضائه فإن هذا المعنى السقيم لا أتصور أنه يدور فى مخيلة أى مسلم كان، سوى السادة الوهابيين الأجلاء أنفسهم.

ويستمر السادة الوهابيون فى مطاردة التعبيرات اللغوية المحرمة ومحاصرتها من أجل الفتك بها وتخليص المسلمين من شرورها وآثامها ومن هذه التعبيرات عبارة «دفن فى مثواه الأخير». وهذه العبارة تبدو بريئة ولكن السادة الوهابيين اكتشفوا الخبث المبثوث فى طيّاتها، وهكذا أفتونا ووضحوا لنا إثمنا وجرمنا وقالوا: (فعندما تقول «دفن فى مثواه الأخير» فإنك تقرر أن القبر آخر شىء لهذا المتوفى، وهذا يتضمن إنكار البعث، ومن المعلوم لعامة المسلمين أن القبر ليس آخر شى إلا عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، فالقبر آخر شىء عندهم، أما المسلم فليس آخر شىء عنده القبر، وعلى هذا فحرام استعمال هذه العبارة) [٢].

---

(١) فتاوى العقيدة. ص ٦٩٨.

(٢) فتاوى العقيدة. ص ٧١٦.

وهكذا كشف لنا السادة الوهابيون خطورة عبارة «دفن فى مثواه الأخير» على دين الإسلام، فهذه العبارة الآثمة تتضمن إنكار البعث والحساب والعقاب واليوم الآخر، أى تهدم دين الإسلام من أساسه.. هل أحد يمكنه تصور ذلك، هل أحد فى كل ديار المسلمين يدور بخلده هذه المعانى والأفكار الشاذة والمتكلفة وهو يستعمل تلك العبارة؟!

ولكن السادة الوهابيين لا يهدأون، ويحذرون المسلمين من تداول عبارة «أدام الله أيامك» فأدام الله أيامك من الاعتداء فى الدعاء لأن دوام الأيام محال مناف لقوله تعالى (كل من عليها فان)[(١)].

وهكذا أصبح كل مسلم يقول هذه العبارة ببساطة وعلى سبيل المجاملة، يعتدى. حاشا الله ـ على الله ويخطىء فى حقه تعالى.

كما يحذر السادة الوهابيون تحذيراً مغلظاً من استخدام لقب قاضى القضاة على كبير القضاة (فقاضى القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله عز وجل فمن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً لله عز وجل فيما لا يستحقه إلا الله عز وجل)[(٢)].

إذن فهذا اللقب الذى قد يستعمله بعض الناس يقود إلى الشرك ويحول القاضى. الذى لُقب بهذا اللقب ـ إلى شريك لله فى الملك!!

وكما حذرنا السادة الوهابيون من العبارات فقد حذرونا من الآيات القرآنية نفسها، فوجدناهم يحرمون كتابة الآية الكريمة «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» على

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٧١٨.

(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٧٢٤.

بعض الأعمال لأن رسول الله (ﷺ) لا يرى العمل بعد موته؟؟)[١].

المسلمون يعلمون أن الرسول (ﷺ) قد مات وأنه لا يرى بعد موته، ولكنهم يضعونها على سبيل التبرك وشحذاً للهمم وإذكاءً للمشاعر الإيمانية ببساطة.

ولا يمكن أن نترك مساحة العبارات المحرمة وهابياً دون أن تذكر التحذير الوهابى من عبارة « فكر إسلامى» (إذ بمقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام)[٢].

ومن الواضح الحساسية المفرطة عند السادة الوهابيين تجاه كلمة فكر،فهى كلمة مفعمة بالشر والإثم ابتداءً، ولابد من بترها نهائياً من القاموس الوهابى، ومن المعروف أن السعودية لا تدرس الفلسفة كعموم ولا تسمح حتى بتدريس الفلسفة الإسلامية، وتكفر رسمياً كل الفلاسفة المسلمين، وغير المسلمين بالطبع، فهى تحترم إعتام العقل وتكره إشراق العقل والروح، وها هم يعتبرون مجرد تعبير« فكر إسلامى» تعبير آثماً محرماً، وبالطبع ليس المقصود بالفكر الإسلامى - كما يقولون - تحول الإسلام إلى أفكار قابلة للأخذ والرد، ولكن المقصود بهذا التعبير، هذا الفكر الذى يتأمل ويدرس ويحاول أن يكتشف المزيد من عظمة هذه الرسالة وكيف أثرت الحياة الإنسانية وكيف غمرتنا بالنور الأخلاقى والضياء الروحى والإشراق النفسى، ونحن مطالبون بدراسة القرآن والسنة واستخلاص الأحكام والوصايا والقيم، نحن مطالبون أن نعرف ما هى الرسالة التى أرسلها الله عز وجل إلينا عبر القرآن الكريم، عبر آلاف الآيات القرآنية، ما هى

(١) فتاوى العقيدة - ص ٧٠٧.
(٢) فتاوى العقيدة - ص ٧٠٩.

الرسالة الأخلاقية، ما هى الرسالة العقلية، ما هى الرسالة الاجتماعية، ما هى الرسالة السياسية، وما هى رسالة المسلمين فى العالم، ما هى رؤياهم المتكاملة تجاه أنفسهم وتجاه البشر وتجاه الكون كله، كل ذلك فكر إسلامى، نور إسلامى، إبداع إسلامى، ضياء إسلامى، لمعان إسلامى، فإذا ما قطعنا الصلة الحميمة بين نصوصنا الدينية المقدسة (القرآن والسنة) وبين الفكر، ذبل وجودنا وذبلت حضارتنا، فالفكر الإسلامى ليس إثماً ولكنه التعبير عن العلاقة والتفاعل الخصب بين الإسلام والمسلمين وبين الإسلام والبشر بشكل عام.

مازلنا داخل دوائر التحريم أو دوائر المحرمات السعودية، ومن المعلوم حسب فتاواهم أن مرتكب أى «محرم» وهابى فاسق وآثم. وإذا كنا تجولنا فى منطقة الكلمات والعبارات الآثمة والمحرمة فقد آن الأوان لننتقل إلى منطقة محرمة جديدة. ومن أبرز هذه المحرمات الوهابية حلق اللحية، فاللحية قضية سعودية خطيرة جداً وصدرت بشأنها فتاوى وفتاوى من الهيئات الدينية الكبرى.

وقد حاصر هذه القضية الخطيرة مفتى الوهابية الأكبر الشيخ عبد العزيز بن باز بمجموعة من الفتاوى التى غطت كل جوانب القضية، وأول ما يطالعنا فى هذا الشأن فتواه القائلة (حلق اللحية يدخل فى عموم ما ذكره الله تعالى فى كتابه عن إغواء الشيطان كثيراً من الناس، فإن حلقها تغيير لخلق الله) [(١)].

وهكذا تحولت مسألة حلق اللحية من مسألة بسيطة ترتبط بحرية الإنسان الشخصية

(١) مجلة الدعوة السعودية ـ العدد ٨٤٨.

إلى قضية فلسفية وأخلاقية ودينية. والعجيب، لماذا يعتبر الشيخ بن باز حلق اللحية تغييراً لخلق الله ولا يعتبر حلق شعر الرأس تغييراً لخلق الله؟

وينهمر سيل الفتاوى، فيصدر عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء، برئاسة الشيخ بن باز فتوى جديدة برقم ١٩٥٤ تقول: (حلق اللحية حرام وفاعله فاسق).

كما صدرت فتوى أخرى برقم ١٤٦٠ بتاريخ ١٣٩٧/٨/٧ تقول: (الإصرار على حلق اللحية من الكبائر ولا يجوز الصلاة خلف إمام بلا لحية).

وهكذا أصبح حالق اللحية مرتكب كبيرة من الكبائر قد تدخله دائرة الكفر الوهابي، وليت الأمر توقف عند هذا فقط ولكن الفتوى عسَّرت على الناس حياتهم وشئون دينهم، وأصبحوا مطالبين بالبحث عن إمام بلحية حتى لا تبطل صلاتهم، بل إن هذه الفتاوى قد امتد تأثيرها إلى كل ماضى أيامهم وجعلت الناس فى حيرة من أمر صلواتهم طوال حياتهم، فمن المؤكد أنهم صلوا كثيراً أو قليلاً خلف أئمة بلا لحى.

وتستمر الفتاوى بشأن «اللحية»، حيث صدرت فتوى جديدة برقم ٢٧٢٦ تقول (لا يجوز الترخص فى مسألة حلق اللحى هذه الأيام من أجل ظروف الحياة الحديثة) فالفتوى الجديدة تحاصر المسلمين ولا تعطيهم أى مساحة حرية، أو مجالاً للترخص.

ثم تصدر فتوى أخرى برقم ٣٠٢١ بتاريخ ١٤٠٠/٦/٥ تقول: (مهنة حلق اللحى حرام لما فى ذلك من التعاون على الإثم والعدوان). وهكذا كما حاصرت الفتاوى حالقى اللحى حاصرت الحلاقين أنفسهم وضيقت عليهم فى أرزاقهم باسم الدين، فالحلاق الذى يحلق اللحية آثم ومعتد على حقوق الله.

ثم صدرت فتوى أخرى جديدة برقم ٨١٢٢ بتاريخ ١٤٠٥/٥/٢٦ تقول: (يمنع مجرد تسوية اللحية أو أخذ أي شيء منها لأن ذلك حرام).

ومن الكتب الرائجة فى السعودية والتى تملأ الآن أرصفة الشوارع فى القاهرة وكل مدن مصر، كتاب «وجوب إعفاء اللحية» للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى. ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى الوهابية الأكبر فى تقديمه للكتاب «لقد أطلعت على الرسالة التى كتبها الشيخ الكاندهلوى فى وجوب إعفاء اللحية وتحريم حلقها فألفيتها رسالة قيمة وافية بالمقصود جديرة بالنشر والتوزيع وقد أذنا بطبعها لعظم فائدتها»

عبد العزيز بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد فى المملكة العربية السعودية.

ويقول الشيخ الكاندهلوى فى هذا الكتاب: «إن المعاصى عديدة كالزنا واللواط وشرب الخمر وغيرها، لكنها يؤثم عليها المرء وقت ارتكابها، أما حلق اللحية وقصرها قصراً غير شرعى هو إثم مستمر فى كل حين وآن لما أنه يجب على المؤمن دائماً فى كل وقت أن تكون لحيته معفاة موافقة للشريعة، فإذا خالف أمر الشرع كان آثماً فى كل لحظة تمر فى حياته إلى أن يتوب وتطول لحيته حسب ما أمر به الرسول (ﷺ). فحالق اللحية يصوم ويصلى ويحج ويعتمر، وفى حال تعبده بهذه العبادات العظيمة أيضا تجده مرتكباً لهذه المعصية وحتى فى حال نومه ومأكله ومشربه تراه مرتكباً لها، شاء أم أبى، تزداد فى كل ثانية صحيفته سواداً وآثاماً بسبب هذه المعصية الخبيثة المستمرة. إن صورة

المرء وهو حالق لحيته يبغضها الرسول (ﷺ) ، فإذا مات أحدهم ودفن فى قبره، كيف يتجاسر هناك أن يواجهه (ﷺ) بهذا الوجه البغيض لديه». [١]

هل يتصور أحد أن جزئية صغيرة جداً كإطلاق اللحية، ليست من أركان الدين أو أساسياته، وليست أحد الفروض التى يجب على المسلم القيام بها ولكنها مجرد «سنة» له أن يلتزم بها وله أن يتركها، فهى لا تؤثر على إسلام المسلم أو صلاحه أو تقواه تتحول عند السادة الوهابيين إلى إثم مروع أكبر وأغلظ وأشد من الزنا واللواط وشرب الخمر، بل إن الاثم المترتب عليها يفسد صلاة المسلم وحجه وعمرته وزكاته وكل عباداته، فهى عندهم إثم يسربل حياة المسلم كلها.

هل يتصور أحد ذلك! ما كل هذا القلب لأركان الدين، وما كل هذا الإرباك لضمائر المسلمين.

ولا يمكن أن نترك قص اللّحى والآثام التى تغمر بها عالم المسلمين، دون أن نعرج على مسألة متعلقة بالشعر أيضا كقضية وهابية، فنكتشف أن هناك قصاً شرعياً لشعر الرأس وقصاً باطلاً وآثماً وغير شرعى وهكذا طلع علينا السادة الوهابيون بالفتوى الشرعية الآتية:

(يحرم على الحلاق قص شعر رؤوس المسلمين على طريق الإفرنج لأن ذلك تعاون على الإثم والعدوان وهو محرم) [٢].

ونحمد الله أنهم أثموا طريقة الإفرنج فى قص الشعر فقط ولم يؤثموا الطريقة الأفريقية أو الآسيوية أو الاسترالية، أو لعلهم قصدوا بالإفرنج كل من هو غير مسلم.

---

(١) كتاب «وجوب إعفاء اللحية . ص ١٠ ـ ١٢.

(٢) المرجع اسابق ـ ص ١٦.

ننتقل إلى مساحة وهابية محرمة مؤثمة جديدة من خلال هذا النص الوهابى الفريد لأحد أقطاب الوهابية الكبار وهو الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى: (حدثنا إخوة لنا صادقون: أن بعض المنحرفين ممن تحضروا وفى بحور الفجور غرقوا أصبحوا يأكلون وهم وقوف، حيث يوضع الأكل على مائدة طويلة، وعند تناولهم الطعام بالملاعق لا يثبتون أمام المائدة، بل يطوفون حولها وكحمار الرحى يدورون وهم ما بين مُصَفِّرٍ وضاحك مقهقه، وسموا ـ لسفههم ـ هذا النوع من التحلل أكلة أمريكية ونسوا هيئة الأكل المحمدية، لأنهم رغبوا عن سنته وقلدوا أعداء ملته)[1].

وهكذا كلما توغلنا فى عالم المحرمات الوهابية اكتشفنا مساحات جديدة من التحريمات واكتشفنا كم توغل هؤلاء السادة فى عروقنا وحاصرونا فى كل حركة وسكنة وغمرونا بفيوض من الفتاوى التى حولتنا إلى نوع من البشر لا يعنيه أى تقدم فى حياة المسلمين ولا أى رخاء فى بلاد المسلمين ولا أى عدالة فى بلاد المسلمين، ولا يعنيه أن تمتلىء نفوسنا بفيوض التقوى والورع والرحمة ولا أن تفيض أوراحنا بالحب والسماحة ولكن ما يعنيه أن يتأكد أنه يتنفس بشكل شرعى ويقص شعره بشكل شرعى ويرتدى ملابسه بشكل شرعى ويأكل بشكل شرعى ويقضى حاجته بشكل شرعى، حتى يرضى عنه الشيخ الجزائرى والسادة الوهابيون.

فتاوى الملابس ولعب الأطفال

ويستمر الحصار السعودى للمسلمين فى كل شئون حياتهم حتى ملابسهم الشخصية حتى لا تزدان هذه الملابس بالمحرمات والمكفرات والمخرجات عن الملة والعياذ بالله،

(١) الإعلام بأن الغناء والعزف حرام ـ الجزائر ـ ص ١٢.

وهكذا صدرت فتوى أو فتاوى الملابس التى تملأ كتب العقيدة وأعمدة الصحف وبرامج الإذاعة والتليفزيون السعودى. ومن بين هذه الفتاوى الفتوى التالية التى تقول:

(لايجوز للإنسان أن يلبس ثياباً فيها صورة حيوان أو إنسان، ولا يجوز أيضاً أن يلبس غترة أو شماغاً أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان، واستخدام هذه الملابس يقتضى حرمان أهل البيت من دخول الملائكة بيتهم)[1].

هل يتصور أحد ذلك، هل يعقل أن الإسلام يصادر الصور، أى نوع من أنواع الصور؟ المسألة ببساطة أن الإسلام يحارب عبادة الأوثان، ولايعقل ولايتصور أن المسلم إذا وضع صورة فى منزله يقصد بها التعبد لصاحب الصورة، ولا يعقل أن المسلم إذا ارتدى قميصاً أو ثوباً به صورة فإن ذلك يلوث إيمانه أو يفسد طهارة بيته. ومن المؤكد شرعاً وعقلاً أن الرسول (ﷺ) عندما قال إن الملائكة لاتدخل بيتاً به صورة، قصد دون أدنى شك صورة تعبد أو تقدس وليس مجرد صورة للزينة تضفى على البيت جمالاً وذوقاً وحضارة، ولكنه التفسير الوهابى المسطح للإسلام وعقائده.

ولكن قد تتسلل مفسدات العقيدة والمحرمات من خلال لعب الأطفال، وبالذات إذا جاءتنا هذه الألعاب من بلاد الفرنجة الكفار للقضاء على ديننا، ولهذا أخرجت لجان الفتوى السعودية فتاواها الحاسمة فى مواجهة لعب الأطفال الآثمة، ومن هذه الفتاوى الآتى:

(اللعبة التى لايوجد فيها تخطيط كامل وإنما يوجد فيها شىء من الأعضاء والرأس، ولكن لم تتبين فيها الخلقة لاشك فى جوازها (أى جواز لعب الأطفال بها)

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٦٢.

وأنها من جنس البنات (اللعب التى على شكل بنات) اللاتى كانت عائشة - رضى الله عنها - تلعب بهن.

وأما إذا كانت اللعبة كاملة الخلقة وكأنما تشاهد إنساناً ولاسيما إن كان له حركة أو صوت فإن اجتنابها أولى وإذا أراد الإنسان الاحتياط فى مثل هذا، فليقلع الرأس أو يحميه على النار حتى يلين ثم يضغطه حتى تزول معالمه)[١].

وتستمر معركة السادة الوهابيين فى جبهة لعب الأطفال فتطالعنا هذه الفتوى الخطيرة: (إن اللعب التى تضاهى خلق الله محرمة ولاشك أنها إذا جاءتنا من النصارى أو غيرهم من غير المسلمين فإن عدم اقتنائها أولى. وبدلاً من أن نشترى لعباً تضاهى خلق الله المحرمة شرعاً لماذا لانشترى أشياءً ليست فيها صور كالدراجات أو السيارات أو الرافعات وما أشبهها)[٢].

وتستمر معركة لعب الأطفال الوهابية، ويحاصر السادة الوهابيون جبهتنا الإسلامية بفتوى جديدة خوفاً من تسلل عنصر أو عنصرين من عناصر لعب الأطفال الضالة، فتقول الفتوى بحسم:

(لايجوز صنع عرائس من عجينة الصلصال تشبه خلق الله، ولكن إذا كانت العروسة غير واضحة المعالم أى ليس فيها عين أو أنف ولافم ولاأصابع، فهذه ليست صورة كاملة ولا مضاهية لخلق الله، ويجوز أن يلعب أولادالمسلمين بها)[٣].

---

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٨٤.

(٢) فتاوى العقيدة - ص ٦٨٥.

(٣) فتاوى العقيدة - ص ٦٨٦.

أى يجب على أولاد المسلمين أن يلعبوا بلعب مشوهة مطموسة المعالم كئيبة، تفسد نفسية الطفل المسلم، وتشوه روحه، فهى إما مقطوعة الرأس أو مبتورة الأطراف ومطموسة المعالم حتى تكون لعبة شرعية. وعلينا أن نتجنب أى لعبة فيها صورة، فالإسلام (عندهم) عدو الصور، كل أجناس الصور، ومن المعلوم أن علماء السعودية الكرام لا يظهرون فى التليفزيون السعودى ولا أى تليفزيون فى العالم، لأن الصورة التليفزيونية محرمة شرعاً (عندهم)، أىّ صورة تليفزيونية حتى لو ظهر فيها علماء الدين، لأن الإسلام ضد الصورة فى ذاتها. هكذا لا يستطيع أن يتعلم أولاد المسلمين الكمبيوتر لأنه يعتمد على الصورة التليفزيونية، والصور التليفزيونية أو غير التليفزيونية مؤثّمة عند السادة الوهابيين، وليس مهماً أن يتخلف السلمون وأولاد المسلمين، المهم أن نطارد كل ما يفسد حياتنا الروحية. والصورة التليفزيونية تلوث ديار المسلمين وتؤثّمها وتلطخها بأدران الكفر والشرك.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

دائرة الشرك الأصغر

هذه جولة سريعة داخل دائرة المحرمات السعودية، وهى مساحة واسعة وممتدة وتحيط بكل جنبات الحياة السعودية بكل تفاصيلها، ومن المعلوم أن كل من أتى محرماً فهو فاسق.

وآن الأوان أن ننتقل إلى مساحة تأثيمهية جديدة داخل أراضى مملكة التحريم والتفكفير - السعودية - منطقة أكثر ترويعاً ووحشة، منطقة محفوفة بالمكاره وقد تقود إلى عقوبات هائلة، فالأحراش الفقهية أشد وعورة والفتاوى الوهابية أكثر ضراوة، وهى منطقة الشرك الأصغر، فالمنطقة السابقة، منطقة المحرمات، فاعلها فاسق فقط، ولكن

المنطقة الوهابية الجديدة، منطقة الشرك الأصغر، من تجاوز فيها الأحكام والفتاوى أصبح كافراً كفراً أصغر، أى أصبح فى مهب الريح الوهابية، ويمكن أن يطاح بوجوده خارج الحياة، لو مارس أى مساحة ضئيلة، جديدة، من التجاوز.

ومساحة أو دائرة الشرك الأصغر تبدأ - أيضا - من شرك الأسماء، إلى شرك العبارات إلى شرك الحلف، إلى شرك التوسل، إلى شرك الرياء... أنواع وأنواع من الشرك الأصغر يحاصر بها السادة الوهابيون المسلمين ويجعلونهم كالدمى أو الكائنات الجوف التى تخشى الحركة والكلمة والبسمة خوفاً من الوقوع فى براثن الشرك المتربص بهم.

حرموهم من الثقة بالنفس والحركة القوية الجريئة فى الحياة، حتى أصبح الإنسان السعودى إنساناً متردداً منقسماً على نفسه.

ولنبدأ بشرك الأسماء الآثمة أو المؤثمة، ومن أبرز هذه الأسماء الملوثة بأدران الشرك والكفر «عبد الحارث»؟؟ والسبب فى ذلك تشرحه هذه الفتوى الوهابية المحددة:

(التسمى بعبد الحارث فيه نسبة العبودية لغير الله عز وجل، فإن الحارث هو الإنسان، كما قال النبى (ﷺ) (كلكم حارث وكلكم همام) فإذا أضاف الإنسان العبودية إلى المخلوق كان هذا من الشرك الأصغر، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر)[1].

ومن الواضح أن المسألة أبسط من ذلك كثيراً، فعبد الحارث مجرد اسم، فلم يقصد الذى سمي ابنه بهذا الاسم أى شرك بالله، كالذى سمى ابنه بعبد النبى لم يقصد أى

(١) فتاوى العقيدة - ص ٣٦.

إشراك بالله، لكنه تصور أن هذا مجرد اسم حسن لا أكثر ولا أقل، ولكن السادة الوهابيين أدخلونا فى دوامات من الشرك والكفر والتكفير وأحدثوا ضجيجاً فقهياً ضخماً فى مسألة أبسط من ذلك كثيراً جداً.

ثم ننتقل إلى دائرة العبارات المفعمة بالشرك والكفر الأصغر فيخبرنا السادة الوهابييون ويحذرونا من عبارة «لولا الله وفلان» الخبيثة ويقولون :(قرن غير الله بالله فى الأمور القدرية بما يفيد الأشتراك وعدم الفرق أو التسوية شرك)[1]

والشئ الذى يحير هو أين هذه الأمور القدرية فى هذه العبارة البريئة التى تدل على خُلق صاحبها وتدينُه، فعندما يقول إنسان «لولا الله وفلان» فمن المؤكد أن شخصاً ما أدى له خدمة معينة فشعر هذا الإنسان أنه ليس من الدين أو الخُلق أن يُرْجِع الفضل إلى شخص الذى أدى إليه الخدمة فقط، فأرجع - تأدباً وتديناً - السبب إلى الله عز وجل أولاً ثم إلى الشخص الذى أدى إليه الخدمة، ولكن السادة الوهابيين ظللوه بمظلة الشرك رغم كل ذلك.

وتستمر مطاردة السادة الوهابيين للعبارات التى تقودنا إلى مهاوى الكفر والشرك بالله فاقتنصوا هذه العبارة الشريرة المدسوسة فى ديار المسلمين وعلى ألسنتهم وهى عبارة «فلان ربنا افتكره» فهى عبارة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، أو ظاهرها الإيمان وباطنها الكفر الخبيث المتسرب فى مسامها الشريرة المكارة.

كيف أيها الوهابيون؟ قالوا لنا: (إذا قال إنسان عبارة «فلان ربنا افتكره» وكان

(١) فتاوى العقيدة - ص ٧٠١.

مراده بذلك أن الله تذكر ثم أماته فهذه كفر، لأنها تقتضى أن الله عز وجل ينسى، والله سبحانه وتعالى لا ينسى، فإذا كان هذا هو قصد القائل وكان يعلم ويدرى معنى ما يقول فهذا كفر)[١].

ما هذا الكلام الغريب، هل يعقل أن إنسانا عاقلاً رشيداً يقصد أن الله كان ينسى ثم تذكر وأمات فلاناً من الناس، ما هذا التنطع العقلى والدينى الذى يملأون به عقول المسلمين بالهواجس الدينية التى لا مبرر لها على الإطلاق؟

وتعالوا معنا نتأمل الإشكالية الإيمانية التى أثار السادة الوهابيون حولها عواصف وذوابع إيمانية هائلة، وهى إشكالية متعلقة بعبارة بريئة، بسيطة وادعة، تقول «والله وحياتك»، وهى عبارة استعلمها ملايين المسلمين فى كل أقطار الإسلام فى كل العصور ببساطة وبراءة إلى أن جاء السادة الوهابيون واكتشفوا أنواعاً وأنواعاً من الشرك والكفر فى ثنايا هذه العبارة الخداعة المخادعة التى ألقاها فى أفواهنا وأجراها على ألسنتنا المشركين أعداء الإسلام ليفتنونا عن ديننا، فقد قال الوهابيون عن هذه العبارة:

(هذه العبارة فيها نوعان من الشرك:

الأول: الحلف بغير الله.

الثانى: الإشراك مع الله بقوله «والله وحياتك» وضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية.

(١) فتاوى العقيدة – ص ٧٥٠ .

والقسم بغير أن اعتقد أن المقسم به بمنزلة الله فى العظمة شرك أصغر وإلا فهو شرك أكبر)[١].

هل يتصور أحد أن القائل هذه العبارة الساذجة أصبح مغموراً بالشرك، بأنواع وأنواع من الشرك الأصغر والأكبر، من المؤكد أن رسولنا الكريم عندما نهانا عن الحلف بغير الله، كان يقصد الحلف بالأوثان والأصنام التى كانت عبادتها سائدة حتى وقت قريب جداً، أما الحلف بحياة شخص عزيز، أب أو أم أو ابن. فهو ليس حلفاً له صبغة دينية وليس له قداسة معينة ولكنه حلف (دارج، ساذج) وليس معناه على الإطلاق أن الحالف رفع مكانة المحلوف به إلى مكانة الله أو إلى أى مكانة مقدسة قداسة دينية ولكنهم السادة الوهابيون المعسِّرون على الناس حياتهم والمقلقون لضمائرهم فى كل لحظات حياتهم.

مازلنا فى منطقة «الحلف» المحفوفة بالمكاره، فالسادة الوهابيون يقولون لنا بكل جسارة وحسم: «الحلف بالنبى أو بالشرف أو القومية أو الوطنية شرك أصغر لكنه غير مخرج من الملّة»[٢].

وهكذا أصبح الحالف بالنبى الكريم مشركاً والحالف بشرفه مشركاً أو بوطنه. هكذا بكل بساطة. ومن المؤكد أن الحالف بأى شئ مما سبق لم يشرك بالله على الإطلاق، فالحالف هنا يعبر عن اعتزازه بتلك الأشياء، لأننا جميعاً كمسلمين نضع الله عز وجل فوق كل هذا، فوق كل الموجودات جميعاً ولكن هذا النوع من الحلف يعبر عن اعتزازنا

بالرسول الكريم أو اعتزازنا بوطننا أو بشرفنا، وليس وضعاً لهؤلاء الأشخاص أو الأشياء فى مكانة تساوى أو حتى تقترب من مكانة الله عز وجل، فالمسألة لا علاقة لها بقداسة أو برفع أحد إلى المقام الأولوهية.

ويتواصل الحصار الوهابى لنا ليخنق أرواحنا ويلغى عقولنا، وهكذا يحاصر السادة الوهابيون مساحة تكفيرية جديدة، والتى أسموها مساحة التوسل، فيقولون (إن التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع نوع من الشرك مثل التوسل بجاه الرسول الكريم سواء فى حياته أو بعد موته)[١].

والرد على ذلك بنص القرآن الكريم، يقول الله تعالى ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [٢].

إذن فالله عز وجل سمح للمسلمين أن يتوسلوا إلى الله من خلال الرسول بنص القرآن الكريم ولكنهم الوهابيون.

ثم نظروا إلى هذا الشرك المرتبط بالوظائف والمواطفين نتيجة اعتمادهم فى معاشهم على راتبهم، ومن المؤكد أن اعتمادهم على هذا الراتب لا يتنافى مع إيمانهم بالله واعتمادهم عليه وتعلق قلوبهم به. ولكن السادة الواهابيين اكتشفوا مساحة شرك شهية فى هذا القطاع من البشر فإفتوأفتوهم بالتالى: (ينبغى للإنسان أن لا يعلق نفسه

بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذى يتعلق قلبه بمرتبه تعلقاً كاملاً مع الغفلة عن المسبب مشرك شركاً أصغر)[١].

ومساحة الشرك الأصغر مازالت ممتدة والفتاوى دوماً متجددة، فإذا مازار رجل بسيط أحد رجال الدين الذى يتوسم فيهم الصلاح والتقوى وطلب منه فى براءة النفخ أو النفث فى الماء ليتبرك به، أصبح هذا الرجل البسيط مشركاً شركاً أصغر)[٢]

صحيح أن تصرف هذا الرجل لا يليق، ولكن هذا الرجل لم يكفر ولم يشرك شركاً أصغر ولا أكبر عندما فعل ذلك. وكذلك إذا صدق أحد المسلمين عرافاً فيما قاله فقد كفر بالله كما أفتى السادة الوهابيون[٣].

وسنختم جولتنا فى منطقة الشرك الأصغر الوهابية بنوع مبتكر من الشرك لم يفطن إليه أحد من قبل أو من بعد، شرك داهية، يعيش بيننا ونمارسه جميعاً بدرجات متفاوتة، ويغمرنا بآثامه وشروره، إنه الرياء!، نعم الرياء، كما أفتى السادة الوهابيون، وبناء على تلك الفتوى فكل المسلمين كفار ومشركون شركاً أصغر، لأن الرياء آفة بشرية لا يمكن أن تنفك عراها بالإنسان، أى إنسان، صحيح قد تختلف درجة الرياء أو نوعه أو كثافته من إنسان إلى آخر، ولكن من المؤكد أن الرياء مارسناه فى لحظة ما من حياتنا، وهكذا أصبحنا ـ وهابياً ـ كفاراً رغم أنوفنا الصغيرة أو الغليظة[٤].

وهكذا وبعد أن غمرنا السادة الوهابيون جميعاً بالشرك والكفر فى الدنيا، لم

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٣٠٤.
(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٣١٤.
(٣) فتاوى العقيدة ـ ص ٣٦٥.
(٤) فتاوى العقيدة ـ ص ١٥٧.

يتركوا لنا مساحة أمل فى الآخرة، واستمر حصارهم لنا فى الدار الباقية، وأصروا أن يوصلونا إلى جهنم من خلال فتاواهم الغريبة المتنافية مع روح الإسلام، فإذا كان الله عز وجل قرر أنه جل شأنه يغفر الذنوب جميعاً عدا الشرك به، وإذا كان كل فقهاء المسلمين فى كل العصور قرروا أن المقصود بتلك الآية الكريمة ﴿ أن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ النساء ٤٨ الشركَ الأكبرَ فقط وهو الشرك المخرج من الملة، فإن السادة الوهابيين عسَّروا على المسلمين وحاصروهم قائلين (يجب الحذر لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الشرك الأصغر، لأن قوله (أن يُشرك به) «أن» وما بعدها فى تأويل مصدر تقديره إشراكاً به فهو نكرة فى سياق النفى فتفيد العموم)[١]

وهكذا أحكم السادة الوهابيون علينا الحصار فى الدنيا والآخرة من خلال أفهامهم البدوية الغليظة.

دائرة الشرك الأكبر

وننتقل بعد ذلك إلى تلك المساحة المروعة التى تزهق فيها أرواح المسلمين بكل برود وهابى، فتمتد نفس الأيادى الغليظة التى فتكت بلعب الأطفال واقتلعت رؤوس العرائس الصغيرة وشوهت ملامحها، لتزهق أرواح المسلمين الموحدين بالله بكل غلظة ودمامة نفسية، إنها مساحة الارتداد أو مساحة الشرك الأكبر؛ حيث ترتفع الموجات الوهابية إلى ذروتها ويجلس السادة الوهابيون فوق قمة الوجود، فوق السحاب والسماء والأرض ليحاكموا بنى البشر ويقرروا عقائدهم ويفتحوا صدروهم ويحاكموا ضمائرهم وأفئدتهم ثم

(١) فتاوى العقيدة - ص ٢٠٤.

يقتلونهم بكل برود واستعلاء ويعطون لأنفسهم حقوقاً على البشر لم يعطها الرسول الكريم لنفسه.

والارتداد عند السادة الوهابيين عالم فسيح مترامى الأطراف متنوع الأشكال والألوان، فمن الممكن أن تدخل دائرة المرتدين من نقطة البدء الإسلامية وهى الشهادتين.

وكما أسلفت فإن المسلم عند الوهابيين لابد أن يؤمن بثلاثة أنواع من التوحيد وإلا أصبح كافراً: وهى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وعلى هذا (لوفرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لكنه يذهب إلى القبر (فيعبد) صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه، فإن هذا مشرك كافر خالد فى النار ومرتد يجب استتابته ثم قتله)[1].

وهنا يعتبر الوهابيون أن المسلم الزائر للقبر عابد للقبر أو عابد للرجل المدفون داخل القبر، ولم يوحد توحيد الألوهية؟ وهكذا أصبح مشركاً شركاً أكبر وخارجاً عن الملة.

ولا يكتفى السادة الوهابيون بمسألة زيارة القبر ليخرجوا المسلمين عن الملة من خلالها ويستحلوا دماءهم وأموالهم، بل يقولون أيضاً: (من زار الأولياء ونذر لهم وذبح لهم أو استعان بهم فإن هذا شركاً أكبر مخرج عن الملة، كذلك يكون صاحبه به كافراً مخلداً فى النار)[2]. وبالتالى فليس لدمائه أو ماله حرمة عندهم.

ثم نتحرك داخل دائرة الشرك الأكبر الوهابية لنجد كلمات، مجرد كلمات إذا ما نطق بها المسلم أصبح مرتداً فى نظر السادة الوهابيين، فإذا قال مسلم عبارة «يعلم الله أنى ما فعلت هذا» وهو فاعله أى أنه مجرد كاذب لا أكثر ولا أقل،

(١) فتاوى العقيدة - ص ١٠ .

(٢) فتاوى العق...

أصبح فى نظر السادة الوهابيين مرتداً كافراً خارجاً عن الملة لأن (مقتضى كلامه أن الله يجهل الأمر، فإذا قلت يعلم الله أنى ما زرت فلاناً وأنت زائره صار الله عز وجل لا يعلم بما يقع. ومعلوم أن من نفى عن الله فقد كفر وأصبح مرتداً عن الملة)[1].

وننتقل إلى عبارة «باسم الوطن» أو «باسم الشعب» أو «باسم العروبة» تلك العبارات المروعة الشريرة المترعة بالكفر والشرك الفواح، والتى سبق أو تحدثنا عنها وقلنا إنها تقود إلى الشرك الأصغر عند السادة الوهابيين ولكننا اكتشفنا أن نفس تلك العبارات تحتوى قدرات أكبر وإمكانيات فاسدة أوسع، فقد أخبرنا الوهابيين أن تلك العبارات تقود أيضاً إلى الهاوية أو إلى ساحة الشرك الأكبر والارتداد الوهابى.

وهكذا وجدنا الشيخ العثيمين يقول: (عبارة باسم الوطن أو باسم الشعب إن قصد قائلها التبرك واستعانة فذلك نوع من الشرع، وقد يكون شركاً أكبر بحسب ما يقول فى قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به)[2].

وهكذا أصبحت عبارة بسيطة يقولها إنسان معبراً عن حبه لوطنه وإعزازه له طريقاً لهلاكه الكامل فى الدنيا والآخرة.

وننتقل إلى عبارة أخرى آثمة قادت من قبل قائلها إلى دائرة الشرك الأصغر ولابد أن ننبه إلى أنها تقود إلى الارتداد أيضاً، كما أفتانا السادة الوهابيين، أو إلى دائرة الشرك الأكبر.

---

(١) فتاوى العقيدة - ص ٧١٤ .
(٢) فتاوى العقيدة - ص ٧٥٥ .

فقد أفتونا قائلين: (قول عبارة «ولله وحياتك» فيه نوعان من الشرك، أولاً: الحلف بغير الله، ثانياً: الإشراك مع الله بقوله «والله وحياتك» وضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية. والقاسم بغير الله إن اعتقد أن المقسم به بمنزلة الله فى العظمة فهو مشرك شركاً أكبر (ارتداد) وإلا فهو مشرك شركاً أصغر)[١].

وهكذا أصبح الإنسان الذى يتفوه بتلك العبارات المروعة الآثمة أمامه دائرتان للشرك عليه أن يلحق بإحداهما ولا مفر أمامه من ذلك. والإنسان يسأل نفسه متحيراً أى منطق دينى يحكم هؤلاء الوهابيين، هل إذا ما قال إنسان ببساطة «والله وحياتك اعمل كذا»، قصد أن يضع حياة الشخص فى نفس مكانة الله عزوجل؟! أى عقل يمكن أن يصدق ذلك؟! وأن هذا القول جعل حياة المقسم فى نفس مكانة الله (عزوجل)؟! ما هذا الكلام الغريب الذى يسممون به حياة المسلمين تحت دعوى الدين والعقيدة الصحيحة النقية!

مازلنا داخل دائرة الارتداد المحفوفة بالشرر ومازال السادة الوهابيون يجهزون وسائل جديدة لاصطياد المسلمين وسوقهم إلى مساحة الارتداد والموت المقدس. وهكذا واجهوا المسلمين قائلين (إن من أنكر اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته إنكار تكذيب مثل أن يقول ليس لله يد، فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة [٢]. أى مرتد هل أدركتم كيف قادنا إنكار العقل وحجبه عن النص الدينى إلى تسطيح الدين وعقائد المسلمين، فحسب ما قاله الوهابيون فى النص السابق، فإن أى محاولة لتفسير النص الدينى تفسيراً ينزه

---

(١) فتاوى العقيدة – ص ٧٢٥ .
(٢) فتاوى العقيدة – ص ٨

الله جل جلاله عن التجسيم يصبح كفراً، فإذا قال علماء المسلمين - وأغلبهم يقولون - إن الله ليس له يد، والمقصود بكلمة يد التي وردت في القرآن والسنة: القدرة أو قدرة الله، أصبحوا بذلك كفاراً ومرتدين وخارجين عن الملة، أى أن مئات الملايين من المسلمين طوال أكثر من ألف عام ومنذ اعتنق المسلمون مقولات الأشعرى والطحاوى والماتريدى فى علم الكلام أصبحوا كفاراً فى نظر السادة الوهابيين ومرتدين ومشركين شركاً أكبر وخارجين عن الملة، والسيف والنطع فى انتظار رقابهم الشهية.

وبما أن «النزول» إحدى صفات الله عندهم وبما أن هناك حديثاً شريفاً يقول «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير... إلى آخر الحديث، فمن قال إن الله عز وجل لا ينزل بنفسه ولكن رحمته مثلا تنزل أو أحد الملائكة أصبح مكذباً لله ورسوله ومرتداً ويستتاب فإذا لم يتب يقتل)[1].

وهكذا يخرج عن الملة أى فقيه يحاول أن ينزه الله عز وجل عن التجسيم من خلال تأويله لصفات الله الواردة فى القرآن والسنة بما يتناسب مع جلال الله وقدره.

الاستهزاء باللحية يقود إلى الموت

فى يوم ١٤٠١/٣/١٨ أصدر مفتى الوهابية الأكبر الشيخ عبد العزيز بن باز الفتوى الآتية المتعلقة بلحية المسلم، وهى فتوى برقم ٣٥١٥: (من استهزأ باللحية فهذا قد أتى منكراً عظيماً يوجب ردته عن الإسلام). وهكذا أصبح المسلم مستحقاً للموت لمجرد مداعبته صديق له أو مزاحه معه، من قال ذلك؟ من المؤكد أنه يجب احترام أى مسلم يطلق لحيته، فهذا حقه وقناعته وفهمه، ولكن المزاح مع ملتح ليس كفراً ولا

(١) المرجع السابق - ص ٦٠ - ٨٦.

ارتداداً ولا خروجاً عن الملة.

وهناك بابٌ مروع قد فتحه السادة الوهابيون على مصراعيه لاقتياد المسلمين إلى الموت وهو باب النفاق، فقد أفتونا بوجوب قتل المنافقين، كما قال أحد أكابرهم «لو علمنا أحداً بعينه من المنافقين لقتلناه)[١].

هل أحد يمكنه تصور ذلك، هل أحد في أي مكان في الدنيا وفي أي عصر من العصور يتصور أن أمة ما من الأمم قررت قتل (منافقيها)! النفاق ياسادة آفة أخلاقية وليس خطأ شرعياً، النفاق يخرج ياسادة عن إطار الحلة والحرمة.

وقد يتطور الأمر بالسادة الوهابيين فيقررون إنشاء مؤسسات سيادية لمتابعة المنافقين واستقصاء تصرفاتهم وألاعيبهم وأماكن تواجدهم، يسمى مثلاً «ديوان المنافقين»، وتجيِّش تلك المؤسسات جيوشاً من عسكر الأمن الديني لإحكام قبضتها عليهم وفرد مظلة التكفير فوقهم واقتيادهم بعد ذلك إلى ساحات الموت جزاءً نكالاً بما فعلوا!

ولو قلنا له أيها الشيخ إن الرسول (ﷺ) نفسه كان يعلم أعيان المنافقين في عصره ورغم ذلك لم يقتلهم؟ فسيحاصرنا ويقول: (إن الرسول (ﷺ) كان يعلم أعيان المنافقين ولم يقتلهم : (لئلا يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه ولكن الآن لو علمنا أحداً بعينه من المنافقين لقتلناه)[٢].

إذن فالرسول (ﷺ) لا يقتل أصحابه، ولكننا اليوم نقتل أهلنا المنافقين وأولادنا

(١) فتاوى العقيدة - ص ١٥٦.
(٢) المرجع السابق - ص ١٥٦.

المنافقين وجيراننا المنافقين وأساتذتنا المنافقين ومفكرينا المنافقين...

من أى نبع شرير تنبع كل هذه الغلظة، ما كل هذه القساوة، ما هذه القلوب الجانية التى تسيل دمامة وشراً مستطيراً، ما كل هذا الاشتهاء للقتل والسحق؟! الإسلام رحمة، نبع يتدفق بالدماثة والعذوبة الخلقية، والمودة الإنسانية، ما كل هذه الرغبة المروعة فى الولوغ فى دماء المسلمين! من أخطأ فى لفظ يمحى من الوجود الإسلامى؟! من نافق يمحى من الوجود الإسلامى؟! من خلق منطق المحو هذا فى تاريخنا ؟! من خلق النظريات المؤصلة للاستهانة بحرمات المسلمين ودمائهم ووجودهم أصلاً ؟!

وإذا كان النفاق يؤدى إلى الشرك الأكبر الذى يقود إلى القتل، فما المانع من أن يؤدى الرياء إلى نفس النتيجة؟! وهكذا واستناداً إلى جملة بريئة قالها ابن القيم من ٨٠٠ سنة، شبه فيها الشرك الأصغر بـ «يسير الرياء» أفتى الشيخ العثيمين قائلاً :(قد مثل ابن القيم للشرك الأصغر بـ «يسير الرياء» وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر)[1] كما لو كان الشرك الأكبر، ومن ثم قتل المسلم، أمراً شهياً، أو ذروة يتمنون أن يصعدوا إليها سريعاً إذا ما أتيحت لهم أى فرصة، أى كلمة، أى إشارة، تتحرك شهيتهم ويقبضون على الفرصة بكل قوة حتى لا تضيع، ويقومون على الفور بتأصيل قاعدة قتل جديدة يوسعون بها رقعة الموت المقدس الطلى.

وبما أن الإسلام السعودى صارم كالسيف المسلول، لا يقبل أى ذرة عوج، وبما أنه مدجج بالسلاح والدروع والسهام والسيوف فلا مجال أبداً لأى خطأ، لا مجال لأى هفوة ولو على سبيل المزاح، وإلا فالقتل والمحو من الكيان السعودى المدجج بالنظريات

(١) فتاوى العقيدة - ص ١٩٩.

والفتاوى، وهكذا وجدنا شيوخهم يقولون: (من عمل شيئاً مكفراً (جملة، كلمة، ....) مازحاً فإنه يُكفر لأنه قصد ذلك)[1].

كأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين، في كل حركة أو فعل للإيقاع بهم وتكفيرهم بكل سرعة وحسم ثم يرسلونهم بكل برود إلى الموت لتهنأ نفوسهم المترعة بالجمال والرحمة.

والداخل إلى الموت المقدس عند السادة الوهابيين لا تنتهي أبداً، ولكن كارثة الكوارث ومصيبة المصائب أن يكون المدخل إليه حب الرسول الكريم نفسه والتبرك باسمه المبارك والاستجارة به عند الشدائد، وهكذا أخرج لنا السادة الوهابيون مجموعة متكاملة من الفتاوى تحاصر المسلمين وتمنعهم عن الرسول (ﷺ)وحبه والتعلق به، ومن تجاوزها دخل دائرة الشرك الأكبر والموت الوهابي المقدس.

فتوى رقم(١): «القول: استجرت برسول الله (ﷺ) كلمة منكرة، والاستجارة بالنبي في حياته جائزة، أما الاستجارة بالرسول (ﷺ) بعد موته شرك أكبر»[2].

فتوى رقم (٢): (من قال يامحمد بهدف الاستعانة فهو مشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة)[3]

فتوى (٣): (من يجعل الرسول الملجأ عند الشدائد والمستغاث عند الكربات فإن هذا محرم بل هو أصبح مشركاً شركاً أكبر خارجاً عن الملة)[4]

---

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٢٦٤.
(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٢١٨.
(٣) المرجع السابق.
(٤) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٠٢.

فتوى رقم (٤): (إن هذا الرجل الذى يحافظ على الصلاة والصيام وأن ظاهر حالة الاستقامة قد لعب به الشيطان وجعله يخرج عن الإسلام بالشرك، وهو يعلم أو لا يعلم، فدعاؤه غير الله عز وجل شرك أكبر مخرج عن الملة، سواء دعا الرسول (ﷺ) أو دعا غيره)[(١)].

ما هذا المنطق الغريب فى محاصرة المسلمين وتكفيرهم؟! من المؤكد أن المسلم المستجير بالرسول (ﷺ) مؤمن تمام الإيمان بالله، ولا يرفع الرسول إلى مقام الألوهية من قريب أو بعيد، ولكنه يلجأ إلى الرسول صاحب الرسالة ويستجير به بشكل فيه براءة المؤمن وطيبته ولا يقصد على الإطلاق الإشراك بالله، وحتى لو اعتبرنا أن ذلك سلوك خاطىء من الناحية الشرعية، فمن المؤكد أنه خطأ بسيط لا يصل بصاحبه أبداً إلى مرحلة الشرك، سواء كان شركاً أصغر أم شركاً أكبر.

وإذا كان من يدعو الرسول مشركاً شركاً أكبر خارجاً عن الملة مستحقاً المحو من الوجود، فإن من يدعو الإمام الحسين أو الإمام الشافعى أو الشيخ أبا العباس المرسى أو الشاذلى مشركاً شركاً أكبر بالضرورة عند السادة الوهابيين، حيث أفتونا قائلين: (إن كان المدعو ميتاً فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة، وإقرار هذا أشد من إقرار شرب الخمر والزنا، واللواط، لأنه إقرار على كفر وليس إقراراً على فسوق فقط وهذا يحدث فى بعض البلاد الإسلامية)[(٢)].

(١) فتاوى العقيدة. ص ٣٩٤.
(٢) المصدر السابق. ص ٣٩٩.

وهكذا أصبح المسلم البسيط الذى يذهب إلى الحسين أو السيد البدوى للتبرك والاستجارة، لتصوره أن هذا الإمام (قريب) من الله (عز وجل) بما عرف عنه من الصلاح والتقوى، مشركاً شركاً أكبر خارجاً عن الملة تنتظره سيوف السادة السعوديين النهمة والمتعطشة لرقاب المسلمين بالذات.

حتمية قتل ساب الرسول

وننتقل إلى مصيدة جديدة من مصائد التكفير الوهابية، وهى متعلقة بالرسول الكريم أيضا، وتعالوا معنا نقلب فى كتب الفتاوى الوهابية لنرى كيف يضربون عرض الحائط بسنة الرسول، وأقواله وتصرفاته (ﷺ) ويطيحون بأسوته الحسنة وهديه النبوى المنعم بالرحمة. يقول الشيخ العثيمين: «هناك ضرورة لقتل سابّ الرسول (ﷺ) وهذا اختيار (لاحظ كلمة اختيار والاختيار ليس ديناً) شيخ الإسلام ابن تيمية الذى ألف كتاباً فى ذلك اسمه «الصارم المسلول فى تحتم قتل سابّ الرسول» وذلك لأنه استهان بحق الرسول (ﷺ) وكذا لو قذفه (ﷺ) فإنه يُقتل ولا يُجلد، يقول العثيمين: «فإن قيل: سُب الرسول (ﷺ) فى حياته وقبل النبى توبة من سبه؟ أجيب: بأن هذا صحيح، لكن هذا فى حياته (ﷺ) والحق الذى له قد أسقطه، وأما بعد موته، فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه (ﷺ) فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه (ﷺ) من قتل سابّه، فإن قيل: أليس الغالب أن الرسول(ﷺ) يعفو عمن سبه؟ أجيب: بلى: وربما كان العفو فى حياة الرسول (ﷺ) متضمناً المصلحة وهى التأليف، كما كان(ﷺ) يعلم أعيان المنافقين ولم يقتلهم)[1]

---

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ١٥٦.

لو تأملنا النص لراعنا منذ أول لحظة إصرار الشيخ على القتل كموقف مبدأى، و
إصراره على مبدئه المروع رغم علمه بأن الرسول (ﷺ) نفسه قد عفى عمن سبه. أى فهم
هذا للدين الذى يجعل الفقهاء الوهابيين تتملكهم هذه الرغبة العارمة فى سفك دماء
المسلمين، الرسول يعفو والمدعين أنهم المتمسكون بسنته لا يعفون أبداً ولا يعاقبون حتى
بالجلد أو السجن، كل ذلك لا يكفى أبداً ولا يشبع إحساسهم المفعم بالقساوة والغلظة
لابد من القتل ولا شئ سوى القتل، الإسلام يا سادة ينبوع يفيض بالرحمة والسماحة
لماذا لا نتناصح فى الدين؟! لماذا لا نحاول إعادة المخطئ الى حظيرة الدين ونشذب
سلوكه حتى نجعل الدمع يطفر من عينيه من الشعور بالذنب بدلاً من أن نجعل الدماء
تتفجر من رقبته التى بترها السياف، بعد أن انتهك حرمتها سيفهم الوهابى الغليظ
والأعجب من كل ذلك، أن كل أسانيد الشيخ العثيمين فى قراره أو فتواه بوجوب قطع
رأس ساب الرسول مبنية على أساس أن ذلك كان (اختيار) ابن تيمية، ومتى كان ذلك
الاختيار / الفتوى؟

منذ أكثر من ٨٠٠ عام! كما لو كان هذا الاختيار أو الفتوى جزءاً من الدين وليس
مجرد رأى لنا أن نرفضه ونتبنى اجتهاداً آخر، والأكثر غرابة من كل ذلك، أن نتخلى
عن سنة الرسول الكريم فى العفو ونقرر فتوى ابن تيمية فى القتل.

وهكذا أصبح يطيح برؤوس المسلمين اليوم فقهاء ماتوا منذ أكثر من ٨٠٠ عام دون
أن يحاول السادة الوهابيون مناقشة أفكارهم أو يتحاوروا معها أو يقتنعوا أن معظم
الأفكار والفتاوى مجرد انعكاس لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية خاصة، و
نسى أن عصر ابن تيمية بالذات، اختلط فيه الحابل بالنابل وتاهت معالم العقائد

عندما اعتنق مئات الألوف من التتار الإسلام ورغم ذلك استمروا فى تقديس جنكيزخان ورفعه إلى مستوى الألوهية واستمروا فى إغارتهم على المسلمين وسفكهم لدمائهم، وهنا كانت صرامة فتاوى ابن تيمية لتحديد مساحات الإيمان واليقين ومساحات الكفر والعربدة العقلية والعربدة السياسية والعسكرية، ولا يمكن أن نأخذ فتاوى ابن تيمية من عصرها وظروفها ونمددها فى جنبات حياتنا المعاصرة، المختلفة اختلافاً كاملاً، ولكن السادة الوهابيين لا يحسون بعنصر الزمان والمكان ويطيحون بالعقل ويقذفون به خارج ديار المسلمين.

والشئ الذى يدعو إلى العجب، أن السادة الوهابيين الذين يطيحون برأس ساب الرسول (ﷺ) يعفون عن ساب الله عز وجل نفسه، ساب الرسول (ﷺ)لا تقبل توبته ويجب قتله، بخلاف من سب الله فإن تقبل توبته ولا يقتل؟ لماذا ياوهابيون فيقولون لنا (لان الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد بأنه يغفر الذنوب جميعاً)[1].

أمرهم يحير هؤلاء الوهابيين، إذا كان الله عز وجل أخبر أنه يغفر الذنوب جميعاً عدا الشرك به، فمن المؤكد أن هذه المغفرة ستشمل المخطئين فى حق الرسول إذا تابوا إلى الله أيضاً، ولكن من الواضح أنه لا تحكمهم رؤية ناضجة متكاملة تستطيع أن تفرد مظلتها على شتى نواحى مذهبهم وذلك يوقعهم فى أمثال تلك المتناقضات الفجة.

مازلنا داخل الشرك الأكبر والموت الوهابى المقدس، ومائدة الشرك والموت عامرة وحافلة بأطايب أجساد وأشلاء المسلمين البسطاء، والسادة الوهابيون الأماجد مازالوا يفتون ويذبحون الخراف المسلمة الضالة، ووجدنا على المائدة الوهابية هذه المرة

(١) فتاوى العقيدة – ص ١٥٨.

تارك الصلاة. فقد أفتى السادة بأن (تارك الصلاة كافر كفراً مخرجاً عن الملة)(١)

وبناء على ذلك فإنه (لا يحل له عقد النكاح بمعنى أنه لا يحل أن تزوجه مسلمة ولا يحل له أن يعقد النكاح لأحد من بناته، وإذا عقد النكاح صار العقد فاسداً لأن من شرط الولى على المسلمة أن يكون مسلماً، وإذا مات فإنه لا يجوز أن يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ولا يدعى له بالرحمة والعياذ بالله، بل يخرج فى مكان ويحفر له ويدفن بدون صلاة ولا يغسل ولا يكفن لأن هذا هو شأنه مع غير المسلمين، ثم إن هذا الذى لا يصلى بترك الصلاة تركاً مطلقاً لا تحل ذبيحته ولا يحل له دخول الحرم)(٢).

ويعتبر كذلك عقد زواجه باطل وتصبح زوجته أجنبية عنه)(٣).

كما يحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وابن أبى خلف أئمة الكفر والعياذ بالله ولا يدخل الجنة ولا يحل لأحد من أهله أن يدعو له بالرحمة والمغفرة لأنه كافر لا يستحقها)(٤).

ومن هذه النصوص نتبين أن السادة الوهابيين يبدأون بحصار تارك الصلاة وت اجتماعياً ونفسياً تمهيداً لمحو وجوده المادى من الحياة أصلاً، بل حتى عندما يطيح برأسه يحرمون على أهله الدعوة له بالرحمة والمغفرة، أى قساوة هذه وأى غلظة الـ تدفع هؤلاء الناس بمطاردة المسلمين حتى فى العالم الآخر بعد أن أخرجوهم ومحوهم من عالم الأحياء.

---

(١) فتاوى العقيدة ـ ص١٧١.

(٢) فتاوى العقيدة ـ ص١٧٥.

(٣) فتاوى العقيدة ـ ص١٧٧.

(٤) فتاوى العقيدة ـ ص ١٨٨.

وتستمر فتاوى السادة الوهابيين لإحداث الفتن فى المجتمعات الإسلامية فنجدهم يفتون قائلين (إذا تبين لموظف أن زملاءه لا يصلون فهم كفار (هكذا بكل بساطة) فالواجب رفع أمرهم إلى ولاة الأمور ويجب على الموظف المسلم ترك هذا العمل وهؤلاء الزملاء، لأنه إذا بقى معهم فى العمل معناه أنه مقر لهم على الكفر وراض بالكفر والعياذ بالله وهذا أمر خطير)(١) ونسأل بعد ذلك من أين يأتينا التطرف والإرهاب.

وتستمر فتاوى الفتنة الوهابية فى نفس الموضوع فتقول إحدى هذه الفتاوى (الأهل تاركى الصلاة - لاحظ أنه لم يفرق إطلاقا بين تارك الصلاة كسلاً وتاركها جحوداً ونكراناً - كفار مرتدون خارجون عن الإسلام ولا يجوز السكن معهما أو دعوتهم إلى المنزل)(٢).

ولماذا لم يقل أيضاً يجب إطلاق الرصاص عليهم أو ذبحهم فوراً بسيف وهابى مسلول.

وتستمر فتن السادة الوهابيين لتصل إلى المحاكم وجهات التقاضى حيث أفتوا قائلين (لو أن تارك الصلاة مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث، ولو مات رجل (مسلم) عن ابن له لا يصلى، وله ابن عم بعيد، يرثه ابن عمه البعيد دون ابنه الكافر)(٣).

هكذا بكل بساطة وغلظة أصبح الابن الذى لا يصلى كافراً ولا يرث أباه، لماذا يتعامل السادة الوهابيون مع المسلمين بهذا المنطق العدائى؟ لماذا لا نقول إن هذا الابن قد

(١) فتاوى العقيدة - ص ١٩٢ . (٢) فتاوى العقيدة - ص ١٨٥ . (٣) فتاوى العقيدة - ص ١٨٧ .

يغيره موت أبيه ويقربه من الله عز وجل، وإن حرمانه من ميراث أبيه سيحوله إلى إنسان فاقد الثقة في دينه وعدالته ومجتمعه وكل الأعراف البشرية وهذا يدفعه لأن يصير عدواً شرساً لكل ما يحيطه.

وترسل زوجة إلى الشيخ العثيمين تقول: زوجي تارك للصلاة، إلا أني أحبه كثيراً ولي منه أولاد ونعيش سعداء، وكثيرا ما رجوته للعودة إلى الصلاة فيقول: يعدين ربي يهديني، ما حكم الشرع في نظركم في هذا الرجل؟

فيجيب العثيمين بكل قساوة: حكم الشرع أنه لا يجوز البقاء مع هذا الزوج، فالمؤمنات حرام على الكفار كما أن الكفار حرام عليهن، وعلى هذا فيجب عليها أن تفارق هذا الزوج فوراً وألا تعاشره ولا تجتمع معه في فراش ولا في غيره لأنها محرمة عليه، وأما حبها إياه وعيشتها معه عيشة حميدة، فإنها إذا علمت أنها حرام عليه وأنه أجنبي بالنسبة لها مادام مصراً على ترك صلاته فإن حبها هذا سيزول، وأما الأولاد فإنه ليس له ولاية عليهم لأن من شرط الولاية على الأولاد أن يكون الوالي مسلماً وهذا ليس بمسلم[(١)].

لاحظوا أن الزوجة تقول «كثيراً ما رجوته للعودة إلى الصلاة» إذن فهو يصلي من حين إلى آخر، وليس جاحداً لها، فهو فقهياً فاسق عند كل الفقهاء، عدا الإمام أحمد، فمن أين جاء كفره؟ ولماذا لا نعطيه الفرصة لتعديل سلوكه الديني؟ ولماذا نقضي على هذه الأسرة المسلمة بكل هذا الجفاء؟ لماذا لم يقل لها - العثيمين - أرسليه إليّ وسأحاول هدايته وإعلامه بأن الصلاة لا يجوز تركها وأنها ستجمل حياته وأخلاقه وسيعود كل

(١) فتاوى العقيدة - ص ١٨٤ - ١٨٥.

ذلك بالنفع والبركة على أسرته فى الدنيا والآخرة، بدلاً من أن يقرر الشيخ تدمير هذه الأسرة بطلقة وهابية قاصمة.

ولابد أن ننوه أن فقهاء الوهابية أفتوا بكفر وارتداد تارك الصلاة ومن ثم أوجبوا قتله، بينما كل فقهاء المسلمين الأعلام أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى قد أفتوا بتفسيقه لا تكفيره وقرروا أن هناك فارقاً كبيراً بين تارك الصلاة كسلاً وتارك الصلاة جحوداً وإنكاراً، وللشيخ العثيمين مؤلف كامل خصصه لإثبات رأى الوهابيين فى ارتداد وقتل تارك الصلاة سواء كان الترك إهمالاً أم جحوداً وإنكاراً [1]

وقبل أن نترك دائرة الشرك الأكبر أو دائرة الموت الوهابى المقدس لابد أن ننوه بإحدى فتاوى المنطقة، وهى خاصة بالسحرة، ونحن بالطبع نرى الكثير منهم من خلال شاشات التليفزيون وهم يعتمدون على خدع إليكترونية معينة بالإضافة إلى خفة اليد من أجل أضفاء البسمة على الشفاة وإمتاع المشاهدين بغرائب الأعمال ولكن السادة الوهابيين يقولون فى صلف كامل (السحرة يجب قتلهم سواء قلنا بكفرهم أم لا، فيجب على ولى الأمر قتلهم وبدون استتابة) [2]

هكذا وصلنا إلى ذروة مملكة المحرمات الوهابية بعد أن صعدنا مساحات التأثيم المتتالية والممتدة فى كل مكان، منقطة التحريم فمرحلة الشرك الأصغر التى تعقبها الذورة الشماء أو قمة التأثيم الوهابية الكبرى أو منطقة الشرك الأكبر، تلك المساحة الجليدية الرهيبة الطافحة بالموت والسحق والمحو، حيث لا تاريخ ولا حضارة ولا تمدين

(١) الكتاب اسمه «حكم تارك الصلاة».
(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٣٣٦.

بشرى، حيث لا رحمة ولا شفقة ولا تسامح، فقط مساحات جليدية ممتدة تربض على نتوءاتها الباردة نسور الوهابية الكواسر.

ولا أستطيع أن أعلق على كل ذلك إلا بأننى لا أعرف أن حكومة ما فى أى عصر ومصر قد فعلت بشعبها ما فعله السادة السعوديون وحلفاؤهم الوهابيون بالشعب السعودى، لقد قضوا على أجيال متعاقبة من الرجال والنساء بعد أن طرحوا عنهم الحياة المفعمة بالثقة والتكامل النفسى والعقلى وأخذوا منهم فرحة الحياة والائتلاف مع الوجود.

فالإنسان السعودى كائن ممزق مملوء بالهواجس والشكوك، فاقد الثقة فى النفس، فكما شطروا المجتمع نصفين، شطروا البشر من الداخل نصفين، فالمواطن السعودى الذى يخبره مجتمعه أن الفكر حرام، مجرد كلمة فكر، الفلسفة حرام، الموسيقى حرام، الفن حرام، الشعر حرام، مجرد النظر إلى المرأة حرام، قد أصبح إنساناً شبحياً، متناقضاً،

وهكذا أصبح هناك عالم الظاهر السعودى المفعم بالطقوس والتحرجات والشكوك والهواجس الدينية والإيمانية، وعالم الباطن أو العالم الخفى، الذى يشكل مظهر المؤامرة الاجتماعية المشتركة الذى يتقنها الجميع، ويشارك فيها الجميع، عالم مفعم بالشهوات والاستمتاع الشره الشاذ بالحياة، حيث يضرب عرض الحائط بكل هواجس وفتاوى عالم الظاهر، عالم لا ضابط ولا رابط له، بل كيان همجى تضج فى جنباته الشهوة ويشكل الجنس قلبه وبؤرته، فعندما يطرح الإنسان عن كاهله أكداس الفتاوى الشاذة التى تخنق روحه وجسده وكيانه تندلع من هذا الكيان عواصف وزوابع وحمم تعصف بكل شئ وتطيح بكل شيء، حمم لا تبقى ولا تذر ولا تحافظ على توازن ما، أو قيم ما أو

أخلاقيات ما، حمم تصهل وتعربد وتعبر كل مساحات التحريم والتكفير وتفتك سنابك خيلها الجامح بكل المقدسات الحقيقية والمصطنعة وتقفز فوق أسوار الشرائع الحقة والمصنوعة، ولن يعود للمجتمع السعودى سواؤه واتزانه إلا بالبحث عن مخرج لهذه الازدواجية البغيضة.

الفصل الثالث

رفقاً بالقوارير

بعد أن رسمنا صورة عامة لمملكة المحرمات من الناحية الفقهية وجسنا خلال منظومة التأثيم الوهابى، ننتقل إلى قضايا بعينها ونحاول أن نكتشف كيف يتعامل الوهابيونُ معها.

ونبدأ بالمرأة، فالمرأة قضية وهابية خطيرة، بل هى أخطر قضاياهم على وجه الإطلاق، فهى شغلهم الشاغل ومعقل اهتمامهم وإيوان مجدهم الزائف، من أجل إلغائها من الحياة وحذفها من الوجود يشهرون سيوفهم وتصهل خيولهم وتتوالى فتاواهم المحاربة المضمخة بالمجد والقداسة والسؤدد.

فإذا ما نزلت إلى ديار السادة السعوديين أحسست كأن هناك هوساً فى كل مكان اسمه هوس المرأة: أئمة المساجد يصرخون فى الميكروفونات آناء الليل وأطراف النهار، ليس لمطالبة المسلمين بالزود عن الحياض أو تشمير سواعد الكفاح من أجل إنقاذ مسلمى البوسنة أو كشمير أو فلسطين، كلا فكل ذلك لا يشكل خطراً حقيقياً على الإسلام عندهم، ولكن تصايحهم المحموم من أجل إلزام المرأة البيت ومن أجل وقف خطوات فجورها المتنامى، ومن أجل التصدى لزحف موجات الفتنة والغواية التى بدأت تطل برأسها فى أراضى السادة السعوديين، فبعض النسوة الساقطات - من وجهة نظرهم - يطالبن - ويالهول ما يطلبن - بحق المرأة فى قيادة الدراجة والسيارة.

وأينما تحركت تصدم سمعك نفس الصيحات الصادرة من شرائط الكاسيت من المحلات والدكاكين لتحفز المسلمين لمواجهة المؤامرة النسائية الآثمة. ورجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يملأون الطرقات ويحملون الهراوات لرصد سلوك المرأة وملابسها وحركتها وهيئتها. فالمعركة فى مواجهة المرأة مقدسة ولا مجال لأى تهاون أو

غفلة.

والمنطق السائد فى ديار السادة السعوديين هو: كيف نستمتع بتلك المخلوقات الشيطانية الفاتنة، الممتلئة باللذائذ والشهوات الرائعة، وفى نفس الوقت نلغى وجودهم الاجتماعى والإنسانى ونحيلهم إلى مجرد كائنات تضج بالشهوة وتغطى بالحرير والديباج والمخمل، نستمتع بهن، ولا يستمتعن بالحياة ولا يستمتعن بالوجود، فالمرأة حسب عقائد السادة الوهابيين: لا تَرى ولا تُرى، فهى كائن مخفى، موجود وغير موجود. موجود فى غرف النوم ويرتدى كل ألوان الفسوق ويتطيب بكل ألوان الفجور اللذيذ، فى غرف النوم المكيفة الهواء، الحافلة بكل اللذائذ والشهوات، ولكن هذا الكائن الممتع غير موجود فى دنيا البشر والآدميين، فالمرأة مفروض - حسب عقائدهم - ألا ترى أحداً وألا يراها أحد، وإذا فرض واضطرت إلى الخروج إلى الشارع لطارئ، هائل أو حادث جلل عليها أن تخرج فى صحبة محرم، وفى نفس الوقت هناك ضوابط مقدسة يجب أن تلتزم بها أثناء تلك الرحلة السريعة المقتضبة فى عالم الأحياء والبشر، فعليها أن تغمض عينيها ويسحبها السيد المحرم كالأنعام بالضبط، وإذا خافت أن تقع فى حفرة مثلاً أو يصدمها أتوبيس، فعليها أن تفتح عيناً واحدة، فالضرورات تبيح المحظورات.

وتمتلىء الصحف السعودية بنقاشات موسعة، عن حجم الرؤية المسموح به شرعاً للمرأة، وعن أى العينين هى المسموح للمرأة باستخدامها عند الضرورة، هل هى العين اليسرى الخبيثة المرتبطة بالخبث والخبائث، أم العين اليمنى الطيبة الرؤوم، لأن السادة السعوديين يمنعون المرأة شرعاً من استخدام العينين، وبالمناسبة كل هذه المساجلات والفتاوى المختلفة عن أستخدام المرأة لحاسة البصر من تحت النقاب الشرعى - عندهم - ذى

الطبقات السوداء الثلاث. فعين المرأة عورة وكيانها كله عورة، فليس مسموحاً لعين المرأة أن تصافح ضوء الشمس، أو شعاع القمر أو رياح الربيع أو قطرات المطر.

وإذا كان السادة الوهابيون قد سمحوا للمرأة بمغادرة المنزل لحادث جلل ووفق قواعد شرعية صارمة، فيجب أن تفهم أن هذا الخروج أمر طارىء وحادث عارض، وعليها أن تعود إلى مقرها الشرعى فوراً وأن تغادر دنيا الأحياء والبشر والآدميين وتعود إلى الدنيا التى فرضها عليها السادة الوهابيون وهى دنيا غرف النوم؛ حيث تستعد فيها بالزينة والتطيب والتعطر والتجمل لعودة السادة الوهابيين من دنيا الناس والبشر والشمس والقمر إلى دنيا المرأة الحافلة بالطقوس والغواية والمتع الشيطانية الرائعة، لينهلوا من هذه الأجساد الشيطانية اللذيذة ثم يخرجون إلى الحياة فى الصباح ليسبُّوا المرأة على المنابر وعلى صفحات الجرائد والمجلات وأشرطة الكاسيت.

ودوائر الحصار والقتل الاجتماعى للمرأة لا تنتهى، فالسادة الوهابيون يقررونَّ أن المرأة غير مسموح لها برؤية الرجال أو الذكور من الأساس حتى لا تفسد فضيلتهم وتلوث طهرهم وعفافهم وبراءتهم المقدسة، أو حتى لا تمارس الفاحشة معهم على الفور، فالمرأة - عندهم - مخلوق ضعيف الإرادة عارم الشهوة، إذا ما وقع بصره على رجل - أى رجل - ذكر، أى ذكر، أبيض أسود، أفريقى آسيوى، أوروبى أمريكى ستقع فى غرامه وتنسحق أمامه فى نفس لحظة الرؤية، وعلى هذا فيجب بتر الموقف من الأساس ومهما كانت الظروف.

وعلى هذا ووفق الطقوس الوهابية التى أخذت شكل الدين، على المرأة ألا ترى طوال حياتها سوى أبيها وأعمامها وأخوالها وإخوتها وأولادها الذكور، أما بقية رجال العَالم والمجتمع البشرى فغير مسموح لها برؤيتهم، فالغواية الغواية قادمة، وحبائل

الشيطان ستنسج على الفور.

وإكمالاً لدوائر الحصار المضروبة حول المرأة، فلا يسمح السادة الوهابيون بأن ترى المرأة الرجل فى التلفزيون، سواء كان مطرباً أو ممثلاً أو شاعراً أو رئيس دولة أو حتى ملك البلاد، فكل هؤلاء ليسوا محارم. ومن تفعل ذلك فهى زانية، ضالة، خالدة فى النار وبئس القرار.

ولكن قد تلجأ الفتيات والنساء الماكرات إلى الخروج من دوائر الحصار المضروبة حولهن من خلال الذهاب إلى المدارس والجامعات وهناك تكون الفرصة سانحة لرؤية مدرسيهم وأساتذتهم والتمتع بهذه الرؤية الآثمة، ولكن السادة الوهابيين دهاة ولا يمكن أن يغرر بهم ولا يمكن أن يسمحوا للفتيات بهذه الرؤية غير الشرعية لأساتذتهم أو نظار مدارسهم، وعلى هذا وبكل حسم ضموا كل مدارس البنات وجامعات البنات إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أى تحت السيطرة المطلقة للسادة الوهابيين أنفسهم وعلى هذا فلن يسمح لأى جنس ذكر ولا ملك البلاد ولا شيخ الأزهر ولا سكرتير عام الأمم المتحدة ولا لأى ولى أمر من أولياء أمور الطالبات من دخول مدارس البنات أو جامعات البنات مهما كانت الأسباب أو الظروف، ودون ذلك الموت. فالأساتذة سيدات وإذا تعذر وجود سيدات مدرسات واضطروا إلى استقدام أساتذة رجال أو أساتذة ذكور، فيجب أن يكون الأستاذ قد خرج على المعاش وأصبح كهلاً فاقد الذكورة، ورغم ذلك لاتراه الطالبات بشكل مباشر بلحمه وشحمه، ولكن يرى فقط من خلال دوائر تلفزيونية حتى يتحول إلى مجرد صورة إلكترونية. وإذا قالوا لهم علماء التربية لابد من وجود صلة مباشرة بين الأستاذ وطلبته حتى يقوم بدوره العلمى كما يجب، قالوا لهم: فليذهب

العلم إلى الجحيم، المهم ألا نسمح بأى تلامس بصرى بين إناث المملكة وذكورها، فانطباع صوة الذكور على شبكيات عيون الفتيات إثم وزنا وهابى يجب منع حدوثه.

ومن أطرف الحوارات المثارة فى ديار السادة السعوديين على صفحات الفتوى فى الجرائد والمجلات وفى الكتب الوهابية التى تغمر المكتبات والأسواق، الحوار حول أيهما أشد فى الحرمة لمس المرأة الأجنبية - أى لمس أى امرأة ليست من المحارم - أو لمس العورة - عورة الشخص اللامس - أى ببساطة إذا لمس رجل ما عورته - وبالمناسبة السادة الوهابيون يحرمون ذلك اللمس تماما والرؤية أيضاً - وإذا شاء قضاؤه وقدره ولمس امرأة أجنبية سلم عليها مثلاً، أو لمست يده يدها أو كتفها أو ذراعها غصباً عنه مثلاً، فأيهما أشد حرمة: لمسه لعورته أو لمسه مساحة ضئيلة جداً من كيان امرأة.

وبالطبع يتبارى السادة الوهابيون فى ترجيح أى المنكرين أشد وأبغض عند الله.

تغطية الوجه إحصان للفرج

ولكن ما هى نقطة البداية التى لجأ إليها السادة الوهابيون فى إلغاء وجود المرأة احتماعياً؟ كيف نجحوا فى ذلك؟

نقطة البدء كانت قرارهم بأن وجه المرأة عورة أو عورة العورات ومعقل الغواية وايوان الفتنة والرذائل ومستقر الشياطين والأبالسة التى تهيمن على كيان المرأة.

وعلى هذا قرر السادة الوهابيون ستر وجه المرأة الشيطانى بنقاب أسود كثيف من ثلاث طبقات حتى لا يوضح أى ملمح شيطانى للوجه، كمحاجر العيون، أو عظمة الأنف، أو أى شئ من تكوينات هذا الوجه المغمور بالفتنة والإثم.

وكشف الوجه - إذا حدث لاقدر الله - سيقود المجتمع إلى الفاحشة وسارت سبيلا
فالوجه والنظر إليه أول طريق الزنا، وإذا ما أردنا القضاء على فاحشة الزنا يجب أن
نقضى على فاحشة ودنس التمتع بوجه المرأة العامر بأطايب الشهوات.

وهكذا وجدنا الشيخ صالح سليمان العقل الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود
بالرياض يقول بالحرف الواحد (إن الأمر بحفظ الفرج أمر به وبما يكون وسيلة إليه، ومن
وسائل حفظ الفرج تغطية الوجه)[١]

هذا الربط الفج بين كشف وجه المرأة وحفظ فرجها، يؤكده لنا الشيخ عبد العزيز بن
باز كبير الوهابيين من خلال لىّ أعناق المعنى فى الآية الكريمة التى تقول «وقل
للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها
وليضربن بخمرهن على جيوبهن» فيشرحها الشيخ بالمنطق الآتى:

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار، وحفظ الفروج، وماذاك
إلا لعظم فاحشة الزنا، ولأن إطلاق البصر من وسائل مرض القلب ووقوع الفاحشة)[٢]

وهكذا يقرر الشيخ بن باز بكل بساطة أن النظر إلى وجه المرأة يقود إلى الزنا! والمرء
يسأل نفسه، هل إذا رأى وجه إنسانة .. آدمية.. تتمتع بملكات ومواهب الآدميين،
سيختزل كل هذا الوجود الثرى، المغمور بالكرامة والتفرد البشرى ولايرى إلا تلك
المساحة المحفوفة بالمكاره، إلا يمكن أن أرى إنسانة شاعرة تهزنى ملكاتها، تهزنى
آدميتها، حنانها البشرى، تقواها، خلقها، ضميرها الحى..عذوبتها والجمال المتدفق من
روحها.. إلى آخر سجايا بنى البشر، أم أن المرأة ليست من بنى البشر ولكن من بنى الجن
والشياطين؟!

(١) النقاب - د/ أحمد شوقى الفنجرى - ص ١٠٢ - ١٠٨.
(٢) الرسائل والفتاوى النسائية ابن باز - ص ٣ : ١٠.

ثم يستطرد الشيخ ابن باز فى شرح الآية الكريمة (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) فيشرحها وفق أغرب فهم يمكن تصوره فيقول (ما ظهر منها) يعنى بذلك (ما ظهر من اللباس فإن ذلك معفو عنه).

وبالطبع هذا التفسير مضاد للعقل والمنطق، فاللباس هنا مساو للوجود الإنسانى للمرأة نفسه وإلا لا ختفت المرأة عن الوجود ولكن المتفق مع العقل فى تفسير (ما ظهر منها) هو أجزاء الجسم البشرى التى سمح الله عزوجل بظهورها من جسد المرأة دون تغطية أو ستر وهى الوجه والكفّان كما قال السواد الأعظم من الفقهاء، وعلى هذا فالزينة التى سمح بها الشارع العظيم للمرأة هى زينة الوجه والكفين.

ثم يشرح الشيخ ابن باز الآية الكريمة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) قائلا: إن المقصود بذلك إنزال الخمر (جمع خمار) من الرأس لتغطى الوجه والصدر (الجيب فتحة الصدر فى ملابس المرأة). بينما يشرح الفقية الكبير ابن حزم ومعه المئات من الفقهاء وشراح القرآن الآية السابقة بطريقة مختلفة تماماً، مؤكدين أن المقصود تغطية الرأس والصدر، أى أن الخمار ينزل من الرأس ليغطى الصدر، أما الوجه فلم تتحدث عنه الآية على الإطلاق، ولو شاء الله عزوجل أن تغطى المرأة وجهها لقال عزوجل: وليضربن بخمرهن على وجوههن وليس على جيوبهن كما نصت الآية الكريمة. (وهذا القول قول ابن حزم).

ثم يشرح لنا الشيخ ابن باز الآية الكريمة القائلة: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فيقول : هذا نص واضح فى وجوب تحجب (يقصد تنقب) النساء عن الرجال وتسترهن منهم.

وهنا نقطتان جديرتان بالملاحظة، النقطة الأولى: أن هذه الآية موجهة إلى أمهات المؤمنين، والنقطة الثانية: أن حتى أمهات المؤمنين فى هذه الآية غير مأمورات بالنقاب، فكلمة الحجاب هنا لا تعنى لبس النقاب كغطاء للوجه، ولكنها تعنى ضرورة وجود ساتر أو فاصل، بمعنى أن الله عز وجل يأمر أصحاب رسول الله، بعدم الدخول إلى حجرات زوجات الرسول (ﷺ)، وأنهم إذا سألوهن متاعاً أو كانت هناك ضرورة للكلام فلتكن من خلف الباب، دون الولوج إلى داخل الحجرة احتراماً لمكانة النبى (ﷺ) ومكانة أمهات المؤمنين. كما تفعل معظم نساء مصر، فعندما يطرق طارق منزل زوجة زوجها غائب ونجد الطارق غير معروف لها أو ليس من محارمها فإنها تحدثه من خلف الباب. هذه هى المسألة ببساطة، فالآية الكريمة لاتتحدث ولاتأمر بالنقاب من قريب أو من بعيد، والدليل على أن معنى كلمة حجاب الواردة فى الآية تعنى هذا المعنى الذى شرحته، أن القران الكريم وردت به كلمة «حجاب» وفق هذا المعنى السابق، فالآية الكريمة تقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب). فالآية الكريمة كما هو واضح تؤكد أن الله عز وجل لايكلم البشر بشكل مباشر فإما من خلال وحى أو من وراء حجاب أو ساتر أو فاصل، فليس من المعقول أن تكون كلمة «حجاب» هنا بمعنى نقاب، إذن فكلمة حجاب وردت فى القرآن الكريم كساتر أو فاصل وليس كنقاب تغطى به المرأة وجهها.

وهناك دليل آخر من السيرة النبوية يؤكد ما سبق أن قلناه، وهو أن صحابة رسول الله كانوا يدخلون بيته ويتحدثون إلى زوجاته بعد نزول هذه الآية ولكن فى حضور النبى (ﷺ) وبدون أن يرتدين نقاباً. فقد جاء فى صحيح مسلم عن جابر: «كنت جالساً فى

داري فمر بي رسول الله (ﷺ) فأشار إلى فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت الحجاب عليها..» رواه مسلم في باب الأشربة، فمن الواضح أن مفهوم الحجاب هنا لم يكن غطاء الوجه [1].

ويستمر الشيخ ابن باز في حصار المرأة المسلمة، فيقول في شرح الآية الكريمة «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً»: (الجلابيب جمع جلباب وهو ما تضعه المرأة على رأسها للتحجب والتستر به).

نقول ببساطة أنت تقول إن الجلباب ما تضعه المرأة على رأسها، فمن أين أتيت بمسألة «للتحجب والتستر»؛ فالله عزوجل أمر النساء بتغطية رؤوسهن لا أكثر ولا أقل فلم التكلف. ولكن قضية إماتة المرأة اجتماعياً وإنسانياً هي القضية الأساسية عند السادة الوهابيين، هذه هي المسألة.

والإشراق الوهابي يمتد إلى كل مكان، وهكذا وجدنا الشيخ صالح سليمان العقل أحد أقطاب المؤسسة الوهابية الكبار يشغل الصحافة الكويتية شهوراً طوالا بقضية وجه المرأة، ومأساة كشفه وسفوره في بعض الأقطار الإسلامية الضالة، ولنبدأ بعناوين بعض مقالاته المحاربة:

الوجه موضع الجمال والفتنة وستره ضروري وواجب.

العنوان الآخر: على المرأة ألا تبدي إلا عينا واحدة وعند الحاجة. ولا تعليق عندي على هذه العناوين المروعة ويكفي ما فيها من إشراق ذاتي!!

---

(١) النقاب - الفنجري - ص ٤٠.

ثم يقول الشيخ صالح: إن سفور وجه المرأة وكشفه للرجال، غير جائز لأن الوجه يجمع كل المحاسن وهو أكثر الأعضاء فتنة وإغراء، وكل البلاء والخطر فى كشف الوجه.

وهكذا قرر السادة الوهابيون أنه يكفى المرأة عين واحدة لتتعامل بها مع الحياة كل الحياة، ترى الشارع بعين واحدة، ترى الجامعة أو المدرسة بعين واحدة، تدخل المعمل بعين واحدة، تتذوق مناظر الجبال والأنهار والبحار والوديان بعين واحدة ولكن تستعمل العينين فى حجرات النوم الوارفة الظلال فقط، أما كل الحياة الثرية الممتدة فيكفى للتعامل معها عين واحدة.

ثم انظروا إلى هذا القياس الفج: [بما أن الله (عزوجل) قد أمر النساء بحفظ الفرج فيجب ستر الوجه]. ولكن ما علاقة حفظ الفرج بستر الوجه؟ قد يكون ستر مواضع الفتنة والإغراء من جسد المرأة شئ معقول وواجب ولكن ما العلاقة المريبة بين الوجه والفرج كما يخبرنا الشيخ صالح [١].

ويواجهنا الشيخ صالح أيضاً بقياس عقلى غريب آخر فيقول: بما أن ستر أقدام المرأة واجب شرعى، وبما أن القدم أقل فتنة من الوجه، فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه وهو الوجه.

ونقول: أولاً من الذى قال إن أقدام المرأة عورة؟ فكثير من الفقهاء الأعلام ضموا الأقدام إلى الوجه والكفين وأجازوا للمرأة عدم سترهما. ثانياً: هل هذا قياس عقلى

---

(١) النقاب - د/ الفنجرى - ص ١٠٢ - ١٠٨ .

أصلاً؟ هل يعقل هذا المنطق: بما أن القدم أقل فتنة من الوجه وبما أن القدم أُمرت النساء بتغطيتها، فلابد أن تغطى النساء وجوههن لأنها أكثر فتنة من الأقدام؟ الوجه ياشيخ صالح خارج نطاق قياسات الفتنة وبارومترات الشهوة والغواية، الوجه هو الإنسان، هو موطن الحضور البشرى، والذى يتعامل الكائن البشرى أو غير البشرى مع الحياة من خلاله.

ومن عجائب الأمور أن الهوس بتغطية وجه المرأة أوستره وصل إلى حد أن بعض السادة الوهابيين قرروا ضرورة تنقب النساء داخل المنازل أيضا، حتى لاتراهن الملائكة[١] فتكون فتنة لاتحمد عقباها تهز أعطاف عالم الملائكة المتفرغ لعبادة الله. وهكذا تم حصار المرأة حصاراً كاملاً فى كل سنتيمتر من الكون كله، وأوقفوا زحف الغواية المفسدة لعالم الإنس والجن والملائكة!

فتاوى الشعور النسائية

وإذا كان السادة الوهابيون قد خاضوا معركة وجه المرأة، وقد حاولت أن أشرح أسرار هذه المعركة المثيرة، فلابد أن أشرح معركة السادة الوهابيين مع شعر المرأة، فهى معركة جديرة بالتأمل والاستكشاف.

فأولاً نحن متفقون أن شرع الله أمر النساء بتغطية شعورهن، لاغبار على ذلك، ولكننا لم نعلم أن هناك عوالم كاملة من الأحكام (الشرعية) الخاصة بشعور النساء تحدد

(١) المصدر السابق ـ ص ٥٦ عن كتاب «حقوق النساء فى الإسلام» للشيخ محمد رشيد رضا.

لنساء المسلمين دون نساء الأرض جميعاً قواعد تعاملهم مع شعورهن (والقصات) الشرعية وغير الشرعية وحكم قص الشعر على طريقة الأجنبيات، وحكم التعامل مع الكوافيرات ـ الكوافير الرجل محرم تحريماً كاملاً أصلاً ـ ويجب أن ننبه إلى أن كل هذه القواعد (الشرعية) التى فرضها الوهابيون على النساء مقصود بها الشعر الذى تحت النقاب!!

ونلج الآن دنيا فتاوى الشعر الوهابية، ونبدأ بفتوى الشيخ العثيمين حول موقف نساء المسلمين من (قصات) شعور الكافرات فنجده يقول: (لا يجوز للمرأة المسلمة أن تقص شعرها بطريقة مشابهة لشعر المشركات، فمن تشبه بقوم فهو منهم)[١].

وعلى هذا، فإذا أعجبت أى امرأة مسلمة (بقصة) شعر أوروبية أو يابانية أو حتى أفريقية وعملت هذه (القصة) أصبحت فى لحظة مغمورة بالكفر كما أفتى الشيخ العثيمين.

ثم ينتقل الشيخ إلى موقع آخر، إلى خط آخر من خطوط المواجهة الوهابية فى معركة الشعور النسائية. وهو هنا يحدد بشكل حاسم لنساء المسلمين القصة الشرعية المعتمدة وهابياً فيقول:

«إن فرق شعر الرأس من جانب واحد خلاف السنة، والسنة أن يكون فرق الرأس من الوسط ويكون الشعر من الجانبين على السواء»[٢].

ولكن نساء المسلمين لم يعرفن حكم رفع الشعر إلى أعلى أو حكم عمل كعكة

(١) فتاوى النساء ـ العثيمين ـ ص ١٦.

(٢) المرجع السابق ـ ص ٦٦.

بشعورهن المتمردة، هنا ينبرى الشيخ العثيمين ليغطى هذه الثغرات الإيمانية والفقهية فيقول:

«إذا كان الشعر إلى فوق ففيه نهى، أما إذا كان على الرقبة فى شكل كعكة، فإن هذا لا بأس به، إلا إذا كانت المرأة ستخرج إلى السوق فإنه فى هذه الحال يكون من التبرج لأن الكعكة سيكون لها علامة من وراء النقاب، ويكون هذا من باب التبرج وأسباب الفتنة فلا يجوز»[١].

وهكذا حدد الشيخ الخطوط العريضة لتعامل النساء فقهياً مع شعورهن، وأفتى بأن رفع الشعر إلى أعلى فيه نهى، وبعد أن أسعد النساء المسلمات بجواز عمل كعكة بشعورهن من الناحية الفقهية، اكتشف أن هذه الكعكة الملعونة ستظهر آثارها وسيكون لها علامة من وراء النقاب وسيحدث كل ذلك فتنة عظيمة، فتنبه إلى خطورة الموقف ورفض شرعياً وفقهياً تحويل شعر المرأة إلى شكل الكعكة تحت نقابها لأنه سيكون تبرجاً.

وإذا كان الشيخ العثيمين فى ساحة شعر النساء فعليه أن يشعل نار الثورة والتمرد على الكوافيرات ويحرض الرجال على التصدى لهذه الفتنة قائلا: فعلى المسلمين وخصوصاً الرجال ذوى الألباب والعقول، أن يتقوا الله عز وجل فى هؤلاء النساء اللاتى وصفهن النبى (ﷺ) بقوله: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) يعنى النساء. فعلى الرجال أن يمنعوا هؤلاء النساء من السير وراء هذه الموضات الحادثة - كلها بالمناسبة تحت النقاب - التى اراد بها محدثوها وجالبوها إلينا أن ننسى الله عز وجل وأن ننسى ما خلقنا له.

(١) المرجع السابق - ص ٤٤.

وأرى أن هذه الكوافيرات فيها عدة محاذير:

المحذور الأول: ما تفعله الكوافيرات من التحلية بحلى الكفار فى الشعر وغيره ومن المعلوم أن ذلك محرم. لأنه من التشبه بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

المحذر الثانى: أن فى هذا إضاعة لمال كثير بدون فائدة، بل إضاعة لمال كثير لما فهى مضرة. فالمرأة المصففة للشعور المحولة لشعور المؤمنات إلى مثل شعور الكافرات أو الفاجرات تأخذ منا أموالاً كثيرة طائلة، لانجنى منها ثمرة سوى التحول إلى موضات قد تكون مدمرة.

المحذور الثالث: أن فى ذلك تنمية لأفكار النساء وأن يتخذن مثل هذه الحلى التى تتمتع بها نساء الكافرين، حتى تميل المرأة بعد ذلك إلى ما هو أعظم من هذا الأمر من تحلل وفساد فى الأخلاق.

المحذور الرابع: هذه الكوافيرات يفعلن بالنساء من هتك العورات ما لا حاجة إليه بأن هذه الكوافيرات تمرّ ما يمونه بالحلاوة على أفخاذ المرأة وعلى ما حول قبلها حتى تطلع عليه بدون حاجة. ومن المعلوم أن النبى (ﷺ) نهى أن تنظر المرأة إلى عورة المرأة.

ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى عورة المرأة إلا إذا كانت هناك حاجة تدعو إلى النظر، وهذا ليس بحاجة، ثم ما الفائدة من أن نجعل المرأة كأنها صورة مطاط ليس فيها شئ من الشعر. وما يدرينا لعل فى إزالة الشعر الذى أنبته الله بحكمته مضرة على الجلد ولو على المدى البعيد، ثم ما يدرينا لعل الصواب قول من يقل: إن إزالة الشعر من الساقين والفخذين والبطن لا يجز لأن هذا الشعر من خلق الله عزوجل وإزالته من تغيير خلق

اتباع أوامر الشيطان. ولم يأمر الله تعالى ولا رسوله بإزالة هذا الشعر، فالأصل أنه محرم لايزال.

هذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم. والذين قالوا بالجواز لا يقولون إن إزالته وإبقاءه على حد سواء بل الورع والأولى ألا يزال هذا الشعر.

وإننى أوكد النصيحة على الرجال والنساء ألا ينخدعوا فى هذه الأمور. وأرى أن تجب مقاطعة هذه الكوافيرات، وأن تقتصر النساء على التجمل بما لا يكون مضراً فى الدين موقعاً فى الحرام بالتشبه بالكفار[1].

وإذا راجعنا محاذير الشيخ العثيمين وجدنا العجب العجاب، فنكتشف أن هناك تحلية (مكياج، قصات شعر.. إلخ) مؤمنات وتحلية كافرات من الإفرنجة، والغريب أن كل حديث الشيخ العثيمين ليس عن تجمل للمرأة تسير به فى الشارع كاشفة شعرها ووجهها حتى يكون له بعض العذر، ولكن كل كلامه عن التحلية أو التجمل داخل البيت، أو تجمل المرأة لزوجها أو تجمل المرأة تحت النقاب. ورغم ذلك أفتى الشيخ العثيمين بأن التجمل مثل الأوروبيات أو الآسيويات أو الأفريقيات منهيٌ عنه لأنهن كافرات. واكتشفنا من خلال فتاوى الشيخ العثيمين أن هناك شعوراً مؤمنة وشعوراً كافرة. ثم يدخل الشيخ منطقة المحرمات بلا داع ويتحدث فى أخص خصوصيات المرأة، ولن أعلق بأكثر من ذلك فما قاله يكفى ونشكره على اقتحامه هذه القضية الفلسفية العميقة بكل هذه الآراء المبتكرة والمستنيرة!

(١) من كتاب «فتاوى ورسائل فى الافراح» للشيخ ابن باز والعثيمين - ص ٢٠ - ٢٢ .

وبعد أن أفتانا الشيخ العثيمين فى كل قضايا الشعور الطبيعية كان عليه أن ينتقل إلى منطقة الشعور حتى لاتحدث فتنة فى ديار المسلمين ويختلط الحابل بالنابل والشعور المؤمنة بالشعور الكافرة وتختلط أنساب الشعر، ويقتحم علينا الغرب ديارنا بشعوره المستعارة الفاسقة فتلوث طهر نسائنا وتلوث شرف أمتنا، فينبرى قائلا: لا يجوز أن تلبس المرأة (الباروكة) للزوج بقصد التزين له، حتى إذا كان الزوج لا يرغب فى زوجته إلا بمثل ذلك، وأخشى أن تكون من الوصل الذى تستحق فاعلته اللعن والعياذ بالله [١].

ولا يترك الشيخ العثيمين والسادة الوهابيون شعور المرأة بسهولة، فانطلق يغطى تلك المساحات الجديدة التى لم تغطها فتاويه، وأقصد بذلك شعر الحاجبين، فقال الشيخ العثيمين: إزالة الشعر من الحاجبين إن كان بالنتف فإنه هو النمص، وهو من كبائر الذنوب والعياذ بالله، وإن كان بغير النتف - بالقص أو بالحلق - فان بعض أهل العلم يرون أنه كالنتف لأنه تغيير لخلق الله، فلا فرق بين أن يكون نتفاً أو أن يكون قطعاً أو حلقاً وهذا أحوط بلا ريب [٢].

وهكذا نجح الشيخ فى فرد مظلة الوهابية على شعور النساء المتمردة ووضع الضوابط (الشرعية) لكل مساحات الشعور بكافة أنواعها وأشكالها وأوضح للمرأة كيف تنضبط فقهياً فى تلك القضية، كما استطاع محاصرة الشعور الكافرة ومنع تسللها الآثم إلى ديار المسلمين وهكذا نامت الأمة قريرة العين لتغطية تلك المسألة بترسانة من الفتاوى.

---

(١) فتاوى النساء - ص ٤٣ .
(٢) فتاوى النساء - ص ٢٧ .

فاحشة العطر

ويستمر السادة الوهابيون فى حصار المرأة وقتل وجودها الإنسانى وتحويلها إلى سلعة جنسية، يجب أن يستمتع بها ويلتهمها الرجل ولا وجود لها خارج ذلك، ناسين أنها إنسان، قبل أن تكون أنثى، ويمكنه أن يلمس وجوده فى كل جنبات الحياة، يمكنه أن يتريض فى الشارع وأن يذهب لسماع كونسير مثلا، أو أن يذهب إلى مكتبة لقراءة أو شراء كتاب.. ولكن السادة الوهابيين لا يعترفون للمرأة بأى وجود آدمى أو إنسانى، فهى عندهم مجود أداة جنسية، لايرون فى وجودها وكيانها ألا موطناً للفاحشة، وعلى هذا فيجب حجب هذا الكيان وإخفاء معالمه، لاوجه لاصوت لاعين لا إظهار لأى ملمح بشرى أو أنثوى لهذا الكيان الشرير الماكر، ولكنهم اكتشفوا أن المرأة يمكن أن تتعطر، وأن العطر ممكن أن يتكلم ويهمس ويصخب ويعبر ويشى بآدمية وحياة متدفقة تحت النقاب والستائر والحوائل والحجب الكثيفة، إذن لابد من وقف ثورية العطر وتمرد النساء من خلال العطور، أو حركة العصيان المدنى للنساء عبر زجاجات العطر، فإذا كانت روح المرأة وعقلها ووجهها وصوتها وبانها حبيساً، فإن العطر طليق، وإذا كان كيان المرأة مخفياً فإن عطرها معلن بل صاخب العلانية صاخب الحضور، كأنها أرسلت كيانها كله ليتدفق من تحت الحجب عبر خصلات العطر المتماوجة فى مسلحة تواجدها، إذن لابد من صدور الفتاوى المسيطرة على النشاط العطرى الأنثوى فى ربوع المملكة وهكذا أطلق الشيخ العثيمين فتاواه قائلاً (خروج المرأة متطيبة إلى السوق (أو أى مكان عام) محرم لما فى ذلك من الفتنة. أما إذا كانت المرأة ستركب فى السيارة ولا يظهر ريحها إلا لمن يحل له أن تظهر الريح عنده وستنزل فوراً بدون أن يكون هناك رجال فى المكان المتوجهة

إليه ، فهذا لابأس به، لأنه فى هذا محظور، فهى فى سيارتها كأنها فى بيتها، ولهذا لا يحل للإنسان أن يمكن إمرأته أو من له ولاية عليها أن تركب وحدها مع السائق لأن هذه خلوة. أما إذا كانت ستمر إلى جانب الرجال فإنه لا يحل لها أن تتطيب [١].

ويحارب فى معركة العطر ومحاولة وقف وتمرده الشيخ ابن باز الذى يفتى قائلاً: يجوز للمرأة الطيب إذا كان خروجها إلى مجمع نسائى ولاتمر فى الطريق على الرجال، أما خروجها بالطيب إلى الأسواق التى فيها الرجال فلا يجوز [٢].

وهكذا انبرى علماء السعودية يواجهون تلك المعركة العطرية الشيطانية الخبيثة، فمن خلال العطر تكتسب المرأة أنوثة ما، حضوراً ما، وجوداً ما، حياة ما، رغم كل أنواع الحجب والستائر المهالة على كيانها من قِبَلهم.

ولكنهم نسوا أن المسألة ليست مسألة أنوثة أو عدمها (رغم أن الأنوثة والتعبير المحتشم والراقى عنها غير محرم شرعاً وعقلاً وضميراً)، وأن المرأة كإنسان من حقها أن تتطيب كما يحق للرجل ذلك أيضاً فكما أننا - كبشر - نحتاج أن ننظف أجسادنا ونرتدى ملابس نظيفة، فإننا نحتاج أيضاً إلى وضع عطر ما يشعرنا بالآدمية وأن الحياة ليست قاحلة وليست وجوداً كئيباً معتماً وآسناً، فالعطر احتياج بشرى يخفف من جهامة الحياة وقسوتها علينا كآدميين، وليس العطر سيالاً جنسية صاخباً محملاً بشتى النداءات ترسله المرأة لتلويث البيئة الإسلامية.

صحيح هناك بعض الأحاديث المروية عن الرسول (ﷺ) تحذر من تعطر المرأة، ولكن

(١) فتاوى النساء - ص ٥٤ .
(٢) الجزء الأول من فتاوى ابن باز «كتاب الدعوة» ص ١٨٥ .

أي دراس حقيقى للسنة الشريفة المطهرة يعلم من نصوص هذه الأحاديث وظروف قولها، أن الرسول الكريم لم يقصد منع المرأة من التعطر ولكنه قصد عليه الصلاة والسلام منع التعطر والتجمل الزائد للمرأة فى ظروف ومجالات خاصة يحتك فيها الرجال والنساء مثل الصلاة ومناقشة شئون المسلمين فى المساجد - ومن المعلوم أن الرجال والنساء يصلون معاً ويجلسون معاً فى المسجد مع الرسول الكريم - ولهذا رأى أنه يجب على المرأة الالتزام بقدر كبير من الاحتشام لقداسة المسجد وحتى لا يفسد تجمل النساء الزائد الجو الروحى للمكان والأشخاص، ومن المعلوم ديناً وشرعاً أن الاحتشام والتجمل الرشيد بلا ضجيج عطرى أو جمالى زائد هو الأساس بالنسبة لنساء المسلمين أو حتى رجال المسلمين، ولكن هناك فرقاً بين أن تدعوا للاحتشام وعدم الابتذال والارتباط بالفضائل وبين أن نحول حياة المسلمين إلى حياة قاحلة جرداء لا تتفتح فيها أزهار حياتهم ولا تورق فيها أيامهم بأسم الإسلام.

وقع أقدام المرأة عورة

ويستمر السادة الوهابيون فى حصار ومطاردة كيان ووجود المرأة خوفاً من أن ينفلت أى قطاع من كيانها أو شريحة من جسدها الشيطانى ولا تغطية فتاواهم ولهذا قرروا بوضوح: أن الثوب الشرعى للمرأة يجب أن يجرجر على الأرض حتى يضمنوا ألا يفلت مليمتر من قدميها الماكرتين، بل زفتوا أنه حتى إذا اضطرت أن تعبر طريقاً ممتلأ بالأوساخ والمياة النتنة (هكذا قالوا) فلا يجب كشف ملميتر من أقدام النساء رغم كل الأوساخ التى تملأ الطرق. والأدهى من ذلك. حتى لو كن فى طريقهن إلى المسجد.

ويستندون فى ذلك إلى حديث، فهل يعقل أن الإسلام دين النظافة والطهارة

يأمر المرأة بأن تسير فى الأوساخ بثوب يجرجر على الأرض دون أن يسمح لها برفع ملميتر من الثوب، بل إنهم يفتون بأن الثوب الطويل الذى يجرجر فى الأرض بالإضافة إلى سترة أقدام النساء، فإن له وظيفة (شرعية) لاتقل قيمة عن الوظيفة الأولى، وهى وظيفة مسح آثار أقدام النساء على الرمال مما يثير مشاعر الرجل الجنسية، وهكذا بدأ السادة الوهابيون حملة المطاردة على المرأة فعملوا على إخفاء وستر وجودها بالكامل ثم تحركوا إلى مساحة جديدة، وهى محاولة ستر آثار وجودها نفسه المفعم بالشهوات.

وفى هذا المعنى يقول الدكتور الفنجرى: حتى آثار أقدام المرأة على الأرض يعتبرونها عورة. وذهب خيالهم المريض إلى تصور أن الرجل إذا رأى أثر قدم امرأة على الأرض فقد يثير ذلك فيه الفتنة والإغراء الجنسى. فحكموا على المرأة أن تلبس إزاراً طويلاً تجرجره على الأرض حتى يمسح آثار أقدامها ويمنع الفتنة والإغراء عن الناس، ومازال هذا الأمر معمولاً به فى عصرنا الحاضر بعد تمهيد الطرق بالأسفلت، وهم يستشهدون على ذلك بأحاديث نبوية مطعون فى صحتها.. ولكنهم يتمسكون بها وكأنها قرآن منزل، ومن ذلك حديث عن جر الإزار فى الأرض المنتنة وهو حديث ضعيف.[١]

عبث الأنامل

وتستمر معارك الوهابيين، فيكتشفون أنهم بعد أن نجحوا فى إخفاء المرأة من الوجود والحياة والمجتمع وعالم الأحياء، بكل أنواع السواتر والحوائل والأقنعة السوداء ذات الطبقات الثلاث الكثيفة، اكتشفوا بعد كل ذلك، أن هناك ثغرة هائلة فى دوائر

(١) النقاب د/ الفنجرى. ص ٥٥ + فتاوى النساء «العثيمين» ص ٦٦.

الحصار المضروبة حول المرأة. فالمرأة صحيح مخفية وغير واضحة للعيان من المهد إلى اللحد، ومغمورة بالسواد طوال لحظات حياتها، ولكنها تستطيع أن تسلم على الرجل وأن تقبض على يده ويقبض على يدها، ويتدفق وجودها ودفؤها وأنوثتها عبر أناملها الرقيقة، وقد تذوب الأنامل وتنصهر بين الأصابع العفية القوية للسادة الذكور، وتسيل الذكورة من جنبات الأصابع والأنوثة من مسام الأنامل وهنا تحدث الفتنة وتنهار كل الجدر وكل الأسوار، فأنامل النساء لا تسلّم بل تقبّل قبضات الرجال العاتية المفعمة بالفحولة والعنفوان وبذلك يفسد بنيان المجتمع وتنهار أخلاقياته من خلال مساحة التماس هذه بين ذكور المسلمين وإناث المسلمين، إذن لابد من التدخل الوهابى للقضاء على مساحة التماس هذه قبل أن يستفحل الأمر ويتحدث ذكور المسلمين إلى نساء المسلمين!!

وقد يتجرأ ذكور المسلمين ويطالبون برؤية وجوه الإناث من غير المحارم، إذن لابد من تدخل جراحى وهابى حاسم. وهكذا يعلن السادة الوهابيون أنه غير مسموح للمرأة أن تسلم على الرجل أو أن يسلم الرجل على المرأة باليد، لاتماس، لالمس، لامسّ على السواعد والأنامل أن تتباعد، عليها ألا تلتقى على الإطلاق، لامساحة تواصل، لامساحة اقتراب، بتر.. قطع.. للموقف من أساسه، على المرأة أن تظل مسربلة بالسواد الكثيف وعلى أناملها الخبيثة أن تتعلم الاحتشام، فلا تواصل بالنظر ولا تواصل بالمسّ أو اللمس، وهكذا يقول الشيخ العثيمين:

النساء الأقارب إن كن محارم للإنسان، يعنى من المحرمات عليه فى النكاح، فإنه يجوز أن يصافحهن من وراء حائل ومباشرة وأما إذا كانت القريبة ليست محرمة فإنه

لايجوز أن يصافحها لابحائل ولابدونه، حتى لو كانت من عادتهم أن يصافحوهن فإنه يجب على المرء أن يبطل تلك العادة لأنها مخالفة للشرع فإن المس أعظم من النظر وتتحرك الشهرة بالمس أعظم من تحركها بالنظر غالباً. فإذا كان الإنسان لا ينظر إلى كف امرأة ليست من محارمه فكيف يقبض على هذا الكف). [(١)]

صحيح.. إذا كان الرجل الوهابى غير مسموح له برؤية الكف النسائى الوهابى أو الظفر النسائى الوهابى فكيف يمسك بتلابيب هذا الكف ويقبض عليه ويحتويه ويستنزف أنوثته ويسيل كل ذلك فى كيانه الآثم، السادة الوهابيون يفتون بذلك وهم يعلمون أن السيدة نسيبة بنت كعب كانت تحارب مع الرسول (ﷺ) ودافعت عن حياته النساء فى غزوة أحد وأنها شخصياً قد حاربت دون الرسول (ﷺ) ودافعت عن حياته عليه الصلاة والسلام، فهل كانت تحارب وتقبض على السيف والدرع وهى ترتدى قفازاً مثلاً وتضع على وجهها نقاباً من ثلاث طبقات سود ؟! كلا بالطبع، من المؤكد أنها كانت مكشوفة الوجه، ومن المؤكد أنها لم تكن ترتدى قفازاً فى يديها وإلا لما استطاعت أن تقبض على السيف والرمح والدرع وتحارب وتكر وتفر، فقبضتاها وأجزاء من ساعديها من المؤكد أنهما كانتا مكشوفتين ورآهما الرسول (ﷺ) وكل الصحابة رضوان الله عليهم. ولكنه الفقه الوهابى البدوى والفهم الطفولى لعقائد المسلمين.

فاحشة الصوت الأنثوى

والسادة العلماء السعوديون الأكارم مازالوا مستمرين فى الحركة من أجل اكتشاف أى مساحة تواصل بشرى مازالت ليست تحت السيطرة، وقد وضعوا أيديهم الفطنة على

(١) فتاوى النساء - ص ٢٠ - ٢١ .

مساحة جديدة عامرة بالشرور والآثام إنها صوت المرأة، فقد تكلم المرأة الرجل، قد تحييه، قد تتجاذب معه اطراف الحديث، قد تسأله عن الطقس، قد تسأله عن أحواله، عن صحته، عن عائلته، وهنا ينهمر وجود المرأة وينسكب مع صوتها، والصوت دنيا كاملة.. مساحة يانعة وارفة الظلال فواحة بعطر الكلمات وصخب الهمسات، إذن لابد من محاصرة الصوت ووأده وقتله ومنعه من الخروج ووقفه عن الصدور، لابد أن تتكلم المرأة إلى الداخل. لامجال للتعبير الإنسانى، دائما مساحة الجنس تشغلهم وتلوث تفكيرهم وتفرد غلالة من الدمامة على أفكارهم، لم يستطيعوا تصور المرأة تتكلم كما يتكلم الأدميون فى قضايا الحياة والمجتمع والدين والعلم والأدب والفن وكل قضايا وهموم الحياة والبشر والناس، ولكن ما تصوروه صوت مفعم بالرغبة مضمخ بعطر الأنوثة محمل بعواصف الإثم، متلون بكل ألوان الشهوة ونداءات الجسد، وهكذا قرروا: وبكل حسم: صوت المرأة عورة، صوت المرأة لايسمعه إنسان، صوت المرأة مفعم بالآثام، صوت المرأة هو صوت الرغبة، هو صوت الجسد، هو صوت عربدة الجنس ودمدمة الدماء، فقالوا: (صوت المرأة عورة فلايجوز أن تنطق أمام الرجل ولو بقراءة القرآن).[1]

بينما كتب السيرة المطهرة مملوءة بحوارات النساء مع الرسول وفى حضور المئات من الصحابة، ناقشنه وناقشن كبار الصحابة فى كافة مشاكل واهتمامات المسلمين.

المهم أن السادة الوهابيين أكملوا الحصار حول المرأة فلا يمكن أن يراها أحد أو يسمع صوتها أحد، إنها الحاضر الغائب، والحى الميت، والموجود بغير صورة، وبغير صوت وبغير حياة..

(١) النقاب د/ الفنجرى . ص ٥٧.

المرأة والحركة

ولكن إذا كان السادة الوهابيون قد حاصروا وجه المرأة وألغوه وحاصروا صوتها فحجبوه، وحاصروا وجودها كله فأهالوا عليه أكداساً من السواد والحجب وحكموا عليها بالحبس فى المنازل، لكن قد تطيع المرأة بكل ذلك وتخرج إلى الحياة وتغادر المنزل، فهى مازالت تملك قدمين قادرتين على الحركة، وهى إذا خرجت بذاتها من أسرها المنزلى قد تعبث بكل الأحكام واللوائح الوهابية. إذن لابد من حل وهابى لبتر صلة المرأة بالخارج، ففى الخارج شمس وهواء وضياء وسماء وبحر، ورجال، وقد تطيح حرارة الخارج بكل برودة وموات الداخل، وتهدم كل الجدر التى استطاع السادة الوهابيون صناعتها لعزل المرأة عن الحياة، إذن فلابد من طريقة لإبقاء كل العالم الوهابى المصنوع كما هو، ولابد من المحافظة على كل الجدر والأبواب والأقفال الوهابية التى تحاصر المرأة وتبقيها فى معازلها كما هى، وذلك بوسيلة مبتكرة جداً هى منع المرأة من الحركة، نعم منع المرأة من الحركة، وهكذا أفتى السادة الوهابيون بأن المرأة لا تتحرك بذاتها ولكن تتحرك بغيرها، فالمرأة ممنوعة من المشى والسير والتحرك والأنتقال من مكان إلى مكان بدون وجود رجل من محارمها، وإلا فلا انتقال ولاحركة، ولاتمدد فى المكان، أى مكان: مستشفى، مدرسة، مسجد، جامعة، حديقة، بحر، سهل، جبل. كل هذه الامتدادات المكانية محرمة على المرأة طالما لم يصطحبها السيد المحرم إليها.

لابد من وجود وصى على حركة المرأة، لابد من وجود وصى يضبط حركة وسلوك المرأة فى لحظات تواجدها فى عالم الأحياء والناس والسهول والوديان. صحيح أن المرأة مغطاة بأكداس من العباءات (ثلاث) وأكداس من الأنقبة (ثلاثة) وقفازات فى اليد

وغير ذلك من كل أنواع السواتر التى تحيل المرأة إلى شبح أسود متكامل. ورغم أنها ممنوعة من الكلام لأن صوتها عورة، إلا إنه لابد من وجود وصى ومرشد للمرأة فى مساحة تواجدها الضئيل خارج المنزل ليسيطر على نزواتها ويوقف انحرافها ويهدر آدميتها كإنسان له الحق فى الإحساس بكيانه ومسئوليته عن نفسه وعن سلوكه.

(مظاهرة النساء السعوديات)

وبالطبع كل أنواع الحركة بالنسبة للمرأة محرمة، فهى لا تستطيع أن تركب الدواب، لأن ركوبها الدواب سيحدث فتنة، وإذا دعت الضرورة الشديدة إلى ركوب المرأة الدواب فلابد من وجود المحرم معها فى كل مساحة حركتها.

والحركة بالسيارة كالحركة بالدواب، فالمرأة محرم عليها قيادة السيارة أو الدراجات أو الموتسكلات أو أى وسيلة حركة ميكانيكية، فأولاً: المرأة ممنوعة من الحركة بذاتها، وهى إذا قادت أى وسيلة ميكانيكية للمواصلات فإنها تتحرك بذاتها وهذه كارثة دينية كاملة، فالذى يتحرك بالمرأة ويقودها فى الطريق سيراً أو ركوباً لدواب أو من خلال وسائل حركة ميكانيكية السيد المحرم.

وأثناء حرب الخليج حاولت بعض النسوة السعوديات استغلال مناخ الحرب والمتغيرات السياسية والاجتماعية الطارئة التى أحدثها وجود مئات الألوف من القوات الأجنبية وعشرات الألوف من النساء الأمريكيات والأوروبيات على أرض السعودية، يقدن السيارات والطائرات والدبابات والعربات المصفحة، وهكذا خرجت يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠ [١] ٤٧ امرأة وفتاة سعودية وقدن ١٤ سيارة فى مدينة الرياض مطالبات بحقهن

(١) فريدة النقاش اليسار ١٣ مارس ١٩٩١ .

المشروع فى قيادة السيارة. وأنتفض المجتمع السعودى المتزمت، وكأن حركة الافلاك أختلت ونظام الحياة البشرية فسد، وتم القبض على النساء ولم يفرج عنهن إلا بعد أخذ تعهد على أولياء أمورهن بعدم تكرار ذلك وإلا فالويل والسبور وعظائم الأمور... وتوالت البيانات:

أصدرت وزارة الداخلية السعودية بياناً يؤكد على تحريم قيادة المرأة للسيارة وهددت بإنزار عقوبات صارمة على المتمردات. ثم أصدر الشيخ عبدالعزيز ابن باز مفتى السعودية الأكبر بياناً قال فيه:

«إن ما حدث هو بادرة سوء يجب منعها». ودعا للإبلاغ عمن يتبنى مثل هذا المطلب وإرسال برقيات استنكار لولاة الأمور. وقد امتلأت شوارع السعودية بالمنشورات المعادية للنساء والمطالبة بوقف حركة التمرد النسائية الضالة، وخرجت المظاهرات تطالب بالقضاء على رؤوس الفتنة، وطردت الحكومة النساء المتمردات من وظائفهن وقامت بفصل الطالبات الثائرات من جامعاتهن وصدرت القرارات بمنعهن من السفر بوجود محرم أو عدم وجودة، وشمل حظر السفر أزواجهن وآبائهن، وصرح وزير الداخلية: أن هؤلاء النسوة تربين خارج «بيوتنا الإسلامية» ثم أعتقل الصحفى «صالح العزاز» رئيس تحرير جريدة «اليوم» سابقاً ورئيس تحرير مجلة «الغرفة التجارية» بالرياض حالياً، بتهمة قيامه بالتقاط صور فوتوغرافية لمظاهرة النساء ودعوته وكالات الأنباء الأجنبية لتغطية حركة تمرد النساء السعوديات. وظهرت المنشورات فى كل مكان نثراً وشعراً تستعدى الجماهير على النساء، بعد نعتهن «بالساقطات» والمنحلات أخلاقياً ودينا واستبيحت دماؤهن فى قائمة بالأسماء تحت عنوان «اعرف عدوك» واختتمت كلماتها بالعبارة التالية:

«هذه أسماء الساقطات وبعض من يقف وراءهن من الشيوعيين والعلمانيين، فافعل ماتراه مناسباً» وتحولت المساجد إلى منابر لشتمهن والمطالبة باستتابتهن وإقامة الحد الشرعي عليهن. وتعدى ذلك للدعوة إلى قصر تعليم الفتاة على المرحلة الإبتدائية وتركيزه على علوم الدين فقط.

وهكذا انهارت حركة مطالبة النساء بحقهن في الحركة بلا محرم أو الحركة بلا قائد ومرشد، أو الحركة بلا وصي يأخذ بيد المرأة في الطريق سيراً على الأقدام أو داخل سيارة أو دابة أو طائرة، فالمرأة تتحرك بغيرها ولاتتحرك بذاتها، ولن يسمح علماء المملكة بأي حال من الأحوال بالحركة الذاتية للمرأة، فهي توضع في المنزل ثم توضع في الطريق بواسطة السيد المحرم، ثم توضع في أي مكان يرى قائد مسيرتها والوصي على حركتها أنه مكان يناسب (البضاعة) الموضوعة.

وهنا تثور إشكاليات فقهية وأخلاقية خطيرة، فإذا فرضنا أن زوجة سافر زوجها أو ولي أمرها الذي يقود (حركتها) إلى مكان ما، وهي في حاجة ماسة لزيارة طبيب وبالتالي تحتاج إلى تصريح بالحركة من البيت إلى الطبيب أو المستشفى، ولكن المحرم أو الزوج غائب، فهل يجوز لأخي زوجها مثلاً أن يقوم بمهمة المحرم ويقود حركة الزوجة من البيت إلى الطبيب ويصطحبها في السيارة ؟ ويجيب الشيخ العثيمين على هذه المسألة المؤرقة قائلاً:

«لا يجوز للزوجة أن تركب في السيارة وحدها مع أخي زوجها لأن ذلك من الخلوة غير الشرعية».[1]

---

(١) فتاوى النساء - ص ٤٤.

هكذا حسم الشيخ القضية، لا يجوز للمرأة أن تركب سيارة أخى الزوج إلى المستشفى، لكن يجوز لها أن تموت، يجوز لها أن تتفاقم حالتها الصحية، كل ذلك جائز ولاغبار وهابياً عليه، فأخو الزوج غير محرم عليها شرعاً، إذن لابد أن تبحث الزوجة عن محرم ليقود حركتها إلى المستشفى، فوجود المحرم أهم من زوال المرض وإنقاذ المريضة.

والمرء يسأل نفسه أى منطق أخلاقى يحكم هؤلاء الوهابيين. اللحظة لحظة مرض، اللحظة حرجة، وحياة إنسانة معلقة على سرعة نقلها إلى المستشفى، هل يعقل أن تكون مثل هذه اللحظة لحظة مراودة عن النفس، لحظة غزل، لحظة توهج عاطفى أوجنسى؟ هل يعقل أن السيد أخا الزوج سيتعامل مع تلك اللحظة بمنطق الاغتصاب لعفاف زوجة أخيه المريضة المهيضة الجناح؟ هل نلغى الحياة الاجتماعية تماماً حتى نمنع حدوث الآثام والأخطاء؟ إن الفكر الوهابى كله مبنى على أساس نقطة واحدة مركزية هى كيف نمنع فاحشة الزنا الهدف الوحيد للدين هو منع فاحشة الزنا، الهدف الأخلاقى للمجتمع عندهم هو منع فاحشة الزنا، وحتى نمنع فاحشة الزنا أقاموا أغرب مجتمع بشرى على وجه الأرض، أطاحوا بالنساء فى جانب، والرجال فى جانب، ثم ألغوا وجود المرأة من الحياة الاجتماعية أو الحضور الإنسانى، حتى لا تحدث فاحشة الزنى.

فاحشة الزنا ستظل - ياسادة - موجودة فى المجتمعات الإنسانية، لأن المجتمعات البشرية بها الصالح والطالح من البشر، بل كلما زاد الفصل والمنع كلما زادت مساحة الشوق إلى الإثم، ثم هل يعقل أن مجتمعاً تقام دعائمه وأسس بنيانه من أجل هدف واحد هو منع فاحشة الزنا، ألا توجد بالإضافة إلى هذا الهدف أهداف أخرى لا تقل قيمة عنه، مثل خلق مجتمع تسوده قيم العدالة؟ هل يعقل أن تقام فى الدولة السعودية

عشرات المؤسسات من أجل منع فاحشة الزنا وتكريس الفصل بين الجنسين ولا تقام مؤسسة واحدة فى الأراضى السعودية للدفاع عن قيم العدالة الاجتماعية أو تكريس وجودها، منع فاحشة الزنا هو الهدف القومى، أما حسن توزيع الثروة الهائلة على جموع الشعب فهدف تافه أو ليس هدفاً أصلاً.

فاسق الطائرة

وحتى لا نبتعد عن موضوعنا الأصلى فى هذا الجزء وهو حركة المرأة وإشكاليتها الوهابية المصطنعة، نتحدث عن إشكالية «حركية» جديدة مرتبطة بحركة المرأة بالطائرة، فالمرأة كما أخبرنا السادة الوهابيون لا تتحرك بذاتها وتتحرك من خلال وتحت سيطرة وإرشاد المحرم، ولكن قد لا يتواجد المحرم الذى يلازم المرأة المسافرة بالطائرة من مكان إلى مكان، من بلدة إلى أخرى، فهنا كيف تتحرك المرأة وهى ممنوعة وهابياً من الحركة الذاتية، وبدأت النساء السعوديات يبحثن عن وسيلة متاحة و(شرعية) للخروج من هذه الإشكالية الوهابية، فرأت بعض النسوة أنه إذا لم يتوفر لها المحرم الذى يستطيع ترك أعماله وماله وعياله ليسافر معها من بلد إلى بلد، فإنها يمكنها أن تتحرك من خلال أكثر من محرم، فمحرم يقودها من بيتها إلى مطار الرياض مثلاً، ثم تركب الطائرة وتهبط فى جدة ليتنظرها محرم آخر يأخذها من مطار جدة إلى المكان المتوجهة إليه كوسيلة للخروج من أزمة أو إشكالية وجود محرم مصاحب لها طوال حركتها خارج منزلها. وهنا انبرى الشيخ العثيمين ليتصدى لهذه الفتنة قائلاً:

إن الإنسان قد يؤدى امرأته إلى المطار وتأخذ بطاقة دخول الطائرة وتذهب إلى

الطائرة وينصرف المحرم ثم لا تقوم الطائرة لسبب ما ثم ينزل الركاب فى المطار قبل أن تقلع الطائرة فمع من تكون هذه المرأة؟

ثانياً: فرضنا أن الطائرة أقلعت، أليس من الممكن أن ترجع لخلل فنى ثم تهبط فى المطار الذى طارت منه وحينئذ تضيع المرأة!

ثالثاً: فرضنا أن الطائرة استمرت فى السفر ووصلت إلى المطار الذى تقصده وهبطت فنزلت المرأة، من سيصطحبها من الطائرة إلى صالة المطار؟ ثم إذا وصلت إلى صالة المطار هل نحن نضمن أن المحرم الذى يريد استقبالها يكون فى المطار، لو تأخر بسبب الزحام بقيت المرأة لاتدرى أين تذهب، فى هذه الصالة، وربما تخدع ويحملها شخص يقول لها أنا أوديك إلى بيتك ثم يضرب بها المهالك، والإنسان يجب أن يكون لديه غيرة على محارمه، ثم بعد هذا أيضاً نقول: لو زالت كل هذه الأسباب أو هذه الفتن، فمن الذى يكون إلى جانبها فى الطائرة، قد يكون إلى جانبها فى الطائرة رجل فاسق، وحينئذ تحصل الهلكة يأخذ رقم تليفونها ويعطيها رقم تليفونه ويضحك إليها وتضحك إليه ويحصل بذلك البلاء)[١].

وإذا حاولنا تأمل كلام الشيخ لنحاول التعرف على منطقهم فى التفكير سنجد أنماطاً من التفكير يصعب على الإنسان تصور وجودها أصلاً. أولاً هو قد حول مسألة سفر امرأة من الرياض إلى جدة إلى إشكالية فقهية ودينية وأخلاقية، ثم نتحرك داخل فتواه العظيمة، فنجده يتصور أن المحرم قد أوصل المرأة إلى مطار الرياض ثم انصرف وترك المرأة وحدها وشاءت الأقدار أن لا تقلع الطائرة فيقول العثيمين متحيراً ولافتاً النظر إلى قضية مهولة: فمع من تكون هذه المرأة؟

(١) فتاوى النساء - ص ٢٩ ، ٣٠ .

فالمرأة ـ وهابياً.. لايمكن أن يسمح لها أن تكون وحدها فى أى مكان خارج منزلها، لابد أن تكون فى صحبة محرم.، وإلا أصبح وجودها آثماً شرعاً، فالشيخ بتساؤله العميق: مع من تكون هذه المرأة، يقصد إفحام المعترضين ويلفت نظرهم إلى لحظة وجود تلك المرأة وحدها التى قد تكون قد غابت عنهم، ومدى إثم هذه اللحظة وخروجها على المشروعية الوهابية.

ثم يستمر الشيخ العثيمين فى لفت النظر إلى محاذيره (الدينية) فيقول: فرضنا أن الطائرة هبطت فى مطار جدة ـ والمرأة بغير محرم ـ فمن سيصحبها من الطائرة إلى صالة المطار؟

كأن المرأة لاتستطيع أن تمشى أو تركب سيارة المطار من الطائرة إلى صالة المطار مثل كل نساء ورجال وأطفال ودواب العالم. هذه المساحة الفاصلة بين الطائرة وصالة المطار ولم يصطحبها فيها محرم جدة المنتظر، هذه المساحة الهائلة، كيف يسمح للمرأة أن يفلت عيارها ويفك لجامها وتنطلق مثل الغوانى وبنات الليل لتعبر هذه المسافة وحدها؟! هذا خروج على الدين والخلق وكل القيم الإنسانية، كيف تتحرك مائتى متر دون قائد دون وصى شرعى من محارمها يشرف على اجتيازها هذه المفازة الهائلة؟! ثم يستمر الشيخ قائلاً: وإذا فرضنا أن محرم جدة لم يأت لأى طارىء، بقيت المرأة لا تدرى أين تذهب فى صالة المطار، وربما تخدع ويحملها شخص ثم يضرب بها المهالك.

كأن المرأة طفل ساذج أو حيوان أعجم يُفعل به أى شىء وهو لا حول له ولاقوة، ولاحظ كلمة «يحملها» شخص، كأنها شىء أو بضاعة وليست كياناً نابضاً بالحس ومغموراً بالعقل والرشد.

ثم يتذكر الشيخ العثيمين لحظات وجود المرأة داخل الطائرة وقبل أن تهبط مطار جدة، ويتذكر مساحات الإثم الهائلة فى تلك الفترة والمرأة من غير محرم وربما جلس بجوارها فاسق وتنتهز المرأة الفرصة السانحة، فأخيراً أفلتت من السادة المحارم وهاهى فى الطائرة وبجوارها فاسق رائع، ما أسعدها به!!

ما هذا اللغو والعبث؟! هل نساء المسلمين مجرد غوانٍ، أو مختلات العقول ليعملن علاقات مشينة فى أى لحظة ومع أى شخص وبلا أى وازع من دين أو خلق أو عقل؟ ألا يدرك الشيخ العثيمين أن كلامه هذا إهانة للمرأة السعودية والمرأة المسلمة بشكل عام؟!

حكم المنصة

ولكن هل هدأ السادة الوهابيون بعد كل دوائر الحصار التى أحاطوا بها المرأة! كلا.. لم يهدأوا، فقد اكتشفوا أن هناك نقاط تماس بين عالم المرأة المخفى.. السرى وعالم الذكور، نقاط اتصال قد يتواجد فيها بعض الذكور فى معازل النساء السرية، واكتشفوا أن أهم نقاط التماس تلك هى الأفراح! نعم الأفراح ففى خضم الصخب والفرحة قد يتسلل بعض الذكور الضالين إلى قاعات النساء الشهية العامرة بكنوز المخمل البشرى المعطر. وهنا ستحدث الفتنة وينسى الإناث والذكور الفرح والعريس والعروس ويتطارحون الغرام. وهنا انبرى السادة الوهابيون فأصدروا فتوى قشيبة هامة برقم ٥٢ بتاريخ ٤ / ٤ / ١٣٩٧هـ تقول (يجب منع اختلاط الرجال بالنساء فى حفلات الزواج وغيرها، ومنع دخول الزوج على زوجته بين النساء السافرات ومعاقبة من

يحصل عندهم ذلك سواء أكان الزوج أو أولياء الزوجة معاقبة تزجر عن مثل هذا المنكر).[١]

ولكن نقطة التماس هذه بين عالم الإناث وعالم الذكور لم ترعوى بعد هذه الفتوى، وتسامع الوهابيون عن «منصة» أدخلها الفسقة من الجنسين إلى الصالة التى يقام فيها الفرح، ووصلتهم أنباء أن هذه المنصة (الكوشة) يجلس عليها العريس والعروس بين النساء، ياهول ما سمعوا، كيف تسلل هذا العريس، هذا الذكر إلى عالم النساء، إلى هذا الكهف المبطن بالأسرار والشهوات، لن يسمح له بالتسلل والعبور إلى هذا العالم المغمور باللذائذ، لن يسمح له حتى لو كان العريس نفسه، كيف يرى بعينيه الذكريتين نساء سافرات، كاشفات الوجوه، مؤكد أنه سينسى عروسه وسيترك مكانه على المنصة ليعربد وينهل من كنوز النساء السحرية، فهذه فرصة فريدة بالنسبة له، ويجب وقف هذا التسلل المريب مهما كان الثمن.

وهكذا أصدرت هيئة كبار العلماء السعوديين فتوى رقم ٨٨٥٤ بتاريخ ١٤٠٥/٩/٨هـ فى حكم «المنصة»، هذا الكيان الآثم الذى يُجلسون عليه العريس - الذكر - بجوار عروسه بين النساء سافرات الوجوه. وعلى هذا قالت الفتوى:

«ظهور الزوج على المنصة بجوار زوجته أمام النساء الأجنبيات عنه اللاتى حضرن حفلة الزواج وهو يشاهدهن وهن يشاهدنه لايجوز، بل هو منكر يجب إنكاره، والقضاء عليه من ولى الأمر الخاص للزوجين وأولياء أمور النساء اللاتى حضرن حفل الزواج،

---

(١) فتاوى ورسائل فى الافراح لابن باز - ص ١٥.

فكلٌ يأخذ على يد من جعله الله تحت ولايته، ويجب إنكاره من ولى الأمر العام من حكام وعلماء وهيئات الأمر بالمعروف كل بحسب حاله من نفوذ أو إرشاد » تمت الفتوى.

ويظهر أن نقطة التماس هذه بين عالم الذكور وعالم الإناث مازالت متمردة وترفض الانصياع لفتاوى السادة الوهابيين، ومازالت أعلام التمرد تُرفع فوق منصات الأفراح ومازال بعض القراصنة التى تريد السطو على النساء والاستمتاع برؤية وجوههن السافرة المنهى عن رؤيتها وتسمع أصواتهم السافرة الشهية المنهى عن سماعها، إنها عملية قرصنة غير مسئولة وعبور إلى دنيا المحرمات الوهابية المقدسة.. وهكذا اضطر كبير الوهابيين الشيخ عبدالعزيز ابن باز إلى إصدار فتوى جديدة بخصوص هذه الانتهاكات والقرصنة التى يمارسها بعض العرسان من خلال المنصة، وقد نشرت الفتوى فى جريدة الجزيرة السعودية بالعدد ٥٨٧٧ بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٤٠٩ هـ وهذا نصها: (من الأمور المنكرة التى استحدثها الناس فى هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء يجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال، ولا يخفى على ذوى الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما فى هذا العمل من الفساد الكبير وتمكن الرجال الأجانب من مشاهدة النساء الفاتنات المتبرجات وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حسماً لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر).

معركة البرج

وللمحافظة على الفصل الكامل بين عالم الذكور وعالم الإناث وضع السادة

الوهابيون أحكاماً صارمة للإبقاء على هذا الفصل قوياً وحاسماً. وعلى هذا قرروا أنه فى حالة ضبط ذكر وأنثى فى بيت أو مصنع أو غرفة أو قاعة، فى إدارة عمل أو مصلحة حكومية أو وزارة ولايوجد معهما شخص ثالث، وحتى إذا كانا لحظة الضبط بعيدين عن بعضهما البعض ومرتدين ملابسهما كاملة وكل ما فى المكان يثبت أن تصرفهما يتسم بالخلق والعفاف والرشد وحسن النية، فكل ذلك لا يمنع من ضربهما ثلاثين سوطاً لكل واحد منهما، فمجرد تواجدهما معاً عمل مؤثم ويخضع لمنظومة التأثيم الوهابية.

وفى حالة ضبط ذكر وأنثى يتحدثان ـ مجرد الحديث ـ فى طريق عام يضرب كل واحد منهما عشرين سوطاً، فالذكر المسلم لايتحدث إلا إلى أنثى من محارمه فقط، والأنثى المسلمة لاتتحدث إلامع ذكر من محارمها، وأى خروج على ذلك عمل مؤثم وهابياً.

وفى حالة ضبط ذكر وأنثى يشير أحدهما للآخر، مجرد إشارة قد تكون سلاماً أو تحية أو نحو ذلك، يضرب كل واحد منهما عشرة أسواط، فلابد من المحافظة على الفصل الكامل بين المجتمعات الذكورية السعودية والمجتمعات الأنثوية السعودية حتى تقر عيون السادة الوهابيين.

ومن أطرف ما يروى فى مدينة الرياض فى شأن نقاط التماس بين عالم الذكور وعالم الإناث، أن بلدية الرياض قررت يوماً بناء برج ضخم لحفظ المياه، برج هائل الحجم يفوق ارتفاعه كل مبانى مدينة الرياض، وعهد إلى شركة «ديكرهوف وفيدمان»[1]

(١) أثريا ء الشرق (جرهارد نزلمان) ـ ص ٨٠.

الألمانية مهمة إقامة البرج، ورأت الشركة أنها يمكنها إقامة مطعم فاخر حول أسطوانة البرج، وعرضت ذلك على المسئولين السعوديين ووافقت بلدية الرياض على الفكرة.

وبالفعل تم بناء المطعم وجهز بأفخر أنواع الأثاث والأجهزة بما يتناسب مع الثراء الأسطورى للسعودية. وجاءت بلدية الرياض لاستلامه ففوجئت بمفاجأة مفجعة، فقد اكتشفت أن الشركة الألمانية الآثمة قد جهزت المعطم، على النمط الغربى الداعر الذى يسمح للعائلات أو الرجال والنساء معاً بدخول المطعم وذلك فعل فاضح علنى فى ديار السادة السعوديين، فصدرت الأوامر بإغلاق المطعم إلى الأبد ووأدت محاولة التسلل الغربى الآثم إلى ديار السعوديين فى المهد.

وهكذا انتصرت المملكة فى معركة البرج نصراً مؤزراً لايقل أبداً عن نصر حطين وعين جالوت والقادسية، فقد تصدت المملكة لهذا المخطط الصليبى الغربى وأعلمت الشركة الألمانية ومن وراءها أن هناك رجالاً أشداء ساهرين على وقار المملكة وفهمها الغليظ للعقائد، فلن يسمح فى المملكة بأى اتصال بين مملكة الذكور السعوديين ومملكة النساء السعوديات، فهناك مملكتان سعوديتان وليست مملكة واحدة، فالدولة السعودية تصرف مليارات الدولارات من أجل تكريس وجود المملكتين، مملكة النساء السرية المكيفة الهواء، ومملكة الذكور العلنية، مملكة الإناث ترتدى السواد، ومملكة الذكور ترتدى البياض، فالرجل مخلوق كامل، صحيح، له أن يفرح برجولته ويرتدى البياض ويخرج إلى ضوء النهار ويصافح وجه الشمس، والإناث عليهن أن يلعن الحداد الدائم على أنفسهن وأن يخجلن من أنفسهن ويدارين وجودهن ويكفنّه بالسواد فهن مجرد سوءات، مجرد أوعية للدنس عليها أن تتوارى عن الضياء والنور وتعيش كالخفافيش فى الظلمة.

والدولة السعودية تنشئ: مدارس للذكور ومدارس للإناث وجامعات للذكور وجامعات الإناث، ومكتبات للذكور ومكتبات للإناث، وبنوكاً للذكور وبنوكاً للإناث (بالمناسبة هذه ليست مزحة أو نكتة) وغير مصرح لأى جنس ذكر بدخول أى بنك من تلك البنوك النسائية المخملية الناعمة المكدسة بالدولارات الأنثوية والماركات المعطرة والبنات المفعمة بالنداء والرغبة، إلى غير ذلك من عشرات الإدارات والمؤسسات والمكاتب والأبنية التى تكرس الانفصال الكامل والباتر والحاسم بين مملكة الذكور ومملكة الإناث. هل يعقل ياسادة أن دولة معاصرة أو قديمة حقيقية أو أسطورية، آسيوية أو أفريقية عاقلة أو مجنونة، تصرف عشرات المليارات لمجرد الفصل بين الذكور والإناث؟!

سطوع العتامة السعودية

ومن المضحكات المبكيات أن السعودية كقلعة للتخلف والظلامية فى عالمنا الإسلامى لاتكتفى بتكريس الجهالة والظلامية فى الديار السعودية فقط، بل إنها تطارد أى حركة تنوير فى أى بقعة من بقاع عالمنا الإسلامى، وهكذا وجدنا الشيخ بن باز يتصدى للدكتور عبدالعزيز المقالح مدير جامعة صنعاء، ويتهمه بالكفر والمروق وبكل قائمة التكفير الوهابية القشيبة. والقصة تبدأ عندما نشرت جريدة السياسة الكويتية بعددها رقم ٥٦٤٤ مقالاً منسوباًإلى الدكتور المقالح يقول فيه إن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مخالف للشريعة الإسلامية، وقد استدل على جواز الاختلاط بأن المسلمين فى عهد الرسول كانوا يؤدون الصلاة فى مسجد واحد، الرجل والمرأة، ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون فى مكان واحد. هنا انبرى كبير الوهابيين ليرد على هذا الدكتور المارق

بمجلة البحوث الإسلامية السعودية [١]. وبعد أن يهاجمه بشراسة يقول فى نهاية مقاله: ونصيحتى لمدير جامعة صنعاء أن يتقى الله عزوجل وأن يثوب إليه سبحانه مما صدر منه، والله المسئول أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد. وأن يعيذنا وسائر المسلمين من القول عليه بغير علم (يقصد مدير جامعة صنعاء) ومن مضلات الفتن ونزعات الشيطان.

استباحة أجساد النساء

وبما أن المرأة مجرد شئ، أداة، كائن للمتعة، مخلوق فاقد الأهلية، فإن السادة الوهابيين لا يسمحون بعمل بطاقة شخصية أو حفيظة نفوس، كما يسمونها، للمرأة. فالمرأة مجرد كيان رخيم معطر أو مساحة من اللحم الأنثوى جائزة شرعاً ولامجال لأية اعتبارات تحفظ للمرأة إنسانيتها وآدميتها، أما أن تكون هناك أخلاقيات فى التعامل مع هذا الجسد الإنسانى تحافظ على عزته وعزة صاحبته فغير وارد على الإطلاق فمساحة الأخلاق المتاحة للمرأة هى المساحة المرتبطة بحفظ أعضائها المتعة لسيدها فقط، وعلى هذا أعطى السادة الوهابيون لأنفسهم الحق فى الإيغال الشاذ فى جسد المرأة مهما أدى ذلك إلى إهانة المرأة وجرح أنوثتها وتحويل كيانها الروحى إلى أشلاء مبعثرة تقودها إلى أمراض نفسية وعضوية وسلوكية.

والأغرب من ذلك، وبما أنهم حملة مفاتيح العقيدة وسدنة الفقة وحراس الفهم المعتمد للدين، فإنهم قد استطاعوا تغطية شذوذهم بغطاء دينى حتى لا يكون هناك

مجال لتمرد النساء على هذا الوضع المهين لكرامتهن، واعتمدوا فى ذلك على تفسير غريب للآية الكريمة «نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم» وقالوا إن هذه الآية تعطى الرجل حرية التعامل الجنسى مع زوجته فى موضع العفة منها أو من الخلف.

ولكن الآية الكريمة واضحة تماماً: فالحرث مكان البذر لاغير، لايقول بغير ذلك أحد يعرف لغة الوحى، فعن عمر بن الخطاب قال: رسول الله (ﷺ): «استحيوا فإن الله لا يستحى من الحق ولا تأتوا النساء فى أدبارهن»[1].

مدرسة الأزهر الدينية لاتعترف بهذا الفهم الشاذ للآية الكريمة ولايعترف به كل مسلمى العالم عدا السادة الوهابيين الأماجد.

وعموماً هذا شذ ليس غريباً عليهم، فهم حتى الآن يعتبرون إلغاء الملك فيصل للرق عام ١٩٦٥ عملاً مشيناً وضد الإسلام، ونوعاً من أنواع الغزو الثقافى الغربى، وهم يبقون مملكة الرق كاملة فى بلادهم تحت مسميات مختلفة ومن خلال أقنعة اجتماعية مبتكرة. ويكفى أن يطالع أى إنسان الصحف السعودية ليجد أربع أو خمس صفحات يومياً فى كل صحيفة اسمها صفحات الفارين، وهم الخدم والخادمات المجلوبون والمجلوبات من كل بقاع الأرض تحت زعم الخدمة فى منازل المملكة، والواقع أنهم يعاملون معاملة الإماء والعبيد لإرواء ظمأ السادة الجالبين (الكفلاء).

والقانون (الإسلامى) السعودى يمنع أى عبد أو أمة فارة من العمل عند كفيل آخر وإلا يقع الخادم أو الخادمة البائسة تحت طائلة القانون.

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث الشيخ الغزالى ص ١٩٠ - ١٩٤.

والقانون السعودى يطارد الخادم الفار أو الخادمة الفارة ولا يطارد السيد الكفيل المبجل الذى سمم حياة خدمه وإمائه وأجبرهم على الفرار، وبعد أن يطاردهم العسس السعودى يعيدهم إلى صاحبهم أو كفيلهم أو جالبهم المحترم ليفعل بهم ما شاء هو وكل ذكور وإناث أسرته الكريمة.

والبائسون والبائسات المجلوبون والمجلوبات من كل أصقاع الأرض من أجل السادة السعوديين لا يمكنهم القانون «الإسلامى» السعودى من العودة إلى بلادهم إلا إذا سمح بذلك سيدهم وكفيلهم وجالبهم والمسيطر على حياتهم، وبما أن السادة الكفلاء يريدون استنزاف حطاماً بشرياً، فقد انتشرت ظاهرة انتحار الخادمات أو الإماء المجلوبات من الفلبين وكوريا بالقفز من نوافذ وشرفات السادة الكفلاء، ولكن انتحار المئات منهن طوال العشرين سنة الأخيرة لم يهز أعطاف المملكة الإسلامية السعودية ولم يحرك ضمائر علماء السعودية.

هل تجوز شهادة المرأة؟

وبناء على كل هذه المقدمات التى ذكرتها فى نظرة رجال المؤسسة الدينية السعودية والمجتمع السعودى القبلى للمرأة فقد تحدد لها موقف قانونى أمام الجهات القضائية يتناسب مع مكانتها الدونية فى المجتمع، فلا يسمح لها بالإدلاء بشهادة إلا فى القضايا التافهة من وجه نظر أولى الأمر، أما القضايا الخطيرة مثل قضايا القصاص والحدود فلا يسمح لها فيها بالشهادة على الإطلاق، وعلى هذا فإذا ما اقتحم رجل أو مجموعة رجال منزلاً أودارا وقتلوا وسرقوا ونهبوا وهتكوا الأعراض فشهادة كل نساء البيت لا

قيمة لها ولايعتد بها ، فكأن السادة المقتحمين والمغيرين على أعراض وأملاك البيت قد مارسوا كل هذا الإفساد والترويع أمام مجموعة من الحيوانات العجماء، أو أمام كائنات من الجن أو أمام هباء كامل، وبناء على ذلك فـفرصة النجاة أمام السادة المقتحمين للأعراض والحرمات كبيرة جداً، ولكن كل ذلك لايهم، أما المهم فعلاً فهو أن تظل المرأة مخلوقاً ناقصاً، فاقد الأهلية غير قادر على ممارسة الحياة إلا وفق الضوابط الوهابية المكبلة لإنسانية المرأة.

ونستمر فى الحديث عن موقف المرأة أمام الجهات القضائية السعودية فنجد مسلسل الإهانة والتحجيم للمرأة مستمراً، فدية المرأة عند السادة الوهابيين نصف دية الرجل، فإذا قتلت امرأة خطأ فى حادث مثلاً، تقرر لها المحاكم السعودية نصف دية الرجل بمنتهى العدل الوهابى، وبالطبع هذا مخالف للنصوص القرآنية، فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة، ولكنها التقاليد البدوية التى ألبسوها ثوب الدين مع كل أسف.

هل يجوز للمرأة العمل؟

ولكن هل يجوز للمرأة وهابياً أن تعمل؟ إن هذه إشكالية فلسفية واجتماعية ودينية عند السادة الوهابيين. فالمرأة أولاً مجرد أداة للمتعة، وكائن لا يملك أن يتحرك مجرد الحركة ذاتياً، بل لابد أن يقاد من خلال محرم، ثم إن المرأة مخلوق ناقص، لايصرح له بحمل بطاقة شخصية، ولايملك أن يتصرف فى ماله ولاتقبل شهادته فى معظم القضايا أمام المحاكم السعودية، فهل يجوز لمثل هذا الكيان الهضيم أن يعمل؟! وبناء على هذه

المقدمات الفلسفية والاجتماعية أجاز السادة الوهابيون عمل المرأة مع الإناث فقط أو فى مملكة الإناث السعودية، وحرموا تحريماً كاملاً وحاسماً عمل المرأة مع الذكور أو فى مملكة الذكور السعودية. وبالطبع ساق فقهاء السعودية أسبابهم فى منع المرأة من العمل مع الرجال فقال كبيرهم الشيخ بن باز:

«إن العمل مع الرجال يتيح الخلوة غير الشرعية بالأجنبية، ويتيح النظر إليها، فالدعوة إلى نزول المرأة فى الميادين التى تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامى، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذى يعتبر من أعظم وسائل الزنا».

ثم يقول شارحاً كيف يقود عمل المرأة مع الرجل فى مكان واحد إلى الزنا: «ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها، ولاشك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء فى ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحقيقهما فيه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة له فى العمل، فهو لا يستطيع أن يغض البصر أو يحصن الفرج لأن النساء اللاتى يعملن معه أجنبيات». ثم يقول:

«ومن البديهى أن المرأة إذا نزلت إلى ميدان الرجال لابد أن تكلمهم وأن يكلموها ولابد أن ترفق لهم الكلام وأن يرفقوا لها الكلام، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة، والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب - يقصد النقاب - وخير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها، وحرم عليها مخالطة الرجال الأجانب لئلا تعرض نفسها للفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر»[١].

(١) مجلة التوعية الإسلامية فى الحج (مجلة سعودية) - العدد ١١ فى ١٦ / ١٢ / ١٣٩٨ هـ الشيخ بن باز.

لاحظ أن الشيخ بن باز يعتبر من أهم أسبابه فى الاعتراض على عمل المرأة مع الرجال، أن العمل يتيح للرجال مجرد النظر إلى المرأة، ويتيح للمرأة بالمثل مجرد النظر إلى الرجل، وذلك عند السادة الوهابيين ـ كما سبق أن ذكرت ـ حرام ويقود إلى الزنا بشكل مباشر، فلابد أن يختفى الجنسان عن بعضهما البعض تماماً، بكل الطرق وبمنتهى الحسم، لأن مجرد النظر ـ كما يعتقدون ـ سيقود الطرفين إلى ممارسة الجنس بشكل فورى، كما لو كان المسلمون أمة من المجانين والمختلين، ليس فى كيانهم من البواعث الأخلاقية والسجايا الروحية والمنطق العقلى ما يضبط سلوكهم ويسيطر على كيانهم المادى، فالفكر الوهابى يربط بين النظر إلى وجه المرأة وانتهاك حرمة الفرج، فكأنه اختزل الإنسان فى مربع الجنس فقط.

انظر إلى الدكتور المدخلى وهو يرد فى حماسة على دعاة عمل المرأة مع الرجال فيقول: (كيف يكون حال الزوجة إذا كانت امرأة جميلة وحولها من الرجال من هو ممتلىء شباباً وجمالاً إلى آخر المشاكل والمحاذير والفتن التى يأباها الإسلام ورجاله الغيورون ونساؤه الغيورات النزيهات العفيفات).[1]

كأن المرأة مكونة من مجموعة حواس تنقل إليها صورة العالم وغريزة جنسية، فإذا ما نقلت إليها الحواس صورة شاب جميل ممتلىء بالحيوية تحركت غريزتها الجنسية، فلا يوجد فى كيانها ما تتعامل به مع معطيات الوجود من حولها إلا مساحة الغريزة.

والعجيب فى أمر هؤلاء الوهابيين أنهم بدلاً من أن يجعلوا قضيتهم الأساسية تربية

(١) الرد على الغزالى ـ د/ ربيع بن هادى المدخلى ـ ص ٥٧.

الإنسان المسلم وتعليمه كيف يعلى غرائزه ويسمو بكيانه المادى، بدلاً من أن يطلقوا ملكاته الروحية ويخلقوا منه إنساناً مفعماً بالخلق والحكمة والرشاد، بدلاً من أن يفعلوا ذلك قرروا منع الحياة الآدمية نفسها لمنع ارتكاب الفاحشة، قرروا منع التعامل الإنسانى الراقى بين الرجال النساء، كما يفعل البشر فى كل الدنيا وفى كل العصور لأن هذا التعامل يقود إلى فاحشة الزنا، كما لو أن إنسانا قرر قطع ذراعه حتى لا يسرق أو اقتلاع عينيه حتى لايرى منكراً.

مؤامرة نسائية

ولكن يظهر أن هناك بعض المتمردات السعوديات اللاتى يحاولن فتح ثغرة فى هذا الجدار الصلد من التحريمات الوهابية، وهكذا نشرت السيدة نورة بنت عبد الله فى جريدة المدينة تحت عنوان «وجهاً لوجه» مقالاً يدعو السادة الوهابيين إلى السماح للمرأة بالتدريس فى مدارس الأطفال الذكور.

وهنا تهتز المؤسسة الدينية الوهابية من الأعماق وتتنبه إلى الخطر القادم، إن الدعوة تبدو نبيلة، فالنساء يرغبن فى تعليم الأطفال الذكور بالإضافة إلى الأطفال الإناث، ولكن المؤسسة الدينية لم تبتلع الطعم؛ فالأطفال ذكور أولاً ثم أطفال ثانياً، ولن يسمحوا على الإطلاق بأى اتصال بين عالم الإناث السعوديات وعالم الذكور السعوديين، أو يسمحوا بأى تواصل ولو عبر مساحة الطفولة المفعمة بالبراءة والطهارة.

وهكــــذا تقــدم الشيخ بن باز لوقف هذه الدعوة الخبيثة التى تقدم السم فى العســـل وهكذا نراه يقول: «أرى من واجبى التنبيه على ما فى هذا الاقتراح من

الأضرار والعواقب الوخيمة، وذلك أن تولى النساء تعليم الصبيان فى المرحلة الإبتدائية يفضى إلى اختلاطهن بالمراهقين والبالغين من الأولاد الذكور لأن بعض الأولاد لايلتحق بالمرحلة الإبتدائية إلا وهو مراهق، وقد يكون بعضهم بالغاً، ولأن الصبى إذا بلغ العشر يعتبر مراهقاً ويميل بطبعه إلى النساء ولأن مثله يمكن أن يتزوج ويفعل ما يفعله الرجال، ولذا فإنى أرى أن من الواجب قفل هذا الباب بغاية الإحكام».[١]

وهكذا استطاع السادة الوهابيون التصدى لمحاولة الإناث السعوديات التسلل إلى عالم الذكور السعوديين ووأدت الفتنة فى مهدها قبل أن يشتد أوارها وتطيح بكل القيم والفضائل...

أيعقل هذا ؟! ما هذا الهوس الجنسى؟! أيعقل أن القضية الإساسية للمجتمع السعودى هى مجرد منع الزنا، أو بالتحديد محاصرة المرأة حصاراً هائلاً حتى لاترتكب فاحشة الزنا، فإذا ما تم الحصار، غلقت الأبواب وأسدلت الحجب السوداء ونام المجتمع قرير العين! فكل مشاكل المجتمع السعودى والمجتمع الإنسانى وقضايا العدل الاجتماعى وتأخر حال المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة قد حلت. القرن الـ ٢١ سيبدأ بعد عدة سنوات وكل دول العالم تستعد لتضمن لنفسها مكاناً فى انطلاقة البشرية الجديدة فى القرن القادم، بينما السادة الوهابيون قد هنأوا بإحكام النوافذ والأسوار على سجن النساء الهائل على امتداد جزيرة العرب، الخارجة عن

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية السعودية ـ عدد ١٥ ـ ص ٦ ، ١١.

خطوط الطول والعرض والزمان والمكان البشريين، والتى تعيش كمجتمع رافض للعمران البشرى السوى وتعيش فى حالة مفاصلة كاملة عن كل أجناس وشعوب الأرض، كأنها أسيرة أو مخطوفة بأيدى هؤلاء السادة الوهابيين الذين طوحوا بها بعيداً عن كل ممالك المنطق والعقل والعمران السوى وأدخلوها كلها بصحاريها ونفطها وبشرها وأرضها وجبالها وسهولها ووديانها داخل كهف خرافى كائن خارج العصر والتاريخ.

ونحن فى انتظار فرار جزيرة العرب من الأسر الوهابى حتى تعود إلى دنيا البشر والتاريخ والأحياء، وتمارس وجودها الخصب الفوار بالحياة والمفعم بالتألق الحضارى والمجد الإنسانى.

الفصل الرابع

المؤسسة الدينية
فى
مواجهة العلم

ماذا ننتظر من دولة تعادى العقل وتطرحه من معادلة وجودها أصلاً، وتعتبره من وسوسة الشيطان وتكفر على أساس من طرحه وتأثيمه كل فلاسفة المسلمين، ابتداء من ابن سينا حتى د.زكى نجيب محمود، ماذا ننتظر من تلك الدولة فى علاقتها بالعلم الذى هو إفراز عقلى، أو رحيق عقلى باهر باذخ متألق بالمجد والتفرد والقدرة على إعادة صياغة الواقع، كل أنواع الواقع، البشرى أو الطبيعى؟

هذا الكيان الساحر الذى يحاول أن يكتشف كل الأسرار المبثوثة داخل شرايين وخلايا الوجود، ويعيد تفكيك وتركيب كل شئ يلمسه، ويخلق كل لحظة مساحات جديدة من المعرفة، وبالتالى مساحات جديدة من الأشكال الاجتماعية والاقتصادية، هذا الكيان الثورى لابد أن يحاصر ويحارب، فالدولة السعودية قررت إبقاء السكان أو أمة شبه الجزيرة، خارج حدود حركة الحياة، وقررت إبقاء كل شئ كما هو منذ القرن الثامن عشر عندما تأسست الدولة السعودية الأولى وفردت مظلة الوهابية على ربوع شبه الجزيرة.

فسياسة الدولة على تثبيت الأمر الواقع أو الجهل الواقع أو الموت الواقع لأمة بأسرها، ولتتحرك المؤسسة الدينية لتقوم بالمهمة الكريهة، وتفود مظلة الوهابية على هذا الكيان المتمرد الفوار بالثورة أى العلم - حتى يخضع بعد أن تقلم أظافره وتبتر مخالبه ويصبح كياناً أليفاً أحمقاً يمجد الواقع ويسبح بحمد الجهل والجهالة، فيكون هناك علم أجتماعى وهابى يثبت نظام المعازل البشرية المكيفة الهواء والتى لا تسمح بوجود حياة اجتماعية حقيقية، ولكن تسمح فقط بوجود كيانات فردية منعزلة بعضها عن البعض الآخر وتقيم هذه الكيانات أو الشظايا البشرية أسواراً هائلة حول نفسها لتحتمى من

المعازل البشرية المجاورة وعلم جغرافيا وهابى يثبت الأرض ولا يديرها فالمؤسسة الوهابية قررت أن تثبت الكرة الأرضية، إذن فعلى الجغرافيا أن تطيع وعلى الأرض أن تكف عن دورانها الأحمق الآثم الباطل شرعاً.

وإذا كان العلم - بحكم كونه علماً - يتجه إلى المستقبل، ويحاول أن يشق لنفسه طريقاً فى مساحة العميات والأسرار ليوسع دائرة نفوذه ومساحة سيطرته على الظواهر، ففى كل لحظة يزيد من كم المعارف والقوانين والمعلومات، حتى أصبحت كل لحظة تشكل قفزة علمية جديدة.

أما العلم (الوهابى) فلا شأن له بالمستقبل، ولا شأن له باكتشاف أسرار الكون أو بقراءة كتاب الطبيعة، فهو علم مشدود إلى الخلف، مشدود إلى الماضى، فهو يتلقى العلم من السلف الصالح ولا يتلقى العلم من الخلف الصالح، وهو لا شأن له بكل القرون الجديدة ولكنه مشدود إلى القرون الثلاثة الأولى فقط، فهو ربيب الماضى وحليف استراتيجى له ورافض تماماً للمستقبل، ورافض تماماً لحركة الكشف واستكناه أسرار الوجود والكون.

فكتاب الطبيعة لا يعنيه، ومحاولة قراءته أو اكتشاف أسراره مسألة مؤثمة، ولكنه معنىٌ بقراءة كتب الأقدمين ونقولهم.

وإذا كان طلبة العلم فى الدنيا يدرسون إسحق نيوتن وألبرت أينشتين وسيجموند فرويد وغيرهم من كبار العلماء، فإن طلبة العلم الوهابى يتلقون الوحى العلمى من الفقهاء أمثال ابن تيمية وابن القيم..

وهكذا نفاجأ فى المملكة السعودية القشيبة بأن ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من

أكابر الفقهاء يقدمون الفتوى العلمية فى الجغرافيا والطبيعة والفلك والطب.. إلخ، وأصبح ما قالوه منذ مئات السنين لنا كل الظواهر الطبيعية، وعلى أساسه يرفض السادة الوهابيون كل مكتشفات وقوانين العلم الحديث ويؤثمونها بل ويسخرون منها.

وإذا كان التجربة والمعمل هما المعيار الوحيد للتأكد من الحقائق والقوانين العلمية، فإن العلم الوهابى مرجعه النص وليس التجربة، فكتاب الطبيعة وكتاب الواقع مرفوض ومؤثم ولكن النص مقدس، وهو المعيار الوحيد للصواب والخطأ، والعلم والجهل وهو العلامة الفارقة بين العلم الحلال والعلم الحرام أو العلم الشرعى والعلم غير الشرعى!!

نعم هناك علم (Scince) حلال وشرعى وعلم آخر حرام وغير شرعى، هكذا أفتى الوهابيون، وأرجعوا عقارب الساعة إلى الوراء بضع مئات من السنين، عندما كانت الكنيسة فى أوروبا هى التى تقرر العلم الحلال والعلم الحرام وتقوم بحرق العلماء المتمردين الذين قدموا للبشرية علماً آثماً وغير شرعى وغير حلال بالمرة!

والعلم فى الدنيا كلها يوسع من حجم المعرفة ويزيد من كمية المعلومات ولكن العلم الوهابى ثابت وخالد ولا يتأثر بالزمن وحركة الحياة والأحياء وتوالى الدهور والأيام، إنه علم صلد، صعب المراس، لا يعبأ بمسيرة الحضارة والتمدين البشرى، وقادر على سحق كل مقولات العلماء المعاصرين الآثمين، فما قاله ابن تيمية وابن القيم هو أقصى ما يمكن أن تقوله البشرية كلها حتى نهاية الزمان فى كل أنواع العلوم والمعارف، ويكفى إذا صادفتنا ظاهرة أو حاولنا فهم قضية علمية أن نفتح الصفحات ونقلب فى كتب الأسلاف المعتمدين، وليس كل الأسلاف، فهناك أسلاف آثمون ومؤولون

والسادة الوهابيون قد حددوا لنا بشكل حاسم القوائم المعتمدة للعلماء المعترف بهم. وأى محاولة لإدراج اسم عالم جديد أو قديم إلى القوائم المعتمدة يقود إلى المهالك.

والسادة الوهابيون لم يواجهوا العلماء وقوانينهم فقط ولكنهم يواجهون ما اخترعوه من أجهزة ومخترعات شيطانية، وكما قاد الوهابيون القدامى المعاك ضد التلغراف والتليفون حتى أنهم كانوا يدمرون كل أعمدة التلغراف والتليفون التى يجدونها فى طريقهم، وكانت قمة وذروة انتصارهم لحظة دخولهم مدينة ما وتدميرهم أجهزة التليفون أو التلغراف الشيطانية بها.

إذا كان الوهابيون القدامى فعلوا ذلك فإن أحفادهم مازالوا فى خط المواجهة ضد أجهزة الكمبيوتر والكاميرات والتليفزيون. ومن أطرف هذه المواجهات، المواجهة المسلحة التى قادها الأمير خالد بن مساعد عام ١٩٦٦ لتدمير مبنى التليفزيون الذى يبث صوراً شيطانية.

معركة الشيخ والطبيب

وتتواصل المواجهات الوهابية ضد العلم والعلماء. وطيرت لنا الصحف ووكالات الأنباء أنباء هذه المعركة التى أطلقت عليها الصحف الأجنبية «معركة الشيخ والطبيب».

وقد بدأ غبار المعركة يتطاير هنا وهناك عندما نشرت الصحف السعودية فى شعبان عام ١٤٠٧ هـ خبراً مفاده أن كبير الوهابيين الشيخ عبدالعزيز بن باز قد نجح فى إخراج عفريت من الجن من جسد مواطنة سعودية، وقد اكتشف الشيخ أن هذا العفريت بوذى الديانة! ولكن الشيخ نجح بما حباه الله من الفصاحة والحكمة من هداية هذا العفريت إلى الإسلام. وقد انتهز الشيخ هذه الفرصة بعد أن نجح علماء المسلمين فى اختراق عالم أو

مملكة الجن البوذى فى طلبه من العفريت أن يدعو أقرانه من السادة العفاريت البوذيين إلى الإسلام وقد وعد السيد العفريت بالقيام بهذه المهمة، وقد شكره الشيخ على ذلك، وهللت الصحف السعودية لتلك المعجزة الوهابية الهائلة. فاستفزت هذه الضجة الجهولة أحد الأطباء السعوديين وهو الدكتور: محمد عرفان، الذى قرر أن يتحدى المؤسسة الوهابية ورئيسها، ويخرج على كل قواعد السلوك (الشرعى) المنضبط وهابياً فى السعودية، وأعلن فى صحيفة الندوة السعودية فى العدد الصادر فى ١٤/ ١٠/ ١٤٠٧ أنه يرفض كل هذا الكلام غير العلمى، وهنا صهلت الخيول الوهابية ودقت طبول الحرب لمواجهة هذا المتمرد الصغير قبل أن يتجرأ زملاؤه وأقرانه، وتبدأ حركة عصيان لفكر السادة الوهابيين داخل دائرة الأطباء.

وقد بدأ الهجوم الوهابى على الطبيب المسكين فى كافة الجرائد السعودية وصدرت الكتب لمواجهة هذا الخارج على شريعة الوهابيين. ولعل أبرز كتب المواجهة هو كتاب «إيضاح الحق فى دخول الجنى فى الإنسى والرد على من أنكر ذلك» للشيخ عبد العزيز بن باز نفسه، وفى هذا الكتاب يقول الشيخ مدللاً على جهل الطبيب السعودى: (لقد دل كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ) وإجماع الأمة على جواز دخول الجنى بالإنسى وصرعه إياه، فكيف يجوز لمن ينتسب إلى العلم أن ينكر ذلك بغير علم ولا هدى، بل تقليداً لبعض أهل البدع المخالفين لأهل السنة والجماعة، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا أذكر لك أيها القارىء ما تيسر من كلام أهل العلم فى ذلك إن شاء الله: قال ابن القيم فى كتابه «زاد المعاد فى هدى خير العباد» ما نصه (الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة

الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثانى هو الذى يتكلم فيه الأطباء، فى سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها.

وجهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد بالزندقة فضيلة فأولئك: ينكرون صرع الأرواح، وليس معهم إلا الجهل. وعلاج صرع الأرواح يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج. فالذى من جهة المصروع: يكون بقوة نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح، والثانى من جهة المعالج، ومن المعالجين من يكتفى بقوله: «اخرج منه» أو يقول «بسم الله» والنبى كان يقول «اخرج عدو الله، أنا رسول الله».

وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه، ويقول: قال لك الشيخ اخرجى، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم).

ثم يقول بن باز: (وبما ذكرناه من الأدلة الشرعية وإجماع أهل العلم من أهل السنة والجماعة على جواز دخول الجنى بالإنسى يتبين للقراء بطلان قول من أنكر ذلك. وبما ذكرنا أيضا يعلم أن ما نقلته صحيفة الندوة فى عددها الصادر فى ١٤/ ١٠/ ١٤٠٧ عن الدكتور محمد عرفان وزعمه أن دخول الجنى فى الإنسى ونطقه على لسانه أنه مفهوم خاطىء علمياً مائة فى المائة، كل ذلك باطل نشأ عن قلة العلم بالأمور الشرعية، وبما قرره أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وإذا خفى هذا الأمر على كثير من الأطباء

لم يكن ذلك حجة على عدم وجوده، بل يدل ذلك على جهلهم العظيم بما علمه غيرهم من العلماء المعروفين بالصدق والأمانة والبصيرة بأمر الدين، بل هو إجماع من أهل السنة والجماعة كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن جميع أهل العلم. وكما قال العلامة عبد الله الشبلى الحنفى المتوفى عام ٧٩٩ هـ فى كتابه «آكام المرجان فى غرائب الأخبار وأحكام الجان» فاعلم ذلك أيها القارىء وتمسك بما ذكرناه من الحق، ولا تغتر بجهلة الأطباء وغيرهم. ولا بمن يتكلم فى هذا الأمر بغير علم ولا بصيرة، بل بالتقليد لجهلة الأطباء وبعض أهل البدع من المعتزلة وغيرهم. والله المستعان.

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، رئيس المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. حرر فى ١٤٠٧/١١/٢٠هـ [١].

هل أحد فى الدنيا يتصور هذا الصراع الدون كيشوتى الحادث فى السعودية اليوم. شيوخ الوهابية يشهرون سيوفهم وأسنة رماحهم فى مواجهة معامل الأطباء ومخابرهم ومراكز أبحاثهم، السيف فى مواجهة المعمل وسنابك الخيل تهدد بتدمير تلك البؤر الشيطانية ورفع أعلام الوهابية، فالمعركة مقدسة، بين السماء والأرض، والدين والعلم والإيمان والكفر، كأننا أمام معركة من الميثولوجيا السحيقة، ولكن مع كل أسف تحدث اليوم ونحن على مشارف القرن الـ ٢١.

وتعالوا نبتلع أحزان العقل والروح التى فجرها فى كياننا هؤلاء السادة الوهابيون، ونحاول تأمل النص الذى كتبه الشيخ بن باز، وأول مايطالعنا فى كلامه أنه يعتبر

(١) من كتاب إيضاح الحق فى دخول الجنى فى الإنسى. ابن باز. ص ٢٤ : ٣٤.

الأطباء المعترضين على مسألة الجنى البوذى من أهل البدع المخالفين لأهل السنة والجماعة، فى حين أن المسألة غير ذلك تماماً، فهؤلاء الأطباء يعلمون بكل بساطة أن الصرع مرض من الأمراض التى تصيب الجهاز العصبى للإنسان، هكذا يقول الطب أو العلم، فالمسألة لا شأن لها بقضايا الدين من الأصل، كما أنها لا علاقة لها بالجن بالبوذى أو الهندوكى أو كل طوائف الجن المؤمن أو الكافر، هذه هى المسألة بكل بساطة.

ثم نستمر مع الشيخ ابن باز لنكشف أسانيده على أن المصروع قد تلبسه الجن، فنكتشف أنها تعتمد على ما قاله ابن القيم منذ مئات السنين، ومن هو ابن القيم؟ هو أحد علماء الدين، صحيح أنه من أكابر علماء الدين ولكنه ليس طبيباً، وليس من العلماء المعنيين بالعلوم الطبيعية، وعلى هذا ما علاقة ابن القيم بالطب؟ لا أحد يعلم، وكيف نلغى كل منجزات العلم والطب لمجرد أن ابن القيم منذ مئات السنين أفتى بأن الأرواح الخبيثة الأرضية هى التى وراء مرض الصرع؟ هل يجب على الأطباء إلغاء عقولهم وتطهيرها من كل علوم الطب الآثمة لأن ابن القيم أخبر بغير ذلك؟

خلاصة الأمر والرسالة التى يريد ابن باز أن يقولها للأطباء، يجب عليكم الإيمان بأن العلاج الوحيد لمرض الصرع هو بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة التى تلبست المصروع وأن عليهم أن يلقوا بكل العقاقير الطبية الآثمة إلى عرض الطريق! فهناك علاج شرعى معتمد من السادة الوهابيين، أما علاجاتهم فهى مجرد علاجات آثمة وأخلاص من التراكيب الشيطانية التى اخترعها الإفرنج المشركين ليفسدوا ويلوثوا بها ديار المسلمين.

ثم يخبرنا الشيخ: ابن باز أن الطريق الوحيد أمام الأطباء ليزيحوا عن أنفسهم أكداس

الجهل التى تعشش فى عقولهم وحتى يصبحوا أطباء حقيقيين، هو التبحر والتفقه، ليس فى علوم الطب، ولكن فى علوم الدين.

وهكذا وضع الشيخ يده على أسباب تخلف المسلمين العلمى وهو أنهم لا يتبحرون فى كتب الفقه وعلوم الدين وخاصة كتب العلامة عبد الله الشبلى المتوفى عام ٧٩٩ هـ وبالذات كتابه الحجة «آكام المرجان فى غرائب الأخبار وأحكام الجان»، فمن خلال هذا الكتاب الهام سنعرف كيف نخرج الجن بكل أنواعه من أجساد المسلمين، وبذلك ننهض ونأخذ مكاننا المرموق فى حضارة القرن الـ ٢١.

ياسادة: التقدم العلمى ليس له سبيل إلا البحث العلمى والتجريب العلمى والمعامل ومراكز الأبحاث، للدين قداسته واحترامه ولعلوم الدين احترامها الذى يليق بها، ولكن لا شأن على الإطلاق لعلوم الدين بالتقدم العلمى، علوم الدين معنية بالدين ولا يجب أن تفرد ظلالها على مجالات العلم التجريبى، هذا الخلط المعيب بين علوم الدين والعلوم التجريبية يجب منعه ووقفه حتى يمكن لحضارة المسلمين أن تعاود انطلاقها من جديد.

نعود إلى نص الشيخ ابن باز، فنلاحظ أنه انتهز فرصة هجومه على الأطباء ليهاجم المعتزلة، فكأن ابن باز لم يطلق قذائفه على حاضر المسلمين ومستقبلهم فقط، بل وعلى ماضيهم وعلى أروع ما فى هذا الماضى بغير جدال فلا شك أن المعتزلة هم فرسان العقل فى تاريخنا الإسلامى كله، انتصروا له وقدموا من خلاله أروع منجزات العقل المسلم فى كل العصور، حيث تحاور العقل مع النص الدينى حواراً راقياً شفافاً، قادراً على الولوج دخل النسيج العميق للنص من أجل اكتشاف أسراره وأطيافه ودرجاته اللونية والفقهية المختلفة. فعلوا كل ذلك بكل احترام وتوقير وتقديس للنص الدينى الذى صاغه الله عز

وجل وللعقل البشرى الذى أبدعه الله عز وجل أيضاً. فهو حوار بين إبداعين إلهيين متكاملين ومتناغمين أولاً وأخيراً.

ولكن الشيخ ابن باز والسادة الوهابيين كانوا قد قرروا من نقطة البدء فى مذهبهم إطلاق الرصاص على العقل وبالتالى على المعتزلة وعلى الماضى وعلى حاضرنا ومستقبلنا.

مملكة الجن السعودي

وإذا كانت المملكة العربية السعودية مقسمة عملياً إلى مملكتين كبيرتين هما مملكة الذكور السعوديين، ومملكة الإناث السعوديات، فإننا يمكن أن نقسمها تقسيماً نوعياً آخر أكثر إثارة، تقسيماً مبنياً على الحضور القوى «للجن» فى السعودية، وبذلك يمكن أن تقسم إلى مملكتين أخرتين، هما مملكة الإنس السعودى ومملكة الجن السعودى.

فإذا ما قرأنا الصحف السعودية والكتب والمطبوعات هالنا حجم العلاقات بين الإنس السعودى والجن السعودى، ومن يدرس هذه المسألة يكتشف أسراراً وخفايا ممتعة، تبادل مصالح، صداقات، عداوات، ويصل الأمر إلى تبادل الاعتداء بين أفراد من المملكتين.

ويحكى لنا الشيخ العثيمين عن ذلك قائلاً (والجن يعتدون على الإنس أحياناً، كما يعتدى الإنس عليهم أحياناً، فمن عدوان الإنس عليهم أن يستجمر الإنسان بعظم أو روث، ومن عدوان الجن على الإنس، إنهم يخيفونهم، ويلقون فى قلوبهم الرعب، ولاسيما

حين يلتجيء الإنس إليهم، ومن عدوان الجن على الإنس أن الجنى يصرع الإنسى فيطرحه ويدعه يضطرب حتى يغمى عليه، وربما قاده إلى ما فيه هلاكه من إلقائه فى حفرة أو ماء يغرقه أو نار تحرقه)[١]

إذن فالجن فى المملكة العربية السعودية لا يتسببون فى مرض الصرع فقط، ولكنهم يعتدون على البشر بالضرب أو القتل أو الإغراق، وكلما زاد تأثير الجن على المواطن السعودى زاد نفوذ المؤسسة الوهابية وتحكمها فى الناس، إذن من مصلحة المؤسسة الدينية أو النظام بشكل عام الترويج للجن وأحاديث الجن فى الخطاب الدينى الرسمى.

ومن ألطف ما يردده الإعلام السعودى المروج لقضية الجن فى المجتمع السعودى إباحته التعامل مع الجن فى مسألة الدعوة الإسلامية.. هكذا أفتى الشيخ العثيمين قائلاً (أن يستخدم الإنسان الجن فى طاعة الله، كأن يكون هذا الجن نائباً عنه فى تبليغ الشرع، فمثلا إذا كان للإنسان صاحب من الجن المؤمن يأخذ عنه العلم فيستخدمه فى تبليغ الشرع لنظرائه من الجن أو فى المعاونة على أمور مطلوبة شرعاً فإنه يكون أمراً محموداً أو مطلوباً وهو من الدعوة إلى الله)[٢]

وهكذا استطاع (العلم) السعودى شق طريق جديد للبشرية وذلك من خلال فتح آفاق هائلة للتعامل مع المجتمعات غير البشرية الموجودة فى الكون بدون مركبات فضاء أو صواريخ أو عقول إلكترونية ومراكز أبحاث، فمن خلال فقهاء المؤسسة الوهابية يستطيع المواطن السعودى التعامل مع عالم الجن ومصاحبة أفراده وتبادل المعلومات

(١) فتاوى العقيدة. ص ٣٢٣ . ٣٢٨.

(٢) فتاوى العقيدة. ص ٣٥٥.

معهم، بل وتسخير بعض أفرادهم لصالح الدعوة الإسلامية فى ممالك الجن البعيدة التى لم يصل إلى أصقاعها المجهولة إلا رواد الفقه الوهابى الحديث.

العلاج الشرعى للأمراض النفسية

وبما أن الجن يملأون الأرض العربية ويتلبسون أجساد المسلمين بالذات فالأمراض النفسية إذن تملأ ديار المسلمين بسبب هؤلاء، الجن الملاعين الماكرين المغرمين بالولوج فى أجساد المسلمين المميزة، وعلى هذا أفتانا الشيخ العثيمين بوضوح (أن علاج الأمراض النفسية مثلها مثل مرض الصرع - يكون بالأمور الشرعية، ومن أراد ذلك فليرجع إلى ما كتبه العلماء، فى باب الأذكار «كالوابل الطيب» لابن القيم و«الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية، والأذكار للنووى وكذلك «زاد المعاد» لابن القيم.

ثم يروى لنا الشيخ العثيمين قصة الرجل الذى قرأ الفاتحة على رجل لدغته حية فشفى[(١)]

فنحن من دون كل عباد الله فى كل الدنيا لا نحتاج عقاقير أو أدوية، ولا نعترف بطب أو علم، فالعلم كيان شرير آثم والطب للبشر الآخرين، فنحن نملك مفاتيح الحكمة، وما على المريض إلا العودة إلى كتب السادة الفقهاء - المعتمدين - وسيجد الشفاء، ولا حاجة لمعامل ومخترعات ومكتشفات وعلماء كفار ملاعين.

الحسد قضية سعودية

وبما أن الشعوذة إحدى أهم مفردات الحياة السعودية، إذن فالحسد قضية قومية هى

(١) فتاوى العقيدة - ص ٧٩٤.

الأخرى ويحتاج المواطن السعودى إلى رقى وتعاويذ ليواجه سيل الأذى المتدفق من العيون المستديرة الحاسدة، فالأمر جد لا هزل فيه، ولابد من طريقة شرعية للمواجهة، وهنا تقدم مشايخ الوهابية بأساليب المواجهة الناجعة والمحبطة لشرور العيون الشريرة، فأفتوا قائلين (يعامل المحسود بالقرأة وإذا علم المحسود عائنه (الحاسد) فإنه يطلب منه أن يتوضأ ويؤخذ ما يتساقط من ماء وضوئه ثم يعطى للمعائن يصب على رأسه وعلى ظهره ويسقى منه وبهذا يشفى بإذن الله. وقد جرت العادة عندنا أنهم يأخذون من العائن ما يباشر جسمه من اللباس مثل الطاقية وما أشبه ذلك ويربصونها بالماء ثم يسقونها المصاب ورأينا ذلك يفيده حسبما تواتر عندنا من النقول)[1].

لاحظ المصطلحات (العلمية) السعودية المعاصرة التى استطاعوا نحتها وخلقها وأضافوها إلى لغة العلم، مثل مصطلح «عائن» أى «حاسد» و«معائن» أى «محسود» ولاحظ استعمالهم كلمة «المصاب» عند حديثهم عن السيد المحسود، فسيادته مصاب بمرض محدد لاشك فيه.

ثم لاحظ طريقتهم (العلمية) فى تأكيد نظرياتهم الطريفة، فهم لا يقولون أجريت أبحاث كذا أو جامعة كذا أثبت علماؤها من خلال التجارب.. إلخ، ولكنهم يقولون لكل ثقة «ورأينا ذلك يفيده (أى المحسود) حسبما تواتر عندنا من النقول» فالعلم لا يحصل فى مراكز البحث ولكن من النقول، مجرد النقول القديمة التى أفتى بها بعض الفقهاء وليس الأطباء.

مازلنا داخل الخيم الوهابى العلمى، الذى تضوع منه رائحة البخور والمسك والعنبر

(١) فتاوى العقيدة - ص ٣٢٠ .

العلمى، ومازال السادة (العلماء) يقلبون فى الصفحات الصفراء ويقرأون «النقول» ليطببوا بها المجتمع الإنسانى كله وهكذا طلعوا علينا بطريقة متميزة فى علاج الأمراض كل الأمراض، أسموها «طريقة النفث فى الماء» وخلاصتها، أن يقرأ الإنسان بعض الأدعية أو الكلام الطيب وبهذا الريق المبلل بالكلام الطيب ينفث هذا الشخص الصالح فى الماء، ثم يأخذ هذا الماء ويرش به على المريض أو يمسح به على أجزاء من جسده وسوف يشفى المريض بعد ذلك كما قالت لهم النقول)[1].

الفقهاء فى مواجهة الكاميرا

ننتقل من عالم الجن السعودى والأدوية الشرعية لمواجهة ذلك إلى صراع المؤسسة الوهابية مع المخترعات العلمية، فنكتشف أن هناك معركة مقدسة ضد آلة شيطانية خبيثة من مخترعات الفرنجة الكفار، يعرفها العالم أجمع باسم «الكاميرا» ويتعاملون معها بمحبة كباراً وصغاراً فهى تسجل أجمل لحظات حياتهم فى بساطة تامة، ولكن دون كل أجناس الأرض وشعوبه وبلدانه اكتشف السادة الوهابيون الخبث الكامن وراء مظهر الكاميرا البرئ، فعلماء الفرنجة حاولوا تجميل مظهرها حتى يمرروها فى بلاد المسلمين لتعيث فساداً فى بلادهم وتعبث بعقائدهم، وهكذا قرر السادة الوهابيون المواجهة وتنادوا بالجهاد لمواجهة هذه الآلة البائسة.

وهكذا وجد المسلم نفسه دون كل البشر فى كل الدنيا محاصراً بعشرات الفتاوى بشأن هذه الكاميرا اللعينة، عالم كمل من المحرمات يلجه المسلم إذا لمتعامل مع الكاميرا، كأنه يسير على رمال متحركة فهو يخشى فى كل لحظة أن يمسك بمحوم أو يلتقط

(١) فتاوى العقيدة - ص ٣١٥ .

صورة لمحرم وفى النهاية قد يدفع إحساسه بالحصار إلى القذف بتلك الآلة الشيطانية فى النار حتى ينجو بنفسه ويتحرز لدينه.

وأول هذه المحازير هى: هل الصورة الفوتوغرافية - من حيث هى صورة - جائزة وهابياً أم لا؟ هل هى محللة أم مؤثمة؟

ونقلب فى صفحات الكتب الوهابية لنكتشف أن بعض السادة العلماء حرمها أصلاً وبعضهم أجازها وكأنه لم يجزها، فهى إجازة أقرب إلى المنع، وتعالوا نتأمل هذا النص:

(التصوير بالآلة، وهى الكاميرا التى تنطبع الصورة بواسطتها من غير أن يكون للمصور فيها أثر بتخطيط الصورة وملامحها، فهذه موضوع خلاف بين المتأخرين (يقصد علماء السعودية) فمنهم من منعها، ومنهم من أجازها، فمن نظر إلى لفظ الحديث منع لأن التقاط الصورة بالآلة داخل فى التصوير (المنهى عنه) ولولا عمل الإنسان بالآلة بالتحريك والترتيب وتحميض الصورة لم تلتقط الصورة، ومن نظر إلى المعنى والعلة أجازها لأن التقاط الصورة بالآلة ليس مضاهاة لخلق الله، بل هو نقل للصورة التى خلقها الله تعالى نفسها فهو ناقل لخلق الله لا مضاه له.

ويوضح ذلك أنه لو قلد شخص كتابة شخص لكانت كتابة الثانى غير كتابة الأول ولكنها مشابهة لها، ولو نقل كتابته بالصورة الفوتوغرافية لكانت الصورة هى كتاب الأول وإن كان عمل نقلها من الثانى، فهكذا نقل الصورة بالآلة الفوتوغرافية، الصورة فيها هى تصوير الله نُقل بواسطة آلة التصوير. والاحتياط الامتناع عن ذلك لأنها من المتشابهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه. وعرضه، لكن لو احتاج إلى ذلك (أى إلى صور فوتوغرافية) لأغراض

معينة كإثبات الشخصية فلا بأس به لأن الحاجة ترفع الشبهة لأن المفسدة لم تحقق في المشتبه فكانت الحاجة رافعة لها)[١].

ونكتشف من خلال هذا النص الوهابي، أن سبب القلق الوهابي تجاه الكاميرا، أو تجاه الصورة الفوتوغرافية هو فهمهم المسطح لحديث الرسول (ﷺ) (إن أشد الناس عذاباً المصورون) وغيره من الأحاديث الشريفة في نفس الاتجاه، ومن الواضح لكل ذي عقل ونظرأن المقصود بهذه الأحاديث صناع التماثيل أو الصور التي يتعبد بها الكفار لا أكثر ولا أقل، ولكن السادة الوهابيين بما أنهم أثموا العقل من نقطة البدء، وتعاملوا مع النصوص على ظواهرها صنعوا لأنفسهم ولشعبهم وللمسلمين في العالم مشكلة وهمية اسمها مشكلة الصورة، كما لو كانت الكاميرا هي المؤصلة لوثنية جديدة أو لردة مروعة عن عقائد المسلمين.

فالتصوير ليس إثما، ومضاهاة خلق الله ليس إثما، ولكن من يصور أو يضاهي خلق الله ليتعبد به الناس فإن ذلك هو الإثم.

أمّا السادة الوهابيون فقد انقسموا أمام الصور الفوتوغرافية إلى قسمين، قسم أثمها تماماً من نقطة البدء، وقسم أجازها جوازاً أقرب إلى المنع، فهي عندهم من المتشابهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، وهكذا قال السادة العلماء المجيزون للصورة «والاحتياط الامتناع عن ذلك» أي الامتناع عن استخدام الصور الفوتوغرافية، ولكنهم أجازوا بعد كثرة تأمل صور البطاقة الشخصية أو الرخصة واستخدام النقود (التي عليها صورة) ولكنهم وضعوا لذلك ضوابط صارمة خلاصتها أن

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٦٦.

يحمل المسلم هذه الصور الآثمة وهو كاره لها. لاحظ النص الوهابى التالى (فإذا حمل الرجل الدراهم التى فيها صورة أو التابعية أو الرخصة وهو محتاج إليها أو يخشى الحاجة فلا حرج فى ذلك ولا إثم إن شاء الله تعالى، إذا كان الله تعالى يعلم أنه كاره لهذا التصوير وإقراره وأنه لولا الحاجة إليه ما حمله)(١).

عالم الصور المثير

ثم تعالوا نلج عالم الصور المثير العامر بالأسرار والفتاوى والقواعد، فالصور ـ وهابياً ـ دنيا كاملة متنوعة ولكل نوع فتاواه وأحكامه الصارمة، هناك دنيا الصور لذوات الأرواح ودنيا الصور للجمادات، وهناك فتاوى لصور العظماء وفتاوى لصور العامة، وهناك فتاوى لصور الأصدقاء وفتاوى لصور الأقرباء وهناك أحكام لصور الزينة وهناك أحكام لصور الذكرى. ماشاء الله، بحر زاخر من الفتاوى والأحكام نباهى بها الدنيا. وتعالوا بنا نكتشف جزءاً من دنيا أحكام الصور من خلال هذا النص (إن للصور أقساماً وأنواعاً، القسم الأول أن تكون الصور معلقة على سبيل التعظيم والإجلال مثل ما يعلق من صور الملوك والرؤساء والوزراء والعلماء والوجهاء والآباء وكبار الإخوة ونحوها، فهذا القسم من الصور حرام لما فيه من الغلو بالمخلوق والتشبه بعُباد الأصنام والأوثان وأنه قد يجر إلى الشرك فيما إذا كان المعلق صورة عالم أو عابد ونحوه.

القسم الثانى: أن تكون معلقة على سبيل الذكرى، مثل من يعلقون صور أصحابهم وأصدقائهم فى غرفهم الخاصة فهذه صور محرمة فيما يظهر لوجهين:

١ ـ أن ذلك يوجب تعلق القلب بهؤلاء الأصدقاء تعلقاً لا ينفك عنه، وهذا يؤثر

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٧٩.

تأثيراً بالغاً على محبة الله ورسوله وشرعه ويوجب تشطير المحبة بين هؤلاء الأصدقاء وما تجب محبته شرعاً وكأن قارعاً يقرع قلبه كلما دخل غرفته: انتبه. انتبه. صديقك. صديقك.

٢ - السبب الآخر للتحريم: أنه ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله (ﷺ) قال (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) وهذه عقوبة (عدم دخول الملائكة) ولا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثالث: أن تكون الصور معلقة على سبيل التجميل والزينة وهذه محرمة أيضاً)[1].

وهكذا أوضح السادة الوهابيون الأمور، فالمسلم إذا وضع صورة لوالده مثلا عى أحد الحوائط فى منزله يكون قد غالى فى مكانة مخلوق وانتقص من مقام الألوهية، فمجرد تعليق الصورة رفع مقام صاحب الصورة إلى مقام الألوهية، وأصبح صاحب البيت مشركاً بالله فى غمضة عين، أما صور الأصدقاء فتحدث فصاماً فى نفس المسلم، وتشطر روحه ومشاعره، ويصبح موزع المشاعر بين الله وصاحبه، فصورة الصديق تقرع قلبه دائماً وتقول انس ربك وتذكرنى، انس خالق السماوات والأرض وتذكر صديقك هل يعقل هذا؟

ثم يوضح لنا النص السابق عقوبة واضع الصور فى منزله، وهى عدم دخول الملائكة لبيته! وواضح أنه - لو ثبت فعلاً أن هذا الحديث صحيح - أن المقصود به عقلاً ومنطقاً واضع الصور للتعبد بها وليس واضع الصور لمجرد الزينة.

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٦٨ - ٦٦٩.

ورغم ذلك يستمر السادة الوهابيون فى معركتهم المقدسة مع الصور، فإذا كانوا قد حاصروا الحوائط والجدران فقد يتحايل بغاة البشر وأشرارهم ويلجأون إلى وضع الصور فى الألبومات مثلاً، وهنا صدرت الفتوى بتأثيم وتجريم ذلك[1].

ولكن هنا مساحة هائلة من الصور تغمر المجلات والصحف ويجب وضع قواعد المشروعية الوهابية بشأنها حتى لا يختلط الحابل بالنابل وينظر ويشاهد المسلمون كل هذه الصور المحرمة وهنا تكون الهلكة ولذلك حدد السادة الوهابيون جداول معتمدة من الصور الحلال والمكروهة والمحرمة، وتعالوا بنا نتأمل هذا النص الوهابى الذى يحدد لنا الخطوط العريضة لتعامل المسلمين مع صور المجلات والصحف (مشاهدة الصور فى المجلات والصحف: إن كانت صور آدمى فلا بأس بمشاهدتها لكن لا يقتنيها المسلم من أجل هذه الصور، وإن كانت صور آدمى فإن كان يشاهدها تلذذاً أو استمتاعاً بالنظر فهو حرام، وإن كان غير تلذذ ولا استمتاع ولا يتحرك قلبه ولا شهوته بذلك فإن كان ممن يحل النظر إليه كنظر الرجل إلى الرجل ونظر المرأة إلى المرأة أو إلى الرجل أيضاً على القول الراجح فلا بأس، لكن يقتنيها من أجل هذه الصور وإن كان ممن لا يحل له النظر إلى كنظر الرجل إلى المرأة الأجنبية فهذا موضع شك وتردد، والاحتياط أن لا ينظر خوفاً من الفتنة، ومن أجل هذا حصل عندنا الشك والتردد فى جواز نظر الرجل إلى صورة المرأة فى الصحف والمجلات والبعد عن وسائل الفتن مطلوب والله المستعان)[2].

وتعالوا نستخلص القواعد الوهابية فى التعامل الشرعى مع صور الصحف والمجلات كما تفهم من النص السابق:

---

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٧٦ .
(٢) السابق - ص ٦٧٦ - ٦٧٧ .

أولاً : إن صور غير الآدمين مسموح بمشاهدتها شرعاً، ونشكرهم على السماح بهذه المساحة الواسعة من المخلوقات.

ثانياً: يجب التنبيه على أنه إذا كان ولابد من اقتناء المجلة أو الصحيفة، فيجب أن يكون لأى سبب غير الصور التى بها، فالصورة دائما تحوطها شكوك السادة الوهابيين وهواجسهم.

ثالثاً: النظر إلى صور الأدميين يصرح به فى نطاق نظر كل جنس إلى صور جنسه، فالذكور يصرح لهم برؤية صور الذكور، والإناث يصرح لهن برؤية صور الإناث، ويجب التنبيه على أنه لايصحر للسادة الذكور برؤية صور الإناث من غير المحارم لأن ذلك يؤدى إلى فتنة عظيمة تتمثل فى أنها قد تدفع بعض الذكور ضعاف النفوس إلى تعمد رؤية الإناث مباشرة والعياذ بالله، فهكذا أفتى الشيخ العثيمين قائلا: (هناك تهاون خطير جداً عند كثير من الرجال فى نظرهم إلى صور النساء الأجنبيات بحجة أنها صورة لاحقيقة، سواء كان ذلك بواسطة وسائل الإعلام المرئية (التليفزيون) أو بواسطة الصحف أو غير ذلك، وهذه فتنة عظيمة، لأنها تجر الرجل إلى أن يتعهد النظر إلى المرأة مباشرة)[١].

ومن خلال هذه الرؤية الوهابية للصور فإن الصحف السعودية والمجلات لاتسمح بنشر أى صورة لأنثى حتى لو كانت هذه الأنثى منقبة. أما الصحف والمجلات الأجنبية التى تدخل المملكة فتغطى صور الإناث باللون الأسود، ولا يسمح بترك أى صورة لامرأة حتى لو كانت ملكة بريطانيا!

---

(١) الرجع السابق – ص ٦٩.

حكم الميكى ماوس

مازلنا داخل عالم الكاميرات ومازلنا نرصد حرب السادة الوهابيين ضد هذه الأجهزة اللعينة. وهذا يقودنا إلى معركة الوهابيين ضد التليفزيون. وكانت أولى هذه المواجهات عام ١٩٦٦ عندماخرج الوهابيون بزعامة الأمير خالد بن مساعد ابن شقيق الملك فيصل لتدمير أول محطة إرسال تليفزيونى فى السعودية والتى كانت مقامة فى جدة. فإذا كانت الصورة - من حيث هى صورة - محرمة ومؤثمة وهابياً، فما بالك بذلك الفيض الزاخر من صور الرجال والنساء والحيوان والبحار والجبال وأفلاك السماء وغيرها من الصور التى نشاهدها من خلال هذا الجهاز المروع.

فإذا كان الرجل مصرح له وهابياً بمشاهدة صور الرجال، والمرأة مسموح لها بمشاهدة صور النساء فقط، فيتبقى للرجل والمرأة مشاهدة عالم الحيوان وعالم البحار. فصور الحيوان والبحار والجبال والأنهار مسموح بها لكلا الجنسين حتى الآن.

فإذا كان السادة الوهابيون قد نجحوا فى شطر المجتمع السعودى إلى شطرين، مجتمع إناث ومجتمع ذكور فإن هذا الجهاز الخطير المسمى التليفزيون جاء ليبيح الاختلاط ويدمر القواعد الأساسية للمجتمع السعودى، وهكذا تنادى كل شيوخ الوهابية بوجوب تخلص المملكة من شروره.

ومن ألطف ما قرأت فى كتب الفتاوى السعودية، فتوى عن حكم «الميكى ماوس» ومدى جواز نظر الأطفال والكبار إليه، وقد أفتانا الشيخ العثيمين بالحكم (الشرعى) الآتى: (صور الكرتون التى يقول الناس إنها تخرج فى التليفزيون، إن كانت على شكل آدمى فحكم النظر إليها محل تردد. هل يلحق بالصور الحقيقية أو لا؟ وإن كانت على

شكل غير آدمى فلا بأس بمشاهدتها إذا لم يصحبها أمر منكر من موسيقى أو نحوها ولم تله عن واجب)[1].

لاحظ أولاً تعبيره «يقول الناس» فسيادته ينزه نفسه عن رؤية التليفزيون أو الكرتون وأمثال هذه المحرمات، ثم تتدفق تفاصيل الفتوى، فإذا كان الكرتون على شكل آدمى، فسيادته متحير فى أمر هذا الكرتون، هل يعامله كما يعامل الصور البشرية العادية، أى يسمح للأطفال الذكور بالفرجة على الكرتون المذكر، ويسمح للأطفال الإناث بالفرجة على الكرتون المؤنث، أم يتساهل؟إنه فى حيرة فى هذا الشأن. ثم ينبه سيادته إلى أن هذه الأفلام يجب أن تكون خالية من الموسيقى تماماً، فالموسيقى وهابياً محرمة، ولعل فتوى سيادته تدفع الشركات المنتجة لأفلام الميكى ماوس إلى إنتاج أفلام كرتون حلال وعلى الطريقة الوهابية، أفلام كرتون مؤنثة لأطفال المسلمين الإناث، وأفلام كرتون مذكرة لأطفال المسلمين الذكور مع حذف الموسيقى تماماً، أو بمصاحبة الدفوف (الشرعية) المعتمدة وهابياً.

الكومبيوتر.. والنزق البشرى

ومعركة الوهابيين مع الصور ليست مرتبطة بالكاميرا العادية بالذات أو كاميرا السينما أو كاميرا الفيديو، ولكنها مرتبطة بكل جهاز يبث صوراً.

ومن أكثر تلك الأجهزة التى تبث صوراً وتقلق مضاجع الوهابيين «أجهزة الكومبيوتر» وهم يتنادون للجهاد فى مواجهتها، فأولاً هذه الأجهزة بكل أجيالها وأنواعها تعتمد على شاشات وهذه الشاشات تبث صوراً، والصور محل شكوك وريب

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٧٨.

وهابية هائلة، بالإضافة إلى أن هذه الأجهزة مبنية على أساس غير شرعى عندهم، فهى عقول إلكترونية تنافس العقل البشرى أى أنها تضاهى خلق الله، وهذا حرام وإثم كبير، بالإضافة إلى أن هذه الأجهزة يمكن أن تقدم رؤية علمية عن المستقبل، وهذا كفر جديد فالمستقبل بيد الله والغيب لا يعلمه إلا الله[1].

إن هذه الأجهزة ـ عندهم ـ تعبر عن تحدى الإنسان لربه وخالقه، إنها نوع من أنواع النزق البشرى والتمرد الإنسانى غير المشروع.

تصوروا معى لو أن المسلمين صدقوا فتاوى الوهابيين وأثموا «الكومبيوتر» وصوره الإلكترونية الملعونة، لخرجوا عن العصر وعلوم العصر.

وإذا حاولنا رصد كل الأجهزة غير الشرعية لأنها تعتمد على صور إلكترونية تحوطها الريب (الدينية) فلن نستطيع رصدها وإحصاءها جميعاً، عشرات الأجهزة الطبية التى تقيس نبضات القلب والمخ وأجهزة الأشعة بأنواعها المختلفة وغيرها وغيرها من الأجهزة المعنية بأجزاء الجسم المختلفة، هذا غير عشرات الأجهزة التى ترصد حركة السحاب والأمطار والتقلبات الجوية وحركة الزلازل والبراكين وأعماق البحار وأجواز الفضاء... إلخ.

وانطلاقاً من الفهم الوهابى للإسلام، على المسلمين التعالى على هذه الأجهزة والتعامل معها بترفع وترك، ومطاردتها فى كل ديار المسلمين، حتى لايكون فى ديارنا أى ظلال لشرك أو مسحة من وثنية تلوث من طهرنا وعفتنا العقائدية.

---

(١) فتاوى العقيدة ـ الشيخ العثيمين فى مواجهة الكومبيوتر (مزاعم الكومبيوتر) ـ ص ٣٧٩ : ٣٨٧.

.. والسادة الوهابيون لايحاصرون الأجهزة العلمية التى تبث صوراً فقط ولكن يحاصرون كل الأجهزة التى تحوطها الريب والشكوك الشرعية، وخاصة كل أنواع وأجيال الروبوت أو الإنسان الآلى، فإذا كانوا قد رفضوا ألعاب الأطفال التى تشبه الإنسان، فما بالك بهذا الروبوت القادر على القراءة والكتابة وعزف الموسيقى وحراسة المنازل وشراء الحاجيات من السوق وعمل العمليات الجراحية، بل وخوض الحروب والقتال. إذن فقد أصبح الروبوت أمة كاملة وعلى هذا فقد أفتوا بأن هذا الروبوت بدعة ابتدعها الإنسان الذى بطبعه «ظلوماً كفوراً» ليضاهى خلق الله وذلك عمل منكر وشرك بالله، وعلى هذا فلا يجب أن يتعامل الإنسان المسلم مع كل أجيال وأشكال وأنواع هذا الروبوت الملعون لا فى بيته ولا محل عمله ولا مصنعه.

قانون السببية.. باطل شرعا!

وبعد أن حاصر السادة الوهابيون كل أجهزة العلم الحديث وصنفوها حسب منظومة التأثيم الوهابية المعروفة، كان لابد لهم من الاندفاع أكثر نحو أصول الأشياء، أو نحو القوانين الفاسدة المشركة التى أخرجت لنا تلك الأجهزة، فلابد من التعامل وهابياً وبصرامة تامة مع تلك القوانين المنتهكة للمشروعية الوهابية أو للفهم الوهابى للكون، وهكذا أصدروا أوامرهم بوقف العمل بهذه القوانين الآثمة التى تنظم عناصر الطبيعة من شمس وقمر ونجوم ورياح وأمطار وغيوم، فعلى كل شىء أن يكف عن الدوران وينظم وهابياً، ولامجال لأى خلل أو تلاعب، فالمنظومة الوهابية تشمل كل شىء وتغطى كل مساحات الكون، وبناء على ذلك فيجب وقف العمل بقانون الجاذبية وقانون بويل وقانون عدم فناء المادة وكل القوانين الآثمة الأخرى، ولابد من ضرب هذه القوانين جميعاً فى

الصميم، وذلك بالفتوى بعدم جواز ربط السبب بالمسبب من الأساس، أو بعدم مشروعية قانون السببية الذى يشكل الأساس العقلى والمنطقى لكل القوانين العلمية،وبتأثيمه وتجريمه ينفرط عقد القوانين جميعاً، وتنعدم صلة البشر بأسرار الكون من حولهم، ويصبحوا مجرد متفرجين على الظواهر الطبيعية، أو عابرى سبيل، وليسوا باحثين عن أسرار الظواهر وأسرار الحياة، يعيشون على هامش الحياة كالدواب والطيور والأسماك.

ولكن كيف استطاع السادة الوهابيون تأثيم قانون السببية؟

لقد أفتوا أن ربط السبب بالمسبب كفر، والواجب شرعاً ربط السبب بالمسبب الأكبر أو الله جل جلاله، وليس بالمسبب الكونى الأثيم، وعلى هذا أصبح كل العلماء وطلبة العلم معتدين على حرمات الله إذا آمنوا بقانون السببية. وبالطبع إيماننا كبشر بأن وراء كل علة معلول لا يصادر دور الله عز وجل المهيمن أصلاً على كل الوجود والذى بث تلك القوانين فى الأشياء وأوجب ارتباط كل ظاهرة بمسبب.

وتعالوا نتأمل هذه النصوص الوهابية المؤثمة لقانون السببية: (تعليق أو ربط المطر بالضغط الجوى والمنخفض الجوى وهو وإن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا ينبغى فتح هذا الباب للناس، بل يقال هذا من رحمة الله، وهذا من فضله ونعمته، فتعلق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التى تصرف الإنسان عن تعلقه بربه)[١].

لاحظ أولاً استخدام الشيخ العثيمين كلمة «قد» فهو يقول «وإن كان قد يكون سبباً حقيقياً» فهو يشكك فى هذه الحقيقة العلمية بداية. ثم يتلو ذلك بأن يعتبر ربط الظاهرة بأسبابها باباً للشر لا يجب فتحه للناس فعلى الناس أن تعيش كالسائمة،

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٣٧٤.

لاتفكر ولاتبحث ولاتحاول الكشف، ولا تتأمل الظواهر ولا تحاول اكتشاف أسبابها العلمية فكل ذلك مدخل إلى الهلكة والعياذ بالله، فيجب أن نغيب عقولهم تماماً ونتعامل مع قلوبهم التى نعلقها بمشيئة الله ورحمة الله ولطف الله. فالمسلم الحق غائب العقل كاره له، رافض لتواجده فى الحياة، ورافض لتواجده فى كيانه الشخصى. المسلم الحق يكره ويؤثم المتحدثين بلسان العقل والمؤكدين على ضرورة زرعه فى ديار المسلمين، فالعقل باب الشرك والكفر والوثنية الجديد ، والمسلم الفاضل استعاض عنه بالقلب، القلب المعلق بملكوت السماوات والأرض ويكفيه ذلك لعمار الدنيا، ففى أى شى يحتاج العقل؟ فكل ما يحتاجه المسلم من مخترعات تسهل حياته تأتى من بلاد الكفار المستخدمين لعقولهم والمغيبين لقلوبهم، فكم هم خاسرون. ولكننا نحن المسلمين أهل القلب، تركنا لهم العقل الآثم المتمرد والجامح يحصلون به العلوم والفنون ويملكون به الدنيا، وما حاجتنا إلى الدنيا الفانية، ونحن نملك الآخرة الباقية؟! ونسى المروجون لهذه المعانى أن الله تعالى أمرنا بعمار الدنيا، وأنه تعالى قال فى كتابه العزيز ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. وتعالوا نكمل النص الوهابى الذى يؤثم القائلين بأن سبب هطول المطر يرجع إلى ظروف الضغط والمنخفضات الجوية.. (وليُعلم إن النسبة أى نسبة أو ربط المطر بالضغط....) تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

٢ - نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

٣ - نسبة وقت، وهذه جائزة.

وهكذا انتقل السادة الوهابيون من مجرد قفلهم بوابة العلم فى وجه المسلمين

وغلقها بسلاسل وهابية غليظة، إلى تأثيم من يحاول فتح هذه البوابة أو فض أختامها أو كسر أقفالها.

فإذا كان الجزء الأول من النص يمنع المسلمين من ربط السبب بالمسبب الحقيقى فقط، فإن هذا الجزء الجديد من النص انتقل بنا إلى تأثيم من يقوم بهذا الربط وفق منظومة التأثيم الوهابية المعهوده فأصبح من ينسب المطر إلى الضغط الجوى أو المنخفضات الجوية مشركاً شركاً أكبر أى أصبح داخل منطقة الموت المقدس الوهابى وأصبحت سيوف الوهابيين المشروعة دوماً فى انتظار قطف رأسه الأحمق. أما من قال إن سبب نزول المطر هو الضغط الجوى أو المنخفض الجوى أصبح مشركاً شركاأصغر. إذن، فعلى المسلمين أن يبتعدوا تماماً عن كل دوائر الإثم والشرك بالله، وهى بالتحديد دوائر العلم والعقل والبحث، فنحن أخيار أطهار أنقياء بقدر ابتعادنا عن العلم، وآثمون ومشركون وكافرون بقدر اقترابنا من العلم، فكأن العلم والعقل هما سكة الندامة أو كأن العلم أصبح فى حياتنا كالحجرة المسحورة التى حكت لنا عنها كثيراً حكايات ألف ليلة وليلة والتى يُطلب من بطل الحكاية ألا يفتحها أبداً وإلا قاده ذلك إلى الهلاك، فعلى المسلمين أن يسمعوا كلام السادة الوهابيين وألا يفتحوا الحجرة المسحورة المليئة بالمردة والشياطين حتى يفوزوا بست الحسن أو بنت السلطان الوهابية.

الشرك والمطر

وإذا كان السادة الوهابيون قد فصموا عرى العلاقة بين المطر والمنخفضات الجوية من خلال ترسانة هائلة من الفتاوى، إلا إنهم اكتشفوا أن المطر مازال يناور ويفسد البيئة الوهابية الصالحة النقية، فقد اكتشفوا أن كثيراً من المواطنين السعوديين يعتقدون أن

المطر يمكن أن يغيثهم من القحط، وفى هذا (الاعتقاد) شرك كبير، حيث إن معناه أن المطر يشارك الله الربوبية، وعلى هذا تم استصدار مجموعة من الفتاوى التى تحاصر كل أنواع الشرك المصاحب لظاهرة المطر والاعتقاد أنه مصدر خير وإغاثة ونجدة وسقيا وإليكم النص الوهابى المحاصر لشرك الأمطار: (الاستسقاء بالأنواء. جمع نوة. يمكن أن يرتبط ويقود إلى نوعين من الشرك أو قسمين من الشرك. القسم الأول: شرك أكبر وله صورتان: الصورة الأولى. أن يدعو المسلم الأنواء بالسقيا. كأن يقول يانوء كذا اسقنا، أو أغثنا وما أشبه ذلك، فهذا شرك أكبر وهذا شرك فى العبادة والربوبية.

الصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذا النوء ولو لم يدعها على أنها هى الفاعلة بنفسها دون الله، بأن يعتقد أنها هى التى تنزل المطر دون الله فهذا شرك أكبر فى الربوبية.

القسم الثانى: شرك أصغر، وهو أن يجعل هذه الأنواء سبباً والله هو الخالق والفاعل وإنما كان شركاً أصغر لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره، فهو مشرك شركاً أصغر)[(١)]

هل أحد فى الدنيا يتصور حجم الترويع الكامن فى النص؟ هل أحد يتصور أن كل هذا الترويع والتأثيم الذى يصل بالمسلم إلى حد اتهامه بالشرك الأكبر ومن ثم اقتياده إلى الموت والمحو الكامل من الحياة بسبب قول يمكن أن يصدر من إنسان بسيط يشعر بالقحط والجفاف من حوله فيقول يانوء (يانوه) الخير أو يانوء البشاير أو أى اسم متعارف عليه بين الناس: اسقنا أو أقدم بالخير.... إلخ؟ هل أحد فى الدنيا يمكن أن

(١) فتاوى العقيدة. ص ٣٦٧، ٣٦٨.

يتصور حجم التأثيم الكامن فى النص الذى لا يتناسب مع حجم الجرم؟! هذا إذا افترضنا أن هناك جرماً أصلاً، هل أحد يمكن أن يتصور أن كل هذه الصور من الشرك وأشكاله وأحجامه وأنواعه متعلقة بهذا القول البسيط الذى يصدر من إنسان عامر قلبه أصلاً بالإيمان بالله؟! ثم ما هذا الغرام الغريب بتأثيم المسلمين وتكفيرهم؟ ما هذه الغلظة والقساوة والجفاء؟ ثم ما كل هذه الدقة الزائفة والنظام الأجوف البادى فى النص حتى أنه قد يوحى لأول وهلة أن وراءه علماً حقيقياً وليس مجرد علم مغلوط وأنساق فارغة وتنطع عقلى وفهم طفولى لعقائد المسلمين، هل هناك عقل يمكن أن يصدق أن المسلم الذى يقول ببساطة: يانوء البشاير أغثنا من القحط، يقصد أن هذا النوء يشارك الله عز وجل فى الألوهية، أو أنه يجعله فى مقام الله؟! إن النوء من صنع الله، ويهطل بالخير والسقيا بإذن الله، والمسلم الذى يقول هذه العبارة يتوجه بها إلى الله جل جلاله ولكنه التعبير البسيط الدارج. فالمسلم وهو يقول أمثال هذه العبارات يعلم أن النوء من خلق الله ويهطل بالخير أولا يهطل بإذن الله وأن الله هو خالق الأمطار والأنواء والرياح والسماوات والأرض. ولكنه التنطع الوهابى والغلظة الوهابية المتدثرة بكل أردية العلم الزائف المغلوط.

والمشكلة التى يجب لفت النظر إليها أن القضية ليست قضية قانون السببية وعلاقته بظاهرة المطر والأنواء فقط، ولكن القضية قضية أن قانون السببية هو القانون الأم - بشكل أو بآخر - الذى تمتد مظلته على كل شىء. وعلى هذا فالسادة الوهابيون لايمكن أن يوافقوا على أن سقوط الأشياء - مثلاً - على الأرض بسبب الجاذبية الأرضية، ولكن الأشياء تسقط بسبب مشيئة الله، وقس على ذلك عشرات القوانين المرفوضة

والمؤثمة وهابياً لأن أساسها العقلى مرفوض. وهو قانون السببية الأثيم الغادر الذى يلغى مشيئة الله عز وجل. هذه هى القضية، أن السادة الوهابيين قد أقاموا سداً منيعاً بين المسلمين وكل علوم العصر وكل القوانين العلمية وأخرجونا خارج إطار العصر وخارج حركة البشرية نحو المستقبل.

الأرض لا تدور فى ديار السعوديين

وبما أن السادة الوهابيين يعيشون خارج إطار العصر وخارج إطار العلم، وبما أنهم خارج مجرى التاريخ البشرى بشكل عام ولا يشعرون بحركة الزمن وتطور العلوم، بل يؤثمون كل ذلك، فهم مرتبطون بالسلف وبالقرون الثلاثة الأولى، وضد علم الخلف أى علم كل القرون التالية، وبما أن ما يملكونه من النقول تخبر بأن الأرض ثابتة، فهى ثابتة، وهكذا طلع علينا كبيرهم الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فى المملكة العربية السعودية. هذه هى ألقابه الرسمية عام ١٩٧٦ بالفتوى التالية:

«إن القول بأن الشمس ثابتة وأن الأرض دائرة هو قول شنيع منكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضل ويجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين»[١].

وقد نشرت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية. لاحظ كلمة علمية. والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض كتاباً عام ١٩٨٢ من تأليف رئيسها الشيخ ابن باز، جمع

(١) والقضية ليست حركة الأرض، ولكن هناك عشرات الحقائق العلمية التى يمكن أن تقود معتنقيها إلى الارتداد والقتل حسب أفهام السادة الوهابيين.

فيه الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس والقمر وسكون الأرض[١]، حيث أجهد الشيخ نفسه فى الإتيان بالأدلة لإثبات أن الشمس تتحرك، وهذه بديهية علمية، فالشمس تتحرك فى الفضاء الكونى والكواكب جميعها تدور حولها بما فيها الأرض بالطبع، ورغم حركة الشمس فالكواكب تتبعها وتحافظ فى نفس الوقت على نسب ثابتة من البعد عنها.

وتعالوا نتأمل أدلة الشيخ على حركة الشمس. يقول: (إن الشمس سقفها ليس بكروى كما يزعم كثير من علماء الهيئة الفلكية، وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلى رؤوس الناس).

هذه أول حقيقة علمية وهابية يسوقها الشيخ، ثم يسوق لنا حقيقة أخرى حيث يقول: (وإنه لو كانت الشمس ثابتة لما كان هناك فصول أربعة ولكان الزمان فى كل بلد واحداً لا يختلف)[٢].

ومن الواضح أن النظريات (العلمية) الوهابية تتعارض تعارضاً تاماً مع حقائق العلم كما يعرفها البشر جميعاً. فالشمس ليست لها قبة. والقبة ليست لها قوائم، والملائكة لا علاقة لها بحركة الشمس فى الفضاء الكونى.

أما الفصول الأربعة واختلافها فهو ناتج من حركة الأرض ودورانها حول الشمس وليس العكس. ولكنها النقول! نعم النقول التى يعتمد عليها الوهابيون.

---

(١) مسلمون وكفار - د/ محمد أبو الإسعاد - ص ٤.

(٢) مسلمون وكفار - ص ٧ ، ٨. ومن الواضح أن ابن باز عندما قال بحركة الشمس، لم يقصد حركتها فى الفضاء الكونى، ولكن قصد حركتها حول الأرض مع ثبات الأرض.

ثم ينتقل الشيخ ابن باز إلى إثبات الأرض وعدم حركتها، ويفتح النقول وخاصة كتاب ابن القيم (مفتاح دار السعادة) لينقل لنا بعض ماذكره ابن القيم من (أدلة حيث يقول: (إن الله خلق الأرض على ماهى عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهاداً ومستقراً للناس، يسعون عليها فى مآربهم وأعمالهم ويجلسون لراحتهم وينامون لهدوئهم، ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً ولا هدوءً ولابقى لهم عليها بناء ولا أمكنة ولا صناعة ولا تجارة ولا حرث فكيف كانوا يهنأون بالعيش والأرض ترتج عليهم). كما نقل عن البغدادى قوله: (إن الأرض ساكنة وإن حركتها إنما تكون لعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهريين أن الأرض تهوى أبدا. ولو كانت لوجب ألا يلحق الحجر الذى نلقيه من أيدينا الأرض أبداً لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه فى انحداره، ولذلك أجمع علماء المسلمين على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها) انتهى النص.

.. وهكذا وبناء على النقول التى فى حوذة الشيخ ابن باز يجب علينا أن نلغى عقولنا وعلومنا ونؤكد للعالم أجمع أن الكرة الأرضية ثابتة كما قال لنا فقهاؤنا ابن القيم والبغدادى منذ مئات السنين، فلا يجب أن نلغى تراث الأجداد لصالح علماء من الكفرة بل يجب على العالم كله أن يشكر المؤسسة الدينية السعودية التى تمنح الإنسانية العلم الحقيقى وتزهق باطل الكافرين، ويجب أن يتوجه علماء الأرض إلى الرياض ليعرضوا نظرياتهم على النقول التى فى حوذة السادة الوهابيين حتى يتأكدوا من صحة نظرياتهم فكما أنهم يملكون براميل النفط، يملكون أيضاً المتون والنقول التى تحدد حلال العلم وحرامه وطيب العلم وخبيثه.

وبما أن رجال الدين هم المعنيون بإثبات أو نفى النظريات العلمية، فلا مانع من أن يسوق لنا الشيخ بن باز أدلته الشرعية لدحض وإزهاق نظرية حركة الأرض ودورانها حول الشمس. يقول الشيخ:

(لو أن الأرض تتحرك لكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه، ولا يمكنه الوصول إلى حيث يريد. والدليل الثانى: أنه لو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان والأشجار والأنهار لا قرار لها وتشاهد الناس البلدان المشرقية فى المغرب والبلدان المغربية فى المشرق ولتغيرت القبلة على الناس لأن دوران الأرض يقتضى تغير الجهات بالنسبة للبلدان والقارات) ثم يقول:

(هذا إلى أنه لو كانت الأرض تدور فعلاً لأحس بها الناس كما يحسون بحركة الباخرة والطائرة وغيرها من المركوبات الضخمة).

ولن أعلق على ما قاله الشيخ عبد العزيز، لأن أى تلميذ صغير يستطيع أن يرد على تلك الأقوال الساذجة. ولكن دعونا نتابع حرب الشيخ بن باز ضد علماء الفلك حيث يقول:

(أما قول بعض الناس أن العلوم الفلكية يجب أن يرجع فيها إلى علماء الفلك ولايجوز لعماء المسلمين الخوض فيها فهذا القول لايصح بل هو من أفسد الأقوال وذلك لأن علوم الفلك فيها ماله تعلق بالشرع ولا يجوز أن يصدق علماء الفلك فى كل ما يقولون لأن إجماع علماء الهيئة الفلكية لا يعد حجة لأنهم ليسوا معصومين فى

إجماعهم وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام والذين اجتمعت فيهم صفات الاجتهاد وعرفوا بالدين والاستقامة، أما علماء الهيئة الفلكية فليسوا كذلك)[١].

هل رأيتم كيف تتقرر القضايا العلمية عند المؤسسة الدينية السعودية؟! تتقرر من خلال هذا القياس (العقلى) الرصين:

أيهما نصدق: علماء المسلمين الأتقياء الأنقياء التراثيين السلفيين، أم علماء الفلك الزناة شاربى الخمر الكفار الملحدين؟ من نصدق: علماء الإسلام أم علماء الكفر، نأخذ العلم من العلماء المعروفين بالورع وكثرة الذهاب إلى المساجد أم من علماء الفلك لاعبى الميسر ومعاقرى الخمر والنساء؟ والحسم هنا سريع، فيجب أن نصدق ونتبع علماء الورع والزهد، ونشك فى كل العلوم الملوثة بالخطيئة والدنس، فنحن مع العلم الشرعى الطاهر المبرأ من الدنيا، نحن مع علم السالكين الذين قدت قلوبهم من نور واكتست ملامحهم بالوضاءة وأيديهم بالطهارة وعيونهم تحلق فى الملكوت.

نداء إلى مدرسى الجغرافيا

وبما أن المؤسسة الدينية الوهابية هى الهيئة العليا المهيمنة على الحياة الدينية والعلمية والشرعية فكان من الطبيعى أن يتوجه أساتذة العلوم المختلفة إلى تلك المؤسسة لتلقى الفتوى والتوجيه فيما يخص العلوم التى يدرسونها فى المدارس أو الجامعات حتى يكتسب علمهم المشروعية المطلوبة ويصبح علماً حلالاً شرعياً مدشناً من المؤسسة الوهابية.

وهكذا وجدنا أحد أساتذة الجغرافيا يطلب المشورة بشأن تدريسه هذا العلم قائلاً: ما

(١) مسلمون وكفار - د/ أبو الإسعاد - ص ٧ : ١٢ .

توجيهكم لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا وفيها أن تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول الشمس؟

ويجيء الرد من الشيخ العثيمين أحد أهم أركان المؤسسة الوهابية قائلا:

(الليل والنهار ينتجان من دوران الشمس حول الأرض وليس العكس، وأما ما ذكره علماء الفلك العصريون فإنه لم يصل عندنا إلى حد اليقين، فلا ندع من أجله ظاهر كتاب ربنا وسنة نبينا.

ونقول لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا، عليك أن تبين للطلبة أن القرآن الكريم والسنة كلاهما يدل بظاهره على أن تعاقب الليل والنهار، إنما يكون بدوران الشمس على الأرض وليس العكس، فإذا قال الطالب: أيهما نأخذ به: أظاهر الكتاب والسنة أم ما يدعيه هؤلاء الذين يزعمون أن هذه من الأمور اليقينيات؟ فجوابه:

أنا نأخذ بظاهر الكتاب والسنة)[1].

ومشكلة السادة الوهابيين أنهم قد اعتبروا أن تفسير ابن القيم والبغدادى وغيرهما من علماء المسلمين القدامى، لبعض الآيات القرآنية بما يتناسب مع اعتقادهم بثبات الأرض وعدم دورانها حول الشمس، اعتبروا ذلك نصوصاً مقدسة وتفسيرات مقدسة يجب ألا تمس، فسجنوا نصوص القرآن الكريم داخل إطار هذه التفسيرات. ويجب عليهم أن يتحرروا من تفسيرات هؤلاء العلماء الذين عاشوا منذ مئات السنين فى إطار حضارى وعلمى مختلف تماماً عن عصرنا، ولو عاش هؤلاء العلماء الكبار اليوم بيننا

(١) فتاوى العقيدة - ص ٣٧٦ - ٣٧٨.

لتعاملوا مع النصوص القرآنية بشكل مغاير تماماً. فيجب تحرير العقل المسلم من عبادة وتقديس شروح العلماء والفقهاء، والتعامل الطلق مع نصوص القرآن نفسه وليس مع شروح تجاوزها الزمن والعصر والعلم حتى لانسئ إلى ديننا وإلى القرآن الكريم نفسه.

بل إن كثيراً من العلماء ينادون بوجوب إبعاد القرآن الكريم عن قضايا العلم حتى لانسئ إلى القرآن، فالدين دين، وصايا خلقية وتشريعات اجتماعية وتبيان للصراط المستقيم الذى ينجي الإنسان فى الدنيا والآخرة. والعلم علم، له قوانينه ومناهج بحثه وأدواته ومعامل أبحاثه ومجاله المختلف تماما، فيجب أن نحفظ للدين قداسته ومكانته ومجاله، ونحفظ للعلم هيبته ووقاره ومجاله المختلف، ولانخلط الأمور فنضيع الدين والعلم معاً.

قانون بقاء المادة كفر

ولكن إذا كنا ندعوا إلى ذلك، فإن السادة الوهابيين قد ضربوا عرض الحائط بدعوتنا وأبدعوا لنا علماً فريداً يمزجون فيه بين دار الفناء ودار البقاء، بين وجودنا الزائل فى الدنيا ووجودنا الخالد فى الآخرة، بين مخلوقات الدنيا الفانية ومخلوقات الأخرة الخالدة، بين قوانيننا الأرضية الآثمة وقوانين الآخرة السرمدية، مزجوا بين نهر النيل ونهر الكوثر، بين زيد وعمرو الفانين فى الدنيا وزيد وعمرو الخالدين فى الآخرة إما فى الجنة أو فى سقر، ومزجوا بين عالم الإنس والجن والملائكة فى نسيج شرعى واحد، فإذا كان علم الإفرنجة الكفار يفصل بين مملكة السماء ومملكة الأرض فإن علم الوهابيين الشرعى يمزج بين أنواع الوجود الحاضر والآتى والفانى والخالد.

وعلى هذا فقانون مثل «المادة لا تنفى ولا تخلق من العدم» قانون باطل مفعم

بالشرك والكفر والعياذ بالله. وتعالوا نتأمل هذا النص الوهابى المكفر لهذا القانون الأثم ومن خلال المنظور الموحد لكل عناصر الوجود عندهم: (القول بأن المادة لاتفنى وأنها لم تخلق من عدم كفر لايمكن أن يقوله مؤمن، فكل شيء فى السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عدم، كما قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) وليس هناك شيء أزلى أبدى سوى الله.

وأما كونها لاتفنى، فإن عنى بذلك أن كل شيء لايفنى لذاته فهذا أيضاً خطأ لاصواب، لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء. وإن أراد به أن من المخلوقات ما لايفنى، بإرادة الله فهذا حق، فالجنة لاتفنى وما فيها من النعيم لايفنى، وأهل الجنة لا يفنون وأهل النار لايفنون. لكن هذه الكلمة المطلقة (المادة ليس لها أصل فى الوجود وليس لها أصل فى البقاء) هذه على إطلاقها كلمة إلحادية. فنقول المادة مخلوقة من عدم، فكل شيء سوى الله فان، فالأصل فيه العدم)[(١)].

هل رأيتم هذا النص العلمى الذى يزيل الفواصل بين كل الموجودات الأرضية والسماوية والقوانين الأرضية والقوانين الأزلية، وبذلك أصبحت كل القوانين الإفرنجية التى تتعامل مع عالمنا الأرضى فقط، باطلة وكافرة لأنها تجاهلت عمداً أو جحوداً ونكراناً وكفراً كل موجودات الله السماوية.

فالسادة الوهابيون لايستطيعون أن يفهموا أن العلماء لايقصدون أن المادة بحكم كونها مادة لاتفنى، ولكن يقصدون أن الله عز وجل قد خلقها كذلك، وبث هذا القانون فى تضاعيفها، فهى تنتقل من حالة إلى حالة، من صورة إلى صورة، من الصورة الصلبة

(١) فتاوى العقيدة - ص ٧١٩ - ٧٢٠.

إلى الصورة السائلة إلى الصورة الغازية أو العكس، ولاتفنى على الإطلاق داخل إطار كوننا أو عالمنا الذى خلقه الله وفق تلك القاعدة، ولاشك أن الله عندما يقرر فناء الكون سيبطل هذا القانون.

وعندما يقول العلماء أن المادة لاتخلق من عدم، يقصدون أيضا، أننا لانستطيع أن نصنع أى شيء إلا من عناصر أخرى، فلا يمكن خلق مادة إلا من مادة أخرى، أو صورة مادية من صورة أخرى، ولم يقصدوا بالبداهة أن مادة الأشياء لم يصنعها الله من العدم أصلاً، بل هم يعلمون تماماً أن الله خلق كل شيء ولكنه خلق الأشياء وبث فيها قوانينها الخاصة التى تعمل وفقها، وعلى هذا عندما تصاغ القوانين العلمية، تصاغ فى شكلها المجرد الموضوعى ليس إنكاراً لمشيئة الله وهيمنته على كل شيء، ولكن لأن العالم يتكلم عن القانون الذى تعمل على أساسه الظاهرة ولايتحدث فى أمور الدين، إنه يصوغ قوانين علمية وليس قوانين فقية، ولكن لأن السادة الوهابيين لايفهمون نهائياً أن هناك شيئاً اسمه «علم» وضعت البشرية له القواعد الصارمة التى تضبط مناهجه وصياغاته وقواعد عمله ومناهج بحثه حتى يكون علماً وليس فناً وليس فلسفة وليس شعوذة وليس وجداً صوفياً.

فالسادة الوهابيون فى خطابهم الدينى لجماهير المسلمين - أو فيما يسمونه علماً شرعياً - يخلطون بين قضايا العلم وبين عالم الجن، بين قضايا العلم وعالم الملائكة، بين العلم والدين، بين العالم الذى نعيش فيه وبين العالم الآخر، هذا عبث وإفساد لأمور الدنيا وأمور الدين معاً، هذا تخليط وتشويش وفوضى عقلية كاملة.

ولو حاولنا أن نفتش عن نقطة البدء الخاطئة عند السادة الوهابيين والتى أدت إلى

إقامة كل بنائهم الخاطىء لوجدناها فى اعتقادهم أن المرجعية العلمية تكون للكتاب والسنة وليس لكتاب الطبيعة، ولم يفهموا أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله على نبيه (ﷺ) لهداية البشر، وأنه على هذا الأساس ليس كتاباً علمياً وليس له أى علاقة بالقوانين العلمية، والسنة النبوية ماهى إلا شروحاً لما ورد ونزل فى القرآن الكريم وليست نظريات علمية عن حركة الرياح والأمطار وقوانين بقاء المادة أو فنائها. ومن هذه النقطة الخاطئة تصاعد الخطأ الوهابى وتنامى وأنجب كل الحركة الوهابية المضادة للعلم والحضارة وقيم العقل.

وكما أشهر الوهابيون فى مطلع القرن سيوفهم فى وجه الطائرات وطاردوها بخيولهم فإن أحفادهم مازالوا يشهرون سيف النقول[1] المقدسة فى مواجهة حركة العقل وتقدم العلم.

فالحركة الوهابية ثبَّتت كل حركة الحياة وتقدم البشرية عند أعتاب النصوص، وحرمت حركة التقدم داخل كتاب الطبيعة وأتمت ذلك من خلال ترسانة مقدسة من الفتاوى، يصل سقفها (الفتاوى) إلى مرحلة الشرك الأكبر الذى يقود إلى الموت المقدس.

وهكذا تم غلق كتاب الطبيعة أمام العقل المسلم وتم فتح كتب النقول على مصراعيها، فأصبح المسلم مغموراً ومحاصراً بالنقول وأصبحت كل حياته وحركة عقله وحركة تأمله وبحثه داخل إطار المتون والنصوص، وغرق المسلم فى البحث عن دلالة أو خطورة «حرف الجر» هنا أو هناك داخل النصوص، وابتعد كل البعد عن معاشرة الواقع

---

(١) النقول: أقصد بها كتب الفقها.

وتأمله، وكشف أسراره والقوانين التى بثها الله عزوجل فى هذا الواقع، حتى يستفيد من هذه القوانين ويسخرها لصالح المجتمع والمسلم والتمدين البشرى.

وهكذا أصبح المسلم عابر سبيل للدنيا، مجرد متفرج عليها وليس مشاركاً فى صنع حضارتها، فهو يتفرج على كتاب الطبيعة ويصرخ فى نشوة: ما أروع هذه الظاهرة، يا بدائع خلق الله! بينما يجب عليه أن يقول سأبحث عن سر هذه الظاهرة والقانون الذى يحكمها. ويكون ذلك هو قمة التقدير لحكمة الله والإعجاب ببديع صنعه. فلماذا لايكون تسبيحنا بحمد الله بحثاً وتمحيصاً وإيغالاً فى فهم بدائع خلق الله، لماذا لا تتحول نشوتنا بالوجود وكتاب الطبيعة إلى مناهج للكشف والبحث؟ لماذا نتعامل مع كتاب الطبيعة بمنطق الشعراء والفنانين والمتصوفة وليس بمنطق العلماء والباحثين والمكتشفين؟

والكارثة أن السادة الوهابيين لم يحجبوا عنا كتاب الطبيعة فقط ولكنهم حجبوا عنا ماتوصل إليه الآخرون من أسرار هذا الكتاب، وشككوا العقل - العقل المسلم - فى كل إنجازات العلم الحديث. ولم يكتفوا بكل ذلك، بل قاموا بعزل العقل المسلم عن كل المخترعات الحديثة، وأصبح كل هم العقل المسلم فى تعامله مع هذه المخترعات هو البحث عن مقدار الحلة والحرمة فى الجهاز أو الاختراع. وهكذا يحرم العقل المسلم من التأمل الجاد للجهاز أو الاختراع ومعاشرته عقلياً لمحاولة تطويره أو تحسينه، ففكرة التطوير والإضافة لاتأتى على بال المسلم أبداً ولكن ما يأتى على باله ويشغله هو: هل استخدامى أو مجرد لمسى لهذا الجهاز أو ذاك قد أوقعنى فى الإثم أم لا؟!

وهكذا أطلق السادة الوهابيون بكل بساطة ودمامة الرصاص على الحاضر والمستقبل واكتفوا بتلك المساحة الفاتنة المسماة بالماضى.

الفصل الخامس

الوهابيون مشعلو الحرائق

تصوروا معى مجتمعاً بشرياً بلا موسيقى، بلا تصوير، بلا نحت، بلا غناء، بلا مسرح، بلا سينما، أية جهامة يمكن أن تحتويه. مؤكد هو مجتمع بلا عاطفة، بلا ذوق، بلا حس، بلا مشاعر، بلا وجدان، بلا آدمية.

هل يمكن تصور مجتمع تسرب من مسامه الإحساس وتذوق الجمال والفرحة بالوجود والائتلاف مع الكون والأشياء، إذا استطعنا تصور ذلك، فهل يمكن أن تورق فى مثل هذا المجتمع كيانات بشرية مترعة بحب الوجود، بالرقة، بالعذوبة، هل يمكن أن تورق القيم الخلقية فى مثل هذا المجتمع؟ هل يمكن لفكرة العدالة مثلا أن تتبلور وتصبح متكاملة وناضجة بلا تذوق للجمال والفنون، بدون نفوس مترعة بالذوق والحنان البشرى؟

هل يمكن للضمير الإنسانى أن يتشكل ويكون فى أرقى صوره بلا نفوس شاعرة وقلوب تختلج وتنتشى بتذوق إبداعات الفنون المختلفة، هل يمكن للفقهاء ورجال الدين أن يمارسوا علمهم ويكونوا قادرين على الفتوى الخلاقة بعد أن طرحوا عن حياتهم كل إحساس مثقف ورفيع؟ فإذا كانوا قد طرحوا الجمال من نفوسهم، فكيف يمكن أن يجملوا حياة الناس من خلال الدين؟

هل يمكن تصور أمة ما تقرر مطاردة الخيال أو تعتقل طائر النورس مثلاً، أو تصادر ضوء الشمس وارتعاشة الفجر وتنفس الزهر وزقزقة العصافير، هل يمكن تصور رجال الأمن فى مجتمع ما يطاردون فراشات الحقيقة الملونة، ومساحات الحنان فى النفوس وكل مفردات الحس والجمال فى الحياة من نهيرات وشجيرات وطيور وأزهار حتى لا يحولها الفنانون إلى صور أو تابلوهات ملونة أو تماثيل أو أى شكل من أشكال الفن والجمال.

إذا كنا عاجزين عن تصور ذلك، ولو فى حكايات ألف ليلة التى أدخلتنا مغارات الجن وحلقت مع طائر الرخ وأبحرت بنا إلى جزر السندباد البعيدة، وإذا كانت ألف ليلة فشلت فى خلق مثل هذا العالم أو المجتمع الفظ فى إحدى حكاياها، فإن السادة الوهابيين قد نجحوا فى خلق هذا العالم الفظ الغليظ الجديب فى المملكة العربية السعودية فقد فردوا مظلة التأثيم أو عباءة التجريم على كل أنواع الفنون، وقرروا الاكتفاء بالطعام والشراب والطقوس الدينية، وقرروا أنها تكفى لحياة البشر أو لحياة المسلمين كنوع من أنواع البشر، وقرروا بكل صلف أن الفنون وتذوقها يفسد الروح ويشوه العقل ويبعد المسلم عن التعلق بالله وبالتالى لابد من قطع دابرها ومحو وجودها من كل ديار السادة السعوديين.

لا أعرف لماذا ذكرنى ما يحدث فى المجتمع السعودى بالفيلم الرائع «مشعلو الحرائق» أو ٤٠١ فهرنهيت، الذى تصور صانعه أنه قد يحدث فى المستقبل أن تسيطر مجموعة جهنمية من الناس على أمة ما، ويقرروا تسطيح أفراد هذه الأمة وتجريدهم من كل أعماق أو أبعاد خلاقة قد تجعلهم يثورون ويتمردون على حاكميهم أو جلاديهم فيقرروا إحراق كل الإبداعات الإنسانية من شعر ونثر ورواية وفلسفة وحكمة، وعلى هذا يصبح أهم أجهزة الدولة، جهاز الإحراق أو السادة مشعلوا الحرائق، وهنا يلجأ البشر إلى وسيلة مذهلة فى المحافظة على وجدانهم وعلى نبع الجمال والسحر فى نفوسهم من خلال حفظ كل الأعمال الإبداعية العظمى فى تاريخ البشرية، فنجد مواطناً يحفظ «بؤساء» فيكتور هيجو وآخر «يحفظ أوليفر توست» لديكنز وآخر «آلام ڤرتر» لجوته وآخر كتاب الشعر لأرسطو وآخر جمهورية أفلاطون وآخر هملت شكسبير وهكذا، وأصبح كل مواطن

من حفظة التراث الجميل يتحول إلى معلم لعشرات الأطفال، يعلمهم ما حفظه حتى لا تعقم البشرية وتذبل أرواح وعقول البشر.

وهكذا استطاع هؤلاء «الحفظة» أن يتحدوا مشعلى الحرائق بتحويلهم الأوراق الجافة والباردة لتلك الأعمال إلى أوراق يانعة خضراء تورق وتفيض فى نفوسهم الجميلة ليتدفق هذا الجمال من نفوسهم إلى كل الأجيال البشرية التالية.

وإذا تركنا مشعلى الحرائق فى السينما الأمريكية وعدنا إلى مشعلى الحرائق فى عالمنا الإسلامى، أو السادة الوهابيين لنتأمل كيف شوهوا حياة المسلمين ليس على شاشة العرض الوهابية ولكن على أرض الواقع السعودى نفسه.

ولنبدأ بفن التصوير حيث تصافحنا الفتاوى الآتية:

(التصوير باليد حرام بل هو كبيرة من كبائر الذنوب لأن النبى (ﷺ) لعن فاعله، ولا فرق بين أن يكون للصورة ظل أو تكون مجرد رسم على القول الراجح، وإذا كان التصوير هذا من الكبائر فتمكين الإنسان لغيره أن يصوره أو يرسمه إعانة على الإثم والعدوان فلا يحل)[1].

هكذا أعلن السادة الوهابيون بكل بساطة أن التصوير كبيرة من كبائر الذنوب وعلى هذا فهو حرام على المسلمين وعلى كل أجناس البشر. وعلى هذا فكل إبداعات المصورين فى كل العالم وفى كل العصور آثمة، وكل المصورين العظام أمثال رفاييل ومايكل أنجلو وأحمد صبرى وجمال قطب وسلفادور دالى وحسن البنانى وكل المصورين الفراعنة العظام وفنانى الهند والصين فى كل العصور آثمون وخارجون عن المشروعية الوهابية.

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٦٦٦.

ولم يكتف السادة الوهابيون بتأثيم الأعمال الفنية ومبدعيها بل آثموا الناس العاديين الذين يسمحون لهؤلاء المصورين بتصويرهم فى أعمالهم الخبيثة، فالسماح بذلك نوع من أشد أنواع المساعدة على الإثم والعدوان.

ولكن إذا كان السادة الوهابيون قد أثموا وجرموا رسم كل الكائنات الحية من بشر ودواب وطيور وأسماك، فقد سمحوا برسم أو تصوير كل أنواع النباتات وكل أنواع الجمادات، فأفتوا بجواز (تصوير غير ذوات الأرواح كالجبال والأنهار والشمس والقمر والأشجار، لأن أكثر أهل العلم قال بذلك وخالف بعضهم فمنع تصوير ما يثمر كالشجر والزروع ونحوها)[١].

لاحظو أن بعض أهل العلم تحرج من جواز رسم الشجر والزروع وحرم ذلك على بنى الإنسان لأن الأشجار والزروع كائنات حية. وعلى هذا فالمسموح به وهابياً تصوير كل أنواع الجمادات، أما مملكة النبات فتحرم حولها الريب والشكوك. وعلى هذا، وأخذاً بالأحوط، فيجب على المسلم أن يبتعد كلية عن رسمها أو تصويرها.

ويلاحق السادة الوهابيون الفنانين حتى لا يسربوا صوراً آثمة من خلال وسيط مختلف مثل الذهب أو الفضة مثلا، وهكذا أفتى الشيخ العثيمين قائلاً (الحلى الذهب والفضة المجعول على صورة حيوان حرام بيعه، وحرام شراؤه، وحرام لبسه، وحرام اتخاذه، وذلك لأن الصور يجب على المسلم أن يطمسها وأن يزيلها)[٢].

وبعد أن أحكم السادة الوهابيون حصارهم حول الفنانين، اكتشفوا بؤرة مروعة من

(١) فتاوى العقيدة – ص ٦٧٤ .
(٢) الفتاوى الذهبية – العثيمين – ص ٢٣ .

بذور الإثم والعدوان ألا وهى: المدارس، فقد ينجح بعض فسقة الأساتذة فى تمرير بعض أنواع الرسوم والصور بين الطلبة. ولهذا أصدر الشيخ محمد بن صالح العثيمين مجموعة من النداءات المختلفة إلى أساتذة المدارس.

يقول فى بيانه أو ندائه الأول (لا يجوز للمدرس أن يرسم أو يصور على السبورة صورة إنسان أو حيوان. وإن دعت الضرورة إلى رسم شئ من البدن، صوره منفرداً، بأن يصور الرِّجل وحدها ثم يشرح ما يحتاج إلى شرحه منها ثم يمسحها، ويصور اليد كذلك ثم يمسحها ويصور الرأس وهكذا كل جزء وحده، فلا بأس به إن شاء الله تعالى. أما طُلب منه التصوير من الطلبة فى الإمتحان فليصور شجرة أو جبلاً أو نهراً لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، مع أنى لا أظن ذلك يطلب منه إن شاء الله)[1].

نداء رقم (٢) إلى أساتذة المدارس (لايجوز أن يطلب من الطالب أن يرسم صورة لذات روح، أو يعطى مثلا بعض دجاجة، ويقال أكمل الباقى، أو يطلب منه أن يقص صورة ويلصقها على الورق، أو يعطى صورة فيطلب منه تلوينها. كل ذلك حرام يجب منعه، وأن المسئولين عن التعليم يلزمهم أداء الأطنة فى هذا الباب، ومنع هذه الأشياء، وإذا كانوا يريدون أن يثبتوا ذكاء الطالب بإمكانهم أن يقولوا له: اصنع صورة سيارة أو شجرة أو ما أشبه ذلك، مما يحيط به علمه، ويحصل بذلك معرفة مدى ذكائه وهذا ما ابتلى به الناس بواسطة الشيطان. فالذى أرى أنه يجب على المسئولين منع هذه الأشياء، وإذا ابتلى الطالب، ولابد له أن يصور، فليصور حيوانا ليس له رأس، أما إذا كان نجاحه أو رسوبه مرتبطاً برسم رأس الحيوان، فليرسمه ولكن سيكون الإثم على من أمره

(١) فتاوى العقيدة – ص ٦٧٦ .

وكفله بذلك، ولكنى آمل من المسئولين ألا يصل بهم الأمر إلى هذا الحد، فيضطروا عباد الله إلى معصية الله) (١).

وإذا تأملنا البيان الوهابى الأول لوجدناه يقدم حلاً نموذجياً للتوفيق بين ضرورات التعليم والتعاليم الوهابية، وهكذا صدرت الفتوى بجواز رسم أجزاء الجسم الإنسانى أو الحيوانى منفردة وليست متصلة بعضها ببعض من أجل ضروة التعليم وحده.

أما البيان الوهابى الثانى، فهو يحاول محاصرة تسلل الصور والرسوم الآثمة إلى المدارس من كل النواحى ويغلق بحزم كل الثغرات فهو لا يسمح برسم جناح أو رجل دجاجة لأى سبب ولا يسمح بقص ولزق أى جزء من رسم لأى كائن حى أيا كان، ويغلق ثغرة تلوين الصور التى يلجأ إليها بعض أثمة المدرسين، والبيان يوضح بكل أسى أن الشيطان هو المسئول عن كل ما يحدث فى بعض المدارس من عدم الالتزام بالفتاوى الوهابية.

أما ألطف ما يحتويه البيان اعتباره طلب أحد الأساتذة من تلاميذه رسم حيوان مثلا، نوع من الابتلاء الشديد، وهو يطالب التلاميذ الصغار أن يقاوموا ما وسعتهم المقاومة هذه الكارثة الأخلاقية والخروج على الشرعية (الدينية) وذلك برسم الحيوان كما طُلب منهم ولكن بدون رأس!! كنوع من أنواع المقاومة لكيد أساتذتهم.

ثم يوضح البيان أن البلاء قد يستمر ويتصاعد على رؤوس التلاميذ الأبرياء وذلك بأنه يصر بعض زنادقه المدرسين على رسم التلاميذ لرأس الحيوان وإلا رسبوا فى

---

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

الامتحان وهنا يسمح البيان الوهابى للتلاميذ المساكين بأن يرسموا رأس الحيوان ولكن يبشرهم بأن الإثم لن يقع عليهم ولكنه سيقع على المدرس الشرير الذى كلفهم بذلك.

وهكذا أحكم السادة الوهابيون الحصار حول ظاهرة الصور التى ابتليت بها الإنسانية ولطخت بالشرك عقائد الناس.

ولكن ما هو الأساس الذى أقام عليه السادة الوهابيون فهمهم العجيب لقضية الصور والتصوير؟ يمكننا أن نعرف ذلك من خلال هذا النص الوهابى للشيخ عبدالعزيز ابن باز الذى يقول فيه (فقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبى (ﷺ) فى الصحاح دالة على تحريم تصوير كل ذى روح، آدمياً كان أو غيره، وهتك الستور التى فيها الصور، والأمر بطمس الصور ولعن المصورين وبيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة: قال رسول الله (ﷺ) (ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة)، وقال رسول الله (ﷺ): (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) وقال رسول الله (ﷺ): (إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم) وقال رسول الله (ﷺ): (من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ)، وقال رسول الله (ﷺ): (كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً تعذبه فى جهنم)، وقال ابن عباس لمن جاء يسأله: إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له)[1].

(١) حكم الإسلام فى التصوير - ابن باز وآخرون - ص ٣٧ - ٣٨.

علاقة له بفن التصوير نهائياً، فمن الواضح أن الرسول الكريم يتحدى من ادعى الألوهية من البشر، فتحداهم - بلسان ربه - أن يخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة، أما ما أعقب ذلك من أحاديث شريفة فمن الواضح أنها كلها تتوجه إلى صانعى الصور أو التماثيل التى يتعبد بها الناس، فالرسول الكريم يريد أن يمحو عبادة الأوثان محواً من الدنيا، ولذا شدد النكير على صانعى هذه الأوثان ولا يمكن أن يعقل أن الرسول الكريم وجه خطابه إلى المصورين الذين يصنعون صوراً بريشة تفجر ينابيع الجمال والحس المرهف فى نفوس بنى البشر وتجعلهم إلى الطهارة والنقاء أقرب.

أوثــــان العصــر الحديث

هذا عن فن التصوير، وإذا كان السادة الوهابيون قد أثموا كل إبداع بنى البشر فى فن التصوير، فمن المؤكد أنهم أشد عداءً ورفضاً لفن النحت، لأنهم بكل بساطة يعتبرون كل التماثيل التى تعبر عن أشخاص أو طيور أو حيوان أوثاناً تعبد، ويجب أن ترجم وتحرق وتمحى من على وجه الأرض. هكذا أفتوا قائلين (صنع التماثيل المجسمة إن كانت من ذوات الأرواح فهى محرمة لا تجوز، لأن النبى (ﷺ) لعن المصورين. أما إذا كانت التماثيل ليست من ذوات الأرواح فإنه لا بأس بها)[1].

وانطلاقاً من هذا الفهم الساذج يجب هدم تمثال أبى الهول وتمثال نهضة مصر ومصطفى كامل وسعد زغلول وإبراهيم باشا حتى لا يتعبد المسلمون المصريون بهذه الأوثان.

(١) فتاوى العقيدة - ص ٦٦٤.

بل وصلت قساوة مشاعر هؤلاء الوهابيين بأن أفتوا بأنه (إذا صنع أب تمثالاً من صلصال على شكل إنسان أو حيوان على سبيل العبث ولم يقصد مضاهاة خلق الله لمجرد أن يهديه لأبنه أو يلاعبه به فذلك حرام)[١].

هل أحد يتصور مقدار العتامة والغلظة التى أفرزت مثل هذه الفتوى؟!

تصوروا معى لو أن الفكر الوهابى كانت له السيادة فى العالم، لصحت البشرية يوماً ووجدت أن السادة الوهابيين قد أمروا بهدم الأهرمات وأبى الهول ومعبد الكرنك وتاج محل ومتحف اللوفر وتمثال الحرية وكل متاحف الدنيا ولحرموا بنى البشر من أغلى كنوز الجمال والذوق والإبداع فى لحظة تعسة من أشد لحظات الحياة غلظة ودمامة.

إثم السينما

مازلنا داخل مملكة الفن الآثمة وأشكالها الدنسة المتنوعة كما أفتى السادة الوهابيون. ونحن الآن نلج عالم السينما الآثم الموغل فى الإثم، فالسينما مؤثمة من نقطة بدئها الخبيثة، فالسينما تعنى سيالاً من الصور، وكما سبق أن أوضحنا أن الكاميرا عندهم. اختراع آثم والصور الناتجة عن الكاميرا صور محرمة، فما يبنى على باطل فهو باطل. والأشد هولاً وجرماً وإثماً أن عبر ما يسمونه أفلاماً تتمكن النساء من رؤية الرجال من غير محارمهن ويتمكن الرجال أيضاً من رؤية النساء من غير محارمهم، وذلك من أفاعيل الشيطان، فالمفروض ألا يرى الرجل المسلم (الوهابى) طوال حياته سوى أمه وأخواته وزوجته وبناته وعماته وخالاته ولا يرى أى أنثى أخرى مجرد الرؤية لا فى

---

(١) فتاوى العقيدة . ص ٦٦٥.

السينما ولا فى مجلة ولا فى شارع ولا فى صورة فوتوغرافية، وبالمثل المرأة لا يجب عليها رؤية أى كائن ذكر طوال حياتها وحتى مماتها سوى الذكور من محارمها. وعلى هذا فالسينما حرام حتى لو عرضت أكثر الأفلام رفعة وتمسكاً بالفضائل. فنقطة البدء فى فن السينما حرام. هكذا أفتى السادة الوهابيون وأهالوا التراب المقدس على فن السينما. وعلى نفس الأساس حرم التليفزيون والمسرح والأوبرا.... إلخ.

دنس الموسيقى

ثم نأتى إلى الموسيقى، هذا الكيان الأثر الشفاف المتدفق فى شرايين الوجود والذى يمنحه الإيقاع والاتساق والعذوبة معاً فنكتشف أن السادة الوهابيين قرروا حجبه وتجفيف منابعه فى ديار المسلمين، فالموسيقى عندهم مجرد لهو دنس يلهى عن ذكر الله ويملأ القلوب قساوة!!

هل أحد يمكن أن يتصور أن أمة من الأمم قررت تفريغ كيانها كله من الموسيقى!! إنى أعتقد أن هذا يضاهى تماماً قرارها بتفريغ رقعة الدولة من ضوء الشمس أو إشراقة الفجر أو همسات الموج على شواطئها، ولكن السادة الوهابيين فعلوا ذلك فعلاً، وقرروا عدم رسوا أشرعة الألحان على شواطىء السعودية الجديبة!

تصوروا معى أن أمة ما قررت أن تشن حرباً مقدسة على هذا الكيان الرهيف وتضعه فى الأسر وتخنق تدفقه وتشوه براءته وتمنعه من الحركة بين الناس وتلقى به خارج أعماقهم وتضع على بوابات الأسر حراساً وسيوفاً باطشة لا ترحم.

الموسيقى!! الموسيقى!! ماذا يمكننى أن أقول عنها.. إنها هذا الكيان الخلاب الذى

يزيل كل الجدر بين كيان الإنسان وكيان الكون حوله، وتجعل الكائن البشرى قادراً على الاندماج مع الوجود الخفى القدسى الجميل المبثوث فى طيات الكون، وتدخله عوالم غامضة مدهشة نبيلة كريمة مفعمة بالسحر والنشوة وتحيله إلى كائن شفاف يحلق بين مدارات الكون المختلفة، فهو فى عالم المادة وعالم الروح، وفى عالم الواقع وفوق الواقع، وهو فى حالة وجود وعدم وجود ، فكأن الموسيقى بعد أن تُدخل الكائن البشرى بوتقتها، تعيد خلقه بسكب شلالات من الجمال والبراءة والمعرفة العميقة فى كيانه.

تصوروا معى أن كل الإبداع البشرى فى الموسيقى وعلومها وارتباط كل ذلك بالرياضيات والفلسفة، وكل إبداعات كبار الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابى وابن رشد والبيرونى وعمر الخيام فى مجال علوم الموسيقى مجرد لهو وزندقة.

تصوروا معى أن بيتهوفن، وفاجنر، وموتزارت وزرياب وإسحاق الموصلى وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب مجرد مجموعة من الخلعاء الفجار الذين يدنسون النفس البشرية بدنس الموسيقى.

تصوروا معى أن كل المهن المرتبطة بالموسيقى مؤثمة فى السعودية مثل بيع أو شراء أو صناعة الآلات الموسيقية، فكل هذه المهن تعتبر وهابياً تساعد على الإثم والعدوان.

المؤامرة الموسيقية على الإذاعة السعودية

وأنقلكم من عالم الموسيقى الرفيع والفاضل إلى ساحات الوعى المقدس، حيث يشهر السادة الوهابيون سيوفهم ويثيرون النقع والغبار وتتدافع خيولهم وهجنهم لمواجهة تسلل الموسيقى وفاحشة الغناء إلى الديار السعودية، وتعالوا نتأمل هذا النص الوهابى: (عمل

الحساد والمبغضون بطريق الدس والخديعة، عملوا على إنزال هذه الدولة التى كانت معجزة القرن الرابع عشر الهجرى (القرن العشرين) هذه الدولة التى لا يواليها إلا مؤمن، ولا يعاديها إلا منافق كافر، عملوا على إنزالها من علياء كرامتها وسماء مكانتها.

وها هى ذى قوى الشر اليوم تحاول النزول بالإذاعة السعودية لتذيع كل قبيح وقذر، لتضحك روما المسيحية وتبكى مكة الإسلامية.. آه ثم آه ماذا يريد المنحرفون منا!

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد، ومن يدرينا أن الأمر مُبيت والخطة مدبرة للمطالبة بوجود جوقة طرب للمحطة، يُختار لها الفنانون المهرة والفنانات الماهرات؟

وما يدرينا أن هذه الحملة المسعورة على تحريم الغناء ما هى إلا مجرد مناورة فقط، وأن الأمر أوشك أن يتم، وتخرج (جوقة الطرب) إلى حيز الوجود، ويصبح يجلس فيها الفنان إلى جانب الفنانة بلا حجاب ولا ستار، لأن هذه طبيعة الجوقة حول أجهزة الإرسال، والأمور تجرى دائما على طبائعها.

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد! وما يدرينا أننا سنسمع ضجة أخرى كهذه، كذبة كتبة جدد يطالبون بفتح معهد فى جدة أو فى مكة لتخريج المهرة من الفنانين والفنانات فى العزف والغناء، بحجة أن الموجودين غير أكفاء، ويوم يوجد هذا المعهد، يأتى الشيطان بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على الفاسقين أعزة على الصالحين. ويومئذ يضحك الشيطان قائلاً: على الطهر والصلاح العفاء)[1].

(١) الإعلام بأن العزف والغناء حرام - الجزائرى - ص ٩٨ : ١٠٠.

ونكتشف أولاً من هذا النص الوهابى اكتشافاً جد مثير، لا يعلم به أحد من العالمين وهو: أن السعودية هى معجزة القرن العشرين!

وبالطبع هذا الاكتشاف لطيف وطريف ويثير الضحك حتى البكاء.

وتتوالى حركة الكشف لنفاجأ بأن السادة الوهابيين يعتبرون دولتهم دولة مقدسة لا يواليها إلا مؤمن ولا يعاديها إلا كافر، وعلى هذا فاليمن - مثلاً - دولة كافرة لأنها تعادى السعودية التى اغتصبت منها إقليمى جيزان ونجران وتصرف ملايين الدولارات للقضاء على دولة الوحدة التى ضمت اليمن الشمالى والجنوبى، ونحن لسنا فى مجال حصر أعداء السعودية الكفار، ولكن هذه عينة سريعة فقط.

ونتحرك مع النص ومع الاكتشافات المثيرة عبره، حيث نكتشف أن هناك مؤامرة موسيقية على الإذاعة السعودية فقد تحالفت تيارات الموسيقى المختلفة وحشدت كتائبها لاقتحام الإذاعة السعودية السامقة فى سماء المجد، وليت الأمر توقف عند محاولة التسلل عبر البرامج والإذاعات السعودية فقط ولكن الشيخ الجزائرى يؤكد أن هناك خطة سرية مدبرة للمطالبة بوجود فرقة موسيقية سعودية تعزف دنس الألحان وتستعمل مزامير الشيطان، والمقصود بها كل الآلات الموسيقية عدا الدف، فهو الآلة الموسيقية الحلال، أما كل الوتريات وآلات النفخ.. إلخ فهى مجرد أدوات شيطانية اخترعها وسخرها شياطين الجن والإنس لإلهاء البشر عن ذكر الله، أما كارثة الكوارث التى يحذر منها الشيخ أنه قد يتجرأ بعض كفرة الكتاب والصحفيين بالمطالبة بإنشاء معهد للموسيقى! تصوروا معى حجم الكارثة المحدقة بديار السادة السعوديين، بعد سنوات طويلة من الحصار وبعد رفع الأسوار سنوات وسنوات لمنع دنس الموسيقى وفاحشة الغناء من أرض المملكة، تنشق

الأرض عن معهد للدنس والخنا، ويحذر الشيخ الجزائرى من هذه الكارثة المحتملة قائلاً: يومئذ يضحك الشيطان قائلاً: «على الطهر والصلاح العفاء».

ويظهر أن الموجات الموسيقية الآثمة مازالت تحاصر جزيرة العرب، وتضرب بعنف شواطئها الصخرية المترامية الأطراف، ولكن هيهات.. لن تستطيع أن تجد ثغرة.. لن يسمح لها بموضع لقدم، فالقلاع السعودية حصينة والأسوار عالية والسادة الوهابيون ينتظرون، شاهرين السيوف لقصم ظهر أعتى موجة.

وتعالوا معى نتأمل أحد نصوص المواجهة السعودية لموجات العهر الموسيقى التى مازالت تضرب بأطرافها شواطئ المملكة، وللشيخ الجزائرى أيضاً، حيث يقول نائحاً: (وما من شك أن الذى جنى على أمة الإسلام هم أبناؤها المنحرفون عنها حيث نصبوا أنفسهم فى بلادهم دعاة للغرب ولرزائله، وشروره ومفاسده، وبدون أجر ولا شعور أحياناً، وبأجر وشعور وقصد أحياناً أخرى).

ومن بين هؤلاء الدعاة [1] «مقنع عكاظ» و«متظاهر الرائد» واللذان حدوا بنا لكتابة هذه السطور فى بيان الطريق لهما، حيث وقف المقنع يشكك ويغالط ويضلل ووقف على جريدة عكاظ الفيحاء يولول ويقول: أفتونا أيُها العلماء فى الغناء، أحلال هو أم حرام. والمقنع والمتظاهر لقبان لشخصيتين مجهولتين لا تعرف لهما فى الخارج اسماً ولا شخصاً ولما كانا يطعنان الإسلام بالدعوة إلى التحلل والفساد بوسطة تحليل الزمر والغناء تستراً بهذين اللقبين ليخفى أمرهما حتى لا يلْعنا ويُطردا على أيدى الصالحين منا).

---

(١) عكاظ جريدة تصدر فى مكة، والرائد جريدة تصدر فى جده.

ثم يتباكى الجزائرى على انحلال الأمة وانجرافها إلى سماع الأغانى فيقول: وأصبح حال تلك العائلات الطاهرة والأسر الشريفة أن يتهادى أفرادها الأغانى (الخليعة والأصوات الماجنة الفاتنة، فلانة تهدى أختها أو حبيبتها فلانة أغنية (....) للمغنى فلان، وفلان يهدى أخاه أو أخته أغنية (...) وما إلى ذلك.

ثم يقول متباكياً: آه ثم آه.. وما أجدرنا بالندب والصراخ، وإسلاماه! واديناه! واقلة أنصاراه.

ثم يبدأ فى الرد قائلاً: وليأخذ المقنع ما يطلبه من النصوص فى تحريم فاحشة الغناء والزمر التى لم يختلف صالحان اليوم أو قبل اليوم فى تحريمها أبداً.

قال تعالى: (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليُضل عن سبيل الله بغير علم) قال مجاهد: لهو الحديث: الاستماع إلى الغناء، وإلى مثله من الباطل)، بيد أن المقنع يقول: إن هذا مقيد بكونه يضل عن سبيل الله، وما دام المستمع أو المغنى لايضل عن سبيل الله فلا محذور إذاً. فنقول له:

أولاً: إن الإضلال عن سبيل الله نتيجة طبيعية للغناء والسماع.

ثانياً: فهل الغناء يهدى بطبعه إلى سبيل الله ويدعو إليه؟ ومتى كان لايهدى فهو يضل، ومتى كان لايدعو فهو يصد. ثم هل عرف الناس طوال دهرهم ثمرة للغناء وسماعه سوى ما يصيب به قلوب أهله من قسوة، وأخلاقهم من التدهور والفساد، وأرواحهم من الخبث والتدسية، والعياذ بالله تعالى.

ثم يقول الشيخ: لقد ارتكبت أمة الإسلام بالأندلس ماحذر منه فاتخذت تلك الأمة

القينات والمعازف وأسرفت فى ذلك إلى حد أن أصبحت الدور والبساتين توقف على الموسيقى، وأصبح المرضى يعالجون فى المستشفيات بالزمر والغناء، فحل بهم بلاء استأصل شأفتهم «وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».

على أساس هذه الكليات والقواعد العامة فى الشريعة الإسلامية جاء حكم الغناء واللهو واللعب، فنصوص الكتاب والسنة العامة تحرم الغناء واللهو واللعب، لأن هذه صادة بطبعها عن سبيل الله، صارفة للمؤمن عن الحق، معرضة رشده إلى سفه لا ينبغى له، ولذا كان لا يتفق وكرامة المؤمن الانشغال بالغناء واللهو واللعب.

ومن تخلى من المؤمنين عن إمامته، ونزل من علياء كرامته فأسف واشتغل بالغناء واللهو واللعب فهو سفيه أحمق جاهل، لا يتردد المؤمنون فى تفسيقه وإسقاط عدالته وترك شهادته.

ولكن – والحمد لله – مع تحريم شريعتنا للغناء واللهو واللعب فقد رخصت فيها فى حالات خاصة، ومن ذلك الغناء والدف فى العرس والعيد، ولكن تحت قيود ثقيلة وشروط شديدة وهى:

١ – أن تكون عرسُ نكاح شرعى.

٢ – أن يكون الدف عبارة عن إطار غربال قد جعل عليه جلد فقط بحيث يخلو من الوتر، ومن أى شئ زائد عليه لقوله (ﷺ):

واضربوا عليه بالغربال. فنص على الآلة الخاصة، وهى الغربال، ولذا أتى بأداة التعريف للعهد أى: الغربال المعهود عندكم، حتى لايتناول غير النوع المعروف، ولو لم

يكن هذا مراداً لجاء التعبير هكذا «واضربوا عليه بغربال».

٣ - أن يكون الغناء بألفاظ خالية من الفحش والبذاءة، ومن الزور والباطل، وما بها من شائبة شرك ولا رائحة كفر أو هُجر.

٤ - أن يكون المغنى من النساء لا من الرجال لأن النساء هن المعروفات بالصوت والغناء، أما الرجل إذا تغنى فهو متشبه بالنساء ملعون على لسان محمد (ﷺ) لقوله: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء.

٥ - أن لايكون مع النساء المصوتات فى العرس رجال أجانب، لأن اختلاط الأجنبى بالنساء حرام ولأن سماع صوت الأجنبية بلذة حرام كذلك.

٦ - أن يضمن صاحب العرس نظافة الألفاظ التى تقال وطهارتها وأن يراقب كل ما قد يقال فى غناء العرس.

هذا وينبغى أن نعلم أن الذى شُرعت هذه الرخصة من أجله هدف سام، وأن الغرض منها غرض شريف. إنها كانت للفصل بين النكاح الحرام، والنكاح المباح الحلال. إنها أشبه برخصة أكل الميتة للمضطر إذ تلك أبقت على نفس مسلمة، وهذه أبقت على نفوس، وعلمت على صيانة أغراض، ومن أجل هذا شرعها وحث عليها رسول الله (ﷺ)(١).

وأول ما نكتشفه من خلال النص الوهابى المثير أن جريدة عكاظ وجريدة الرائد تجرأتا ونشرتا مقالات بأسماء مستعارة تطالب بفك إسار الملكة والسماح للموسيقى

(١) يمكن الرجوع فى هذا النص الكبير إلى كتاب الإعلام بأن العزف والغناء حرام. لأبى بكر جابر الجزائرى.

والغناء بأن يتواجدا فيها بشكل شرعى وليس كعمل مؤثم ومجرم ومن الممكن أن يودى بالأشخاص الممارسين له موارد التهلكة. أى أن السعودية وهى على مشارف الألف الثالثة بعد الميلاد تتواجد بها حركة سرية للمطالبة بممارسة فن الموسيقى والغناء، هذه هى ذروة ما تطمح إليه الحركة الاجتماعية والثقافية فى المملكة، هل يتصور أحد ذلك؟ والأعجب أن يقابل ذلك بصرخات وهابية هائلة تقول: واسلاماه وادينا‌ه! واقلة أنصاراه.. كما لو كان الإسلام ضد المشاعر والعذوبة التى تمنحها الموسيقى لبنى البشر، ثم لاحظوا معى استخدام الشيخ لتعبير: فاحشة الغناء، فالغناء عنده مجرد فاحشة وساءت سبيلاً.. ثم تأملوا معى استخدامهم العجيب للآيات القرآنية الكريمة وتفسيرها تفسيرات شاذة لتناسب وجهات نظرهم، فمن قال إن الآية الكريمة «ومن الناس من يشترى لهو الحديث لِيُضل عن سبيل الله بغير علم» لها علاقة بالموسيقى أو الغناء!

إن ابن حزم ينفى عن هذه الآية أن تكون فى الغناء، وقال إن نصها يشرح المراد منها فإن من يريد الإضلال عن سبيل الله واتخاذها هزوا كافر بإجماع المسلمين. وقال لو أن امرءاً اشترى مصحفاً ليضل عن سبيل الله لكان كافراً.

ثم يقدم لنا الشيخ الجزائرى تفسيره الوهابى لضياع دولة المسلمين فى الأندلس ونكتشف أنه الموسيقى! نعم الموسيقى التى أطاحت بملك المسلمين فى الأندلس، فقد تأصل فيهم حب الموسيقى ورقق مشاعرهم وجمل أذواقهم وانتشر فى دورهم وحدائقهم وانساب فى خلجات مشاعرهم حتى استأصل شأفتهم! وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم لاحظ أن الشيخ الوهابى اعتبر الموسيقى أو حكم الموسيقى داخل منظومة التأثيم الوهابية كحكم اللهو واللعب، فهى لا تزيد عنده عن نشاط عبثى

يتلهى به المرء عن ذكر الله، ولا يمارسه إلا السفهاء والخلعاء. وهو يقول عن الموسيقى ببساطة مروعة، إنها صارفة للمؤمن عن الحق، معرضة رشده إلى سفه وصادة بطبعها عن سبيل الله. وانطلاقاً من هذا الفهم فلا يتفق مع كرامة المؤمن الانشغال بها، ومن سقط إلى درك الاشتغال بها لا تجوز شهادته.

ويختتم الشيخ شهادته الوهابية فى شأن دنس الموسيقى وفاحشة الغناء، بأن السادة الوهابيين قد سمحوا ورخصوا للمسلمين بالسماع إلى الموسيقى والغناء - والعياذ بالله - فى حالات خاصة ووفق شروط غلاظ شداد أهمها:

أن تكون الآلة الموسيقية المستخدمة والوحيدة والشرعية هى الغربال وقد رخص فى استعمال هذه الآلة الموسيقية الشرعية الوحيدة فى حالة الزفاف وإعلان النكاح، ثم يصرح تصريحاً حاسماً أخيراً:

(إن السماح أو الترخيص بالغربال والغناء كان من أجل الفصل بين النكاح الحرام والنكاح الحلال، أى أنها رخصة أشبه برخصة أكل الميتة للمضطر) أى أن الترخيص بسماع الموسيقى كالتصريح بأكل الميتة للمضطر. هل يتصور أحد فى العالمين ذلك الإحساس الغليظ بالحياة والوجود والأحياء؟!

ولن أحاول الرد على ما يدعيه السادة الوهابيون على الإسلام بشأن الموسيقى والغناء، ولكن سأحيلهم إلى إمام جليل من أكابر علماء الإسلام وهو الإمام ابن حزم، الذى يقدم الصورة الوضاءة للإسلام والذى يوضح أنه لا تناقض على الإطلاق بين الإسلام وبين مشاعر الناس وأحاسيسهم. فالإسلام يمنح المسلم العزة والرجولة والعذوبة والإنسانية معاً. فالإسلام ليس دين الصرامة والجهامة والقتامة ولكنه دين التوازن بين

كل الفضائل الإنسانية، فهو يغمر المسلم بكل فيوض القوة والجمال والفضل فى نسيج متجانس متناغم كأنه سبيكة قدت من البأس والعذوبة معاً.

وانطلاقاً من هذا الفهم وهذا الإحساس الرفيع بالإسلام ناقش ابن حزم أدلة المبطلين والمحرمين للموسيقى والغناء وأوضح بطلانها، فيقول عن حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى (ﷺ) قال: إن الله حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها).

قال ابن حزم عن سند هذا الحديث: فيه من الرواة «ليث» وهو ضعيف، وسعيد بن رزين، وهو مجهول لايدرى من هو؟ عن أخيه! ما أدراك عن أخيه، هو ما يعرف وقد سمى، فكيف أخوه الذى لم يسم؟

وعن على بن أبى طالب قال رسول الله (ﷺ): إذا علمت أمتى خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء.. منهن «واتخذوا القينات والمعازف، فليتو قعوا عند ذلك ريحا حمراء ومسخا وخسفاً» قال ابن حزم فى رواة هذا الحديث: «لاحق بن الحسين» و«ضرار بن على» و«الحمصى» مجهولون. و«فرج ابن فضالة» متروك.

وعن معاوية قال: نهى رسول الله (ﷺ) عن تسع، وأنا أنهاكم عنهن الآن، فذكر فيهن الغناء والنوح» قال ابن حزم فى شأن هذا الحديث: فى رواته محمد بن المهاجر وهو ضعيف، وكيسان مجهول.

وروى أبو داود بسنده عن شيخ (!) عن ابن مسعود يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن الغناء نبت النفاق فى القلب» يقول ابن حزم عنه: الراوية عن شيخ عجب جداً! من هذا الشيخ؟!

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ):

«من جلس إلى قينة فسمع منها صب الله فى أذنيه الأنك يوم القيامة» والأنك هو الرصاص المذاب.

قال ابن حزم فى شأن هذا الحديث: هذا حديث موضوع فضيحة، ما عرف قط عن طريق أنس.

وعن مكحول عن عائشة قالت: قال رسول الله(ﷺ): «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه» قال ابن حزم: مكحول لم يلق عائشة، وهاشم وعمر الراويان مجاهيل.

وهناك حديث لا ندرى له طريقاً وهو «نهى رسول الله(ﷺ) عن صوتين ملعونين، صوت نائحة وصوت مغنية» وسنده لا شيء. وعن أبى أمامة: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن، وثمنهن حرام» وقد نزل تصديق ذلك فى كتاب الله وهو «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا»، والذى نفسى بيده ما رفع رجل قط عقيرته بغناء إلا ارتدفه شيطانان يضربان على صدره وظهره حتى يسكت» وقد نظر ابن حزم فى الراوة فوجدهم بين ضعيف ومتروك ومجهول.

ولعل أهم ما ورد فى هذا الباب ما رواه البخارى معلقاً عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: ليكونن من أمتى قوم يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف».

ومعلقات البخارى يؤخذ بها، لأنها فى الغالب متصلة الأسانيد، لكن ابن حزم

يقول: السند هنا منقطع، لم يتصل ما بين البخارى وصدقه بن خالد رواى الحديث.

نقول: لعل البخارى يقصد أجزاء الصورة كلها، أى جملة الحفل الذى يضم الخمر والغناء والفسوق، وهذا محرم بإجماع المسلمين. قال ابن حزم عن تحريم الغناء: لا يصح فى هذا الباب شىء أبدا، وكل ما ورد فيه موضوع، والله لو أسند جميعه أو واحد منه عن طريق الثقات إلى رسول الله (ﷺ) ما ترددنا فى الأخذ به)[١].

×××

ولا يمكن أن نتحدث عن عاصفة الجهالة القادمة إلينا من بادية الجزيرة دون التنوية وتوضيح ملمح غاية فى الخطورة من ملامح تلك العاصفة وهو نظرة السادة الوهابيين إلى غير المسلمين.

ولندخل فى الموضوع بشكل مباشر ونطالع معاً هذا النص الوهابى الخطير حول القضية. يقول النص: (فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالى أهلها ويعادى أعداءها، فيحب أهل التوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم. وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم من أصول العقيدة؛ حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة فى إذاعة عربية يقول عن النصارى «إنهم إخواننا» ويا لها من كلمة خطيرة)[٢].

ورغم صغر حجم النص السابق إلا أن به من الأخطاء المروعة فى فهم العقيدة الإسلامية الشىء الكثير، فأولا يعتبر الشيخ الفوزان أن بغض أهل الكتاب أو كل من

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ الغزالى ـ ص ٨٢ ، ٨٤.

(٢) الولاء والبراء ـ الشيخ فوزان الفوزان.

هو غير مسلم من أهم أصول العقيدة الإسلامية!! هل هناك تشوية لصورة الإسلام والمسلمين أكثر من ذلك؟ من قال إن الاسلام يأمرنا ببغض غير المسلمين، هناك الكثير والكثير من الآيات القرآنية التى تحضنا على حب البشر جميعاً واحترام الآخر غير المسلم وخاصة أهل الكتاب.

ثانياً: لاحظوا معى تضرر الشيخ الفوزان البالغ لأن أحد الدعاة المسلمين قال: «إن المسيحيين إخوننا» وأعتبرها الفوزان كلمة أو جملة مروعة لا يجب أن تقال، ولا أعلم هل ديننا السمح المفعم بالإنسانية يأمرنا أن نقول عن المسيحيين إنهم أعداؤنا أو مبغضونا، إن ديننا أمرنا بموالاة الحق والعدل ولم يأمرنا ببغض مخالفينا فى العقيدة.

وأخذت أسأل نفسى هل يجب علينا كمسلمين، وبناء على التوجهات الوهابية أو قواعدها الأصولية فى فهم الدين، أن نبغض جميع البشر ونكره جميع الأمم ونكن كل العداء لبنى الإنسان ونتبتل فى حب أنفسنا!! هل هذا الفهم البدوى الساذج يعبر عن سمو الإسلام ورفعة قيمه ونظرته الحانية لبنى البشر؟!

ثم يعدد الشيخ الفوزان مظاهر موالاة الكفار أو كل من هو غير مسلم:

١ـ التشبه بهم فى الملبس والكلام وغيرهما، فيحرم التشبه بالكفار، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب.. إلخ.

٢ـ السفر إلى بلادهم لغرض النزهة: فالسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة.

٣ـ إعانتهم ومناصرتهم: وهو يعتبر إعانتهم ومناصرتهم من نواقض الإسلام وأسباب الردة، نعوذ بالله من ذلك.

٤ـ الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب.

تصوروا معى لو طبقنا هذه التوجهات الوهابية فى حياتنا، فلا نسافر لبلاد غير المسلمين إلا للضرورة القصوى ولا نرتدى ملابسهم ولا نتحدث لغاتهم ولا نعينهم إذا ما أصابهم زلزال أو كارثة، بل وربما طالبنا السادة الوهابيون بتغطية وجوهنا عند رؤية الأوربيين كما كان يفعل الوهابيون زمن الملك عبد العزيز!!

أى علينا أن نخرج من العصر والعالم والحضارة باسم الإسلام! ويركز الشيخ الفوزان على إعانة غير المسلمين أو مناصرتهم ويعتبر ذلك من نواقض الإسلام ومن أسباب الردة، بمعنى أننا إذا أعنا دولة مثل الصين أو كوريا فى كارثة ألمت بهم أصبحنا كفاراً ومرتدين وخارجين عن ملة الإسلام ويقام علينا الحد!!

وتخيلوا معى لو أننا فى مصر قد طبقنا المنهج الوهابى فى نقطة عدم تولية غير المسلمين المناصب، إذن لوجب على الحكومة المصرية أن تقوم بطرد عشرات الآلاف من الموظفين الأقباط العاملين فى الدولة المصرية حتى نصبح «مسلمين» وإلا صرنا كفاراً خارجين عن الملة كما يزعم السادة الوهابيون.

ثم انظروا معى إلى الفهم المتعسف الذى يقدمه الشيخ الفوزان للآية الكريمة «والذين لا يشهدون الزور» «الفرقان٧٢»

فيقول عنها: (أى ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار)[1].

وقبل أن أترك نص الشيخ فوزان الفوزان أريد أن أعلق بشكل خاص على النقطة

(١) الولاء والبراء ـ موزان الفوزان.

التى أثارها الشيخ الوهابى وهى عدم نصرة غير المسلمين، فأقول إن الدارس للسيرة النبوية المطهرة وللقرآن الكريم يجد العكس تماماً، فالرسول الكريم عندما هاجر من مكة إلى المدينة وكتب الصحيفة التى تحدد قوانين الدولة الإسلامية الوليدة قرر لغير المسلمين - وهم هنا اليهود - حق النصرة والأسوة أى أن حقهم على المسلمين أن ينصروهم وأن يعاملوهم بالمساواة، هكذا بكل وضوح وحسم.

أما القرآن الكريم فنجد آياته الكريمة حاسمة وواضحة، حيث يقول الله عز وجل «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» (التوبة ٦)

فالآية الكريمة تطالب المسلم بنجدة الكافر، بل وأكثر من ذلك تطالبه أن يحرسه ويأمنه حتى يصل به إلى مكان أمين بالنسبة له.

فتاوى العثيمين فى غير المسلمين

أماالشيخ العثيمين فيقدم لنا مجموعة من الفتاوى العجيبة فى شأن غير المسلمين فى كتابه الضخم «فتاوى العقيدة». وتعالوا معنا نطالع بعض هذه الفتاوى: إن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله ويتبرأ منهم، وعلى هذا لا يحل لمسلم أن يقع فى قلبه محبة ومودة لأعداء الله الذين هم أعداء له فى الواقع.

أما كون المسلم يعاملهم بالرفق طمعاً فى إسلامهم فهذا لا بأس به. ولكن إذا يأس منهم عاملهم بما يستحقون أن يعاملهم به. وهذا مفصل فى كتب أهل العلم ولا سيما كتاب «أحكام أهل الذمة» لابن القيم.

ثم يقول: لاشك أن الذى يوادّ الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرماً عظيماً فإن يود المسلم أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم وحرام عليه، بل لا يجوز أن يودهم ولو أقل من المسلمين ولا ينبغى أبداً أن يثق المؤمن بغير المؤمن مهما أظهر من المودة)[١].

تصوروا لو أن حكومة مصر فى يوم من الأيام تبنت هذا الفهم، لأصبح واجب عليها شرعاً بغض الأقباط والتبرؤ منهم لأن السادة الوهابيين أفتوا بذلك بناء على فتاوى ابن القيم. ولنلغى عقولنا ونلغى إحساسنا الراقى بالإسلام طالما قد أفتى ابن القيم بذلك منذ مئات السنين.

وتستمر معاول الشيخ العثيمين فى فصم وبتر عرى المودة بين المسلمين وأهل الكتاب فيقول: ومخالطة غير المسلمين فى أعيادهم محرمة، لما فى ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان، وقد قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية فإن مشاركتهم فيها تقتضى إقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من كفر، وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق، مثل أن تهنئهم بأعيادهم وصومهم: فيقول قائل: عيد مبارك عليك ونحو ذلك، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب)[٢].

وهكذا تنمر فتاوى العثيمين لتحول المسلمين إلى أمة كارهة للبشر رافضة

(١) فتاوى العقيدة – ص ٢٢٦ : ٢٢٩ .
(٢) فتاوى العقيدة – ص ٧٣

للتواصل والتحارب مع كل الشعوب والأمم غير الإسلامية. فلا مجال عند السادة الوهابيين لإظهار أى مشاعر طيبة تجاه غير المسلمين ولا مجال لأن تنمو فى قلب أى مسلم أى مساحة أوواحة حب تجاه غير المسلمين، فقد تكبر هذه المساحة وتورق مشاعر جانية تخرج المسلم من إسلامه كما يخرج السهم من الرمية والعياذ بالله!!

فالشيخ يعتبر مخالطة المسلمين لغير المسلمين فى أعيادهم إعانة على الإثم والعدوان! من أى نبع غليظ قد خرجت هذه الفتوى؟! هل يعقل أن مشاركة البشر المسلمين وغيرهم من البشر غير المسلمين فى أعيادهم تعاون على الإثم والعدوان؟! هل التعاطف البشرى سَوْءَة خلقية أو جريمة شرعية، إن رسولنا الكريم يخبرنا أن غانية دخلت الجنة لتعاطفها مع قطة، مجرد قطة، أشربتها شربة ماء. ولكن السادة الوهابيين يفتوننا اليوم بأن تعاطفنا مع غيرنا من البشر وليس القطط تعاون على الإثم والعدوان، إن السادة الوهابيين يعلموننا أنه كلما زادت قدرة المسلم على إفراز القساوة والغلظة، كلما تصلدت مشاعره وجفت ينابيع رحمته وإشفاقه، زادت مساحة إيمانه وارتفعت قامته الأخلاقية ورفرفت من حوله الملائكة.

وانظروا إلى حجة الشيخ العثيمين فى تحريم مخالطة غير المسلمين فى أعيادهم بأن ذلك يعتبر إقراراً من المسلمين على ديانات الآخرين! من قال ذلك؟!

إن أى طفل يعلم بإحساسه الفطرى أن مشاركة أفراد من أى دين لأفراد من دين آخر فى أعيادهم لا يعنى على الإطلاق أن أياً من الطرفين يقر الآخر على دينه، ولكنها السماحة الدينية والجمال الخلقى لا أكثر ولا أقل.

بل إننى أعتقد أنه كلما زادت قدرة المسلم على أن يضوع محبة وحناناً لكل من

حوله من مسلمين وغير مسلمين وكل الكائنات التى خلقها الله عز وجل كلما كان ذلك دليلاً على أن رسالة الإسلام الحقيقية قد غمرت روحه وكيانه.

ولكن الشيخ العثيمين لا يكتفى بتحريم مخالطة غير المسلمين فى أعيادهم أو تهنئتهم بهذه الأعياد فقط، ولكنه يروعنا بقوله: (التهنئة بأعياد غير المسلمين أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام)[1].

لا أعرف ماذا يمكننى أن أقول تعليقاً على هذا القول المروع، هل يمكن أن يتصور أحدكم الشر والسوء الذى يمكن أن يسكبه هذا القول فى قلوب المسلمين، كأنه زرع فى تلك القلوب سيوفاً وتروساً وجهامة وعبوساً تكفى لوأد أى إشراق حقيقى فى نفس المسلم ومشاعره.

لا تضحك من الكافر

وتستمر معاول الشيخ العثيمين بلا هوادة تحطم وتدمر كل أسس التعامل الكريم والأخلاقى بين المسلم وغير المسلم، فيفتينا قائلاً:

البدء بالسلام على غير المسلمين محرم ولا يجوز، لأن النبى (ﷺ) قال: لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم فى الطريق فاضطروهم إلى أضيقة» ولكنهم إذا سلموا وجب علينا أن نرد عليهم.

وكان اليهود يسلمون على النبى (ﷺ) فيقولون (السامُ عليك يا محمد) والسام بمعنى الموت، فقال النبى (ﷺ): إن اليهود يقولون: السام عليكم، فإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم).

---

(١) فتاوى العقيدة – ص ٢٤٦ .

فإذا سلم غير المسلم وقال: السام عليكم، فإننا نقول: وعليكم. ولا يجوز كذلك أن يُبدأوا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها لأن فى ذلك إكرام لهم وتعظيم لهم، ومن المعلوم أن المسلمين أعلى مكانة عند الله عز وجل فلا ينبغى أن يذلوا أنفسهم لغير المسلمين فيبدأوهم بالسلام)[١].

ثم يقول (وإذا مد الكافر يده إليك للمصافحة فمد يدك وإلا فلا تبدأه، وأما خدمته بإعطائه الشاى وهو على الكرسى فمكروه، لكن ضع الفنجال على (الماصة) ولا حرج)[٢].

أما قول: «يا أخى» لغير المسلم فهذا حرام، وأما قول «صديق، رفيق» ونحوهما فإن كانت كلمة عابرة يقصد بها نداء من جهل اسمه منهم فهذا لا بأس به، وإن قصد بها معناها تودداً وتقرباً منهم، فكل كلمات التلطف التى يُقصد بها المودة لا يجوز للمؤمن أن يخاطب بها أحداً من غير المسلمين وكذلك الضحك إليهم حرام)[٣].

وعندما نبدأ فى التعامل مع هذا النص الوهابى يجب أن نوضح أن الرسول(ﷺ) عندما أمر المسلمين بألا يبدأوا اليهود والنصارى بالتحية وتضييق الطريق عليهم، كان يحاول بث العزة والاعتداد بالنفس فى نفوس المسلمين المستذلين والمهانين فى بداية البعثة النبوية، لأنهم كانوا الجانب الأضعف، ومعظمهم من العبيد والموالى والصبيان، فلا يجب أن يخرج هذا التوجيه عن إطاره والظروف التى أملته، لأن التوجيه الإلهى فى القرآن الكريم وتوجيه الرسول (ﷺ) فى سنته وسيرته تؤكد العكس تماماً.

(١) فتاوى العقيددة ـ ص ٢٣١.
(٢) فتاوى العقيدة ـ ص ٢٣٧.
(٣) فتاوى العقيدة ـ ص ٢٥٣.

ثم ما هى حكاية السام عليكم هذه!! التى يطالبنا الشيخ العثيمين أن نتداولها فى معاملة اليهود والنصارى اليوم. وأسأل وأقول: مَنْ من اليهود أو المسيحيين اليوم سمع عن كلمة السام أو يعرف معناها حتى يستخدمها ضد المسلمين أو لإهانة المسلمين أو للدعاء عليهم حتى يحذرنا الشيخ ويلفت نظرنا إلى استخدام غير المسلمين لها وبالتالى يجب أن نكون فى أقصى درجات اليقظة حتى نرد بالمثل؟ ما يحدثنا ويحذرنا منه الشيخ جزء من الماضى، له ظروفه وإطاره، والألفاظ المستخدمة فيه مهجورة اليوم ولم يسمع بها لا المسلمون ولا غير المسلمين ولِمَ يرجعها الشيخ اليوم إلى الحياة ويسمم بها حياة المسلمين وغير المسلمين؟

ويستمر الشيخ العثيمين فى مخطط إشعال الفتنة، عن قصد أو عن جهل، فيحذر المسلمين حتى من قول عبارة أهلاً وسهلاً وما أشبهها لغير المسلمين لأن فى ذلك إكراماً لهم. كأنما الإسلام يدعونا إلى إهانة وتحقير غير المسلمين من بنى البشر!!

ويصل الأمر بالشيخ العثيمين إلى أن يهتم بأدق التفاصيل، بأقل حركة، بأقل همسة، حتى حركة مد اليد للسلام، ومنع المسلم من مد يده بالسلام أولا لغير المسلم ولم ينس الشيخ حالة إعطاء المسلم الشاى لغير المسلم وهو جالس على كرسى (غير المسلم) واعتبرها من المكروهات. ثم هو لم ينس تقديم الفتوى فى تلك اللحظة الهائلة، حتى يوضح للمسلمين كيف يتصرفون فى تلك الداهية حتى لا يبوأوا بالخسران العظيم وهكذا أفتى سيادته بأن المسلم إذا أضطر إلى إعطاء غير المسلم الشاى وغير المسلم جالس، وضع المسلم الشاى على الماصة حتى ينجو المسلم بنفسه من لحظة الانكسار العقائدى!

ويستمر الشيخ فى مطاردة أى لحظة محبة أو مودة بين المسلم وغير المسلم، فيطادر أى لفظ مفعم بالمحبة والألفة قد يتسلل فى غفلة عن العيون والوهابية اليقظة ليطأ أى مساحة من نفس غير المسلمين، وهكذا وجدنا الشيخ يقوم بعمل مسح شامل للكلمات المحتمل استخدامها، وحدد جداول بالكلمات التى يجوز أو لا يجوز استخدامها مع الكائن الغير مسلم. وقرر سيادته أن كلمة «أخى» لا يجوز استخدامها معهم على الإطلاق، أما كلمة صديق أو رفيق - المستخدمتان فى السعودية - فجائزة إذا كانتا مجرد كلمة عابرة يقصد بها النداء فقط.

ويحذر الشيخ ويقول متنمراً، أما استخدام هذه الكلمات بقصد التلطف والتودد إلى غير المسلمين فحرام.

ولم ينس الشيخ أثناء مطاردته لكل لحظات التواصل بين المسلمين وغير المسلمين الضحك! نعم الضحك. فقد يكتشف المسلمون أن مساحة الضحك لم تغطها الفتاوى الوهابية وبالتالى فقد يمرحوا - والعياذ بالله - ويضحكوا مع غير المسلمين ويضيع كل الجهد الوهابى فى بتر وتسميم العلاقة بين المسلمين والبشر. ومن أجل هذا غطى الشيخ العثيمين مساحة تلك الثغرة وأفتى بعدم جواز ضحك المسلم مع غير المسلم.

وتستمر حركة الشيخ النشطة لقطع دابر العلاقات الإنسانية بين المسلمين وسائر البشر فلا زالت هناك مساحات من التواصل يجب بترها واجتثاثها، وهكذا وجدنا الشيخ يفتى قائلاً:

(لا يجوز الذهاب إلى أحد من الكفار عند قدومه للتهنئة بوصوله والسلام عليه ويستدرك قائلاً: وأما ذهاب النبى لليهودى الذى كان مريضاً، فإن اليهودى كان غلاماً يخدم النبى (ﷺ) فلما مرض عاده النبى (ﷺ) ليعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه

فأسلم، فأين هذا الذى يعوده ليعرض عليه الإسلام من شخص زار قساً ليهنئه بسلامة الوصول ويرفع من معنوياته، لا يمكن أن يقيس هذا على ذاك إلا جاهل، أو صاحب هوى)(١).

من يقرأ النص الوهابى يتصور أن الشيخ قد أخذ يستحضر كل صور التعامل بين البشر ويسترجعها ويراجعها ويتفحصها ويضعها تحت مجهره الوهابى حتى لا تفلت لحظة حميمة.. لحظة دافئة قد تقرب بين المسلمين وغير المسلمين، هنا يدخل مقص الرقيب الوهابى على حياة المسلمين ويقص تلك اللحظة بعملية مونتاج كئيبة، حتى يبقى الشريط الخاص بحياة كل مسلم مفعماً بالكآبة والجهامة المقدسة، فسيادته يمنع المسلم من زيارة غير المسلم وتهنئته بسلامة الوصول، فهذه مودة مرفوضة وهابياً، فأين الغلظة والفظاظة والجهامة التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم وهابى.

ولكن الشيخ يعلم من كتب السيرة المعتمدة، أن الرسول الكريم قد زار غلاماً يهودياً كان يقوم على خدمته، لاحظوا مدى روعة السلوك الفاضل والجميل من النبى الكريم الذى لا يتحرج من أن يعود غلاماً يهودياً يعمل فى خدمته، ولكن الشيخ يؤكد أن تلك الزيارة من النبى (ﷺ) لخادمه الصغير أنما كانت بهدف عرض الإسلام عليه، ومن الواضح أن ما يقوله الشيخ عن أن سبب الزيارة عرض الإسلام على الغلام غير صحيح، فالغلام مع الرسول (ﷺ) طوال الوقت ويمكنه أن يعرض عليه الإسلام فى أى لحظة، ولكن الحقيقة أن الرسول الكريم ذهب بكل بساطة ورقة ودماثة ليعود الغلام ولكن الشيخ يريد أن يطمس جمال تلك اللحظة المورقة بالإنسانية والعذوبة ويحول زيارة الرسول الكريم إلى زيارة عمل، ولولا هذا الهدف ما تمت تلك الزيارة النبيلة!

(١) فتاوى العقيدة - ص ٢٥٤ .

أى تشويه لسيرة الرسول أكثر من ذلك، لماذا نريد تجفيف منابع الجمال فى ديننا الحنيف، لصالح رؤية تقطر دمامة وقتامة وإحساساً فظاً بالحياة.

نجاسة غير المسلمين معنوية

ثم ينتقل الشيخ العثيمين إلى مساحة تماس جديدة بين المسلمين وغير المسلمين ويعمل بكل همه على إفسادها، وهكذا نراه يفتى سيادته قائلاً:

لايجوز للمسلم أن يعمل مع الكفار (غير المسلمين) فإذا لم يتيسر، فلا حرج عليه لأنه فى عمله وهم فى عملهم، ولكن بشرط أن لايكون فى قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة، وأن يلتزم ما جاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورد السلام ونحو هذا. وكذلك أيضا لايشيع جنائزهم ولايحضرها، ولايشهد أعيادهم، ولايهنئهم بها.[1]

لو أننا فى مصر طبقنا هذا الفهم الوهابى لكان لزاماً على الدولة إبعاد الأقباط عن كل مواطن عمل المسلمين وإلزامهم بالعمل مع أنفسهم، وبذلك تخلق أمتين أو شعبين داخل مصر، وبالطبع لا مجال لعملهم فى الجيش أو البوليس، فالجيش هو جيش المسلمين وليس جيش المصريين والشرطة هى شرطة المسلمين وليست شرطة المصريين، وعلى مصر السلام، ويجب أن ننتبه إلى أنه إذا اضطرتنا الظروف إلى تعيين بعض الأقباط وأضطرتنا إلى مزاملتهم، فعلينا ألا نكن لهم فى قلوبنا أى مودة، هكذا أمرنا السادة الوهابيون، ولا نضحك معهم ولانزورهم ولانشاركهم أعيادهم أو أفراحهم أو أتراحهم ولا نشيع موتاهم، أى نتجاهل وجودهم تماماً أو نعتبرهم غير موجودين أصلاً حتى يكتمل إسلامنا الوهابى. ويختتم الشيخ العثيمين فتاواه حول غير المسلمين بلفت

(١) فتاوى العقيدة ـ ص ٢٥٥.

نظرنا إلى مسألة مهمة جداً، وهى أن نجاسة غير المسلمين معنوية لاحسية، وعلى هذا أباح لنا الأكل من أكل مسه غير المسلمين فقد قال (الأكل مما مسته الكفار - غير المسلمين - جائز، لأن نجاسة غير المسلم معنوية لا حسية)(١).

ونشكر الشيخ الذى سمح للعين المسلمة أن ترى غير المسلمين، واليد المسلمة أن تمس أيد ى غير المسلمين، وتأكيده لنا أن المعدة المسلمة لن تتنجس بطعام صنعت أيدى غير المسلمين، فالنجاسة فى قلوبهم وأرواحهم وبالتالى لن تتسلل إلينا والعياذ بالله.

وبعد هذا السيل من الفتاوى قرت عيون السادة الوهابيين وأطمأنوا إلى تخليقهم نوعاً من المسلمين المضادين للحياة والحضارة والتعامل السوى مع الأحياء، ولكن لم تقر عيون المسلمين الذين يعلمون أن ديننا السمح لم يأمر بهذا، وأن نصوص قرآننا العظيم تكرم الإنسان بإطلاق وتشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد كرم بنى آدم - هكذا على الإطلاق - قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) {الإسراء ٧٠}، وقال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم){التين} وقال تعالى: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) {الأعراف١١} وأبلغهم أنه سبحانه قد استخلف الإنسان عنه فى الأرض بقوله تعالى: (وإذ قال ربك إنى جاعل فى الأرض خليفة) {البقرة٣٠}.

وهذه النصوص هى الأساس الذى بنى عليه الفقهاء مختلف اجتهاداتهم التى كان

---

(١) السابق - ص ٢٥٧ .

إعلاء كرامة الإنسان محورها ومدارها، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن الحفاظ على كرامة الإنسان - أيا كان - هو من المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، بحيث يعد المساس بهذه الكرامة انتهاكاً لهذه المقاصد وعدوانا على حق من حقوق الله.

وفى هذا السياق تلفت أنظارنا فتوى هامة وعميقة الدلالة، ذكرها ابن عابدين فى حاشيته، خلاصتها، أنه تنازع اثنان طفلاً، وكان أحدهما مسلماً والآخر ذمياً، وادعى المسلم أن الطفل ملك له (عبد أو رقيق)، بينما أدعى الذمى أنه ابن له. فحكم لصالح الذمى، لأن تنشئة الطفل على الحرية وإن كان على غير دين الإسلام أفضل من تنشئته على العبودية وإن كان على دين الإسلام، إذ إن حرية المرء وكرامته ترتبطان بإنسانيته، فتسبقان دينه وتتقدمان عليه[1].

الأصل: أن غير المسلم لا حرمة له!

وينتقل بنا السادة الوهابيون إلى مساحة جديدة لتشويه دين المسلمين، لنكتشف من خلال نصوصهم أن غير المسلم عندهم لا يكافئ المسلم أمام قانونهم الوهابى، فالأصل - كما يقول د. المداخلى - أن الكافر لا حرمة له، ويكتسب الذمى والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين، ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء، فأى عدالة هذه التى تسوى بين التوحيد والشرك والإيمان والكفر والنجاسة والطهر[2].

ثم يقول: إن المسلم ليس كالكافر فى شئ أصلاً ولا يساويه فى شئ، فإذا هو

---

(١) راجع مقال فهمى هويدى - مجلة العربى - يوليو ١٩٨٧ .
(٢) الرد على الغزالى - د. المداخلى - ص ١٠٥ - ١١١ .

كذلك، فباطل أن يكافىء دمه بدمه، أو عضوه بعضوه، أو بشرته ببشرته، فبطل أن يستقاد للكافر من المؤمن أو يقتص له منه فيما دون النفس إذ لا مساواة بينهما أصلاً.

إذن فغير المسلم لاحرمة له ابتداء عند السادة الوهابيين ولكنهم أكسبوه حرمة محدودة لأنه قد أصبح فى ذمتهم الوهابية بينما مبدأ[١] المساواة الذى تقرره الشريعة الإسلامية للناس كافة ليس خاضعاً لأى استثناء، ذلك أن أساس هذا المبدأ أو علته هى وحدة الأصل الإنسانى (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)، «وكلكم لآدم وآدم من تراب» أما «التقوى» التى تشير النصوص إلى تفاضل الناس بها فلا تأثير لها على تطبيق مبدأ المساواة فى حياة الناس، ذلك أن محل التفاضل بالتقوى فى الآخرة لا فى الدنيا، أمام الله لابين الناس.

وقد وجه الله جل جلاله عتاباً إلى نبيه، لأن عاطفته اتجهت نحو أحد المسلمين من الأنصار، وكاد يحكم لصالحه ضد خصم له يهودى، كان مظلوما، فيما يذكر ابن كثير فى تفسيره، ولكن النبى (ﷺ) اهتدى إلى الحق فى اللحظة المناسبة، وبرأ اليهودى فنزلت الآيات (١٠٥ - ١١٣) من سورة النساء، التى ذكر فيها الله سبحانه وتعالى بأنه قد أنزل على نبيه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله، وأن يكون للخائنين خصيماً، وأن يستغفر الله الغفور الرحيم، وأن لايجادل عن الذى يختانون أنفسهم، فالله لايحب من كان خواناً أثيماً، وأن بعض الناس يخفون بعض أمورهم عن الناس، والله يعلم أقوالهم وأعمالهم، وأن المقترف إذا وجد فى الدنيا من يجادل عنه فإنه لن يجد فى يوم الحساب ذلك، ثم يبين الله لنبيه بأنه لولا فضله تعالى عليه لهمت طائفة منهم أن يضلوا النبى وماهم بقادرين بفضل الله[٢].

(١) فى النظام السياسى للدولة الإسلامية - محمد سليم العوا - ص ٢٤٣.
(٢) فهمى هويدى - العربى - يوليو ١٩٨٧.

ومن المعلوم أن الفقيه الكبير أبا حنيفة قد رفض اعتماد حديث روى عن الرسول (ﷺ) يقول: (لايقتل مسلم فى كافر) واعتبره غير صحيح مع صحة سنده لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآنى (النفس بالنفس) وقوله تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله) هكذا يكون الفقه المستنير الذى يرتبط بمقاصد الشارع العظيم أو بالمنطلقات الكبرى للإسلام، ولا يغرق فى تفاصيل تحول بينه وبين المنطلقات الأساسية وتقطع الصلة بينه وبين الكيان الروحى العميق للدين.

الفصل الأخير

العاصفة الوهابية
تخترق
كيان مصر الروحي

لقد رسمت عبر الكتاب كله ملامح العاصفة السعودية العاتية التى تهب علينا والتى اخترقت التربة الثقافية والعقيدية لمصر، عبر عشرات الآلاف من الكتب وأشرطة الكاسيت والفيديو، وعبر المال السعودى الذى اخترق كل مؤسساتنا الثقافية والدينية والإعلامية، وعبر الجماعات الدينية المصرية التى عاشت سنوات وسنوات هناك ثم عادت محملة بالمال والفكر البدوى، وعبر عشرات من دور النشر المصرية الممولة بمال سعودى تغمر أسواق مصر بالآلاف من المطبوعات الوهابية الأنيقة والرخيصة، وعبر أكثر من عشرين مليون مصرى عملوا فى السعودية لفترة طالت أو قصرت منذ أواخر الستينيات وحتى اليوم، منهم المئات من أساتذة الجامعات وعشرات الآلاف من المدرسين الذين درسوا المذهب الوهابى والتاريخ الوهابى والفقه الوهابى كجزء من عملهم هناك، ثم عادوا إلى مصر ليضخوا كل ذلك فى عقول مئات الآلاف من طلبة الجامعات والمدارس من الإسكندرية لأسوان ولسنوات طوال.

بل ووصلت الهيمنة السعودية إلى أن أصبحت الجرائد والمجلات المصرية تغلق بأوامر تصدر من الرياض، كما حدث مع جريد صوت العرب عام ١٩٨٩ ومع جريدة مصر الفتاة عام ١٩٩٣. وكما تصدر الأوامر بغلق الصحف تصدر الفتاوى بإهدار الدم والارتداد، كما حدث مع نجيب محفوظ والدكتور نصر حامد أبو زيد أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة والفنان الشاب منصور محمد مخرج المسرحية الشهيرة «اللعبة» التى أدان فيها السلوك المعيب للسعودية فى حرب الخليج فصرخ السفير السعودى فى القاهرة بالاحتجاج، وثانى يوم بدأ خطباء المساجد فى القاهرة المُعزِّية يكفرون المخرج ويهدرون دمه وانبرى وزير الثقافة المصرى ليجامل ويعاقب المخرج المصرى الشاب فأخذ قراراً بمحوه

من الحياة الفنية وذلك بإصداره أمراً بمنع التعامل معه فنياً حتى مات المخرج الشاب موتاً حقيقياً وغادر الحياة بعد صدور هذه الفتاوى والفرمانات بعدة أشهر.

وإذا كان السادة الوهابيون سيطروا على جامعاتنا ومدارسنا وأجهزة إعلامنا فإنهم لم يكتفوا بكل ذلك، بل قرروا اقتحام بيوتنا ومنازلنا قسراً وغمرها بفكرهم الوهابى وفق مخطط واضح ومحدد، فبيوت الأقباط ترسل إليها كتب أمثال الولاء والبراء فى الإسلام التى تلعن المسيحيين وتسئ إليهم أبلغ الإساءات وأشرطة من نوعية «أسرار الكنيسة» التى تضخها وكالة إعلامية سعودية تسمى نفسها دار التقوى!

أما بيوت المسلمين المصريين فترسل إليها كتب من نوع آخر أمثال رسالة «مالا عين رأتش وسنترك الحديث عن هذه النقطة للأستاذ فهمى هويدى أحد أبرز الأسماء التى تدعو لمشروع (إسلامى) سياسى، ورغم ذلك هاله ما يحدث من اختراق سعودى للبيئة الثقافية والعقيدية المصرية حيث قال: (وجدت الأمر داعياً إلى القلق ومستحقاً أن يؤخذ مأخذ الجد، حيث الأمر فى ظنى أجل من أن يستقبل بمجرد الضحك أو البكاء، وعندى من الأخبار ما لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أما «ما عين رأت» فهو عنوان رسالة طالعتها فى (الأسبوع الماضى) ضمن مجموعة من المطبوعات من الجنس ذاته، توزع على البيوت وتتداولها الأسر فى القاهرة، والرسالة وضعها واحد من الدراويش فى المملكة العربية السعودية اسمه محمد علوى المالكى قدم نفسه بأنه «خادم العلم الشريف بالحرمين الشريفين» وقد انبنت الرسالة كلها على خليط من التأويلات الفاسدة والشطحات والإسرائيليات. ولا مجال

لعرض نماذج أخرى مشابهة ولكننا لا نبالغ إذا قلنا بأن ثمة خطاباً يتبنى المنطلقات ذاتها يروج له، ليس فى مصر وحدها، ولكن فى أقطار عربية عديدة).

ثم يقول الأستاذ فهمى هويدى: والتطور الجدير بالملاحظة أن أمثال تلك الكتب لا تعرض فقط على عامة الناس من خلال منافذ التوزيع المشهورة على أرصفة الشوارع، ولكنها. فيما أعلم - تدرس فى حلقات تقام فى العديد من مساجد وبيوت المدن الكبرى وفى مقدمتها القاهرة والإسكندرية، ومن ثم فهى تعد أحد عناصر وعى جديد يتشكل لدى قطاعات لا يستهان بها من المشاركين فى تلك الندوات رجالاً كانوا أم نساء، وعى يبتسر الدين ويفرغه من مضمونه ويحوله إلى خواء مقطوع بالدنيا، يدغدغ مشاعر الناس أحيانا، ويشغلهم دائما بما هو، فى أحسن فروضه، فكر سقيم وعلم لا ينفع)[1].

والأخطر من كل ذلك أن أخطر وأهم مؤسساتنا الدينية وهو الأزهر الشريف قد تم اختراقه والسيطرة عليه من خلال المعونات والهبات المالية الضخمة حتى أصبح علماء الأزهر مجرد دعاة وهابيين يروجون لفكر السعودية البدوى ويخرجون كل عام المئات من الخريجين المصريين الوهابيين الذين يعينون فى كل المدارس والمساجد التابعة للأزهر فى كل مدن وقرى مصر ليغمروها بالفكر الوهابى الذى أشعل الفتنة فى كل ربوع الدولة.

أيها السادة المسئولون عن هذا البلد، هناك انقلاب ثقافى وعقيدى هائل يحدث فى البلد المسئولون أنتم عن أمنه وعرضه ودينه. المسألة ليست فى وجود جماعات مسلحة تطلق الرصاص هنا وهناك فقط، ولكن الأخطر من ذلك أن عقائد الناس وثقافته

(١) فهمى هويدى - إفرازات الإسلام « العشوائى » - الأهرام ٩٣/٧/٢٠.

وتوجهاتهم العقلية والسلوكية تصاغ صياغة جديدة وبإصرار ولسنوات طويلة وبزخم مالى هائل، إن مئات الألوف من الشباب نمت وشبت على فكر الوهابيين من خلال أساتذتهم ومدرسيهم وشيوخ المساجد فى قراهم ومدنهم وأحيائهم، ثم جاءت الجامعات لتبلور ذلك وتصنع له الركائز العقلية الزائفة.

ياسادة.. إن معرض الكتاب الذى يقام كل عام هو مجرد معرض الكتاب الوهابى الذى أقامه ويقيمه مشايخ النفط كل عام ليغمر مصر بأحدث كتب «صحيح التطرف» و«صحيح التحجر الفكرى» وصحيح الفهم الطفولى لعقائد المسلمين التى إما طبعت فى السعودية أو طبعت فى مصر بأموال سعودية. ياسادة إن كتب الفكر الوهابى غمرت مصر من أقصاها إلى أقصاها ولسنوات طوال حيث نشأت أجيال متتابعة من الشباب وهى لا تجد أمامها زاداً دينياً إلا هذا الفكر، فهو موجود على الأرصفة والمكتبات العامة، ومكتبات المدارس ومكتبات المساجد ومكتبات الجامعات حتى تصوروا أنه يمثل عين الإسلام وصحيح الدين، أما كتب علماء الأزهر التى تمثل الرؤية المستنيرة للإسلام لمشايخ وعلماء الأزهر الكبار كالشيخ شلتوت والإمام أبو زهرة والشيخ رشيد رضا والدكتور محمد البهى وغيرهم قد حجبت عن السوق تماماً وأصبحت الساحة الدينية المصرية خلوا على كتب السادة الوهابيين فقط.

أما علماء الأزهر الحاليين فقد استسلموا لكل ذلك وتركوا الساحة العقائدية لعربدة السادة الوهابيين الفكرية وتركوا قيادة المسلمين الروحية لهم.

ياسادة..السعودية تفعل بنا كل ذلك ولا يرتفع فى مصر المحروسة صوت يكشف حقيقة الدولة السعودية وحقيقة الدور السعودى، السادة الصحفيون والإعلاميون الكبار

يتساءلون فى براءة عن منابع الإرهاب والفكر المتطرف ثم بعد ذلك يحزمون حقائبهم ليحجون ويتلقون البركة فى مؤتمر الجندارية وأسواق عكاظ السعودية[١].

ياسادة.. السعودية بدأت تمد يدها إلى كتب العقيدة الإسلامية التى تدرس فى الأزهر منذ مئات السنين والتى تمثل صحيح العقيدة كما ارتضتها جماهير المسلمين طوال عشرات القرون لتعيد صياغتها وتصبها فى قالب وهابى حتى كادت تضيع ملامح الإسلام الحقيقية أمام الصورة والملامح الوهابية التى بدأت تشكل وعى المسلمين بالإسلام، وخير مثال على ذلك ما حدث لأهم المتون الدينية التى تدرس فى الأزهر الشريف والتى تمثل الكتاب العمدة الذى يتعلم منه طلبة الأزهر أصول العقيدة الإسلامية وهو كتاب «العقيدة الطحاوية»، فقد أعاد صياغته وهابياً مفتى الوهابية الأكبر الشيخ عبد العزيز بن باز، ثم لخص ويباع بقروش زهيدة على كل أرصفة الشوارع فى مصر.

وسأحاول بشكل سريع توضيح ما فعله السادة الوهابيون بهذا الكتاب الخطير الشأن.

يبدأ الشيخ بن باز هجومه من أول لحظة، فعندما يبدأ الإمام الطحاوى كتابه قائلا: نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، فيعلق بن باز قائلاً: اعلم (أى يا طحاوى ويا كل مسلم) أن التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة هم، توحيد الربوبية وهو التوحيد الذى أقر به المشركون عبّاد الأوثان ولم يدخلهم فى الإسلام، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. ويشرح أفكار السادة الوهابيين التى شرحتها فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب حول هذه النقطة. وخلاصة الأمر أن الشيخ بن باز يريد أن يقحم على الكتاب أفكار

(١) استثنى من ذلك كتيبة الكتاب التقدميين : أمثال د.محمد رضا محرم ود.محمد أبو الإسعاد.. وغيرهما.

السادة الوهابيين أو شراكهم وفخاخهم (الإيمانية) التى يريدون بها الإيقاع بالمسلمين فى مصيدة التكفير كما سبق أن أوضحت.

ويعلق الشيخ ابن باز على قول الإمام الطحاوى: وتعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) يعلق ابن باز على ذلك قائلا: هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد (لاحظ أنه يعتبر تأويل النص الدينى إلحاداً) - وليس لهم بذلك حجة لأن مراد الطحاوى تنزيه البارى سبحانه عن مشابهة المخلوقات لكنه أتى بعبارة مجملة.

ويبدأ ابن باز مهاجمة من ينكر صفات الله كاليد والوجه والقدم ويكفر كل من أنكر ذلك، أى يكفر كل المصريين والمسلمين فى العالم، ويكفّر الطحاوى نفسه لأن مدرسة الأزهر الدينية تؤول كل هذه الصفات تأويلا يتناسب مع جلال الله ومع الآية الكريمة ﴿ليس كمثله شئ﴾.

ثم يصل الشيخ ابن باز إلى أهم نقطة فى المعتقدات الوهابية والتى يريد أن يفرضها على النص وهى فكرة الفوقية، فالسادة الوهابيون يعتبرون مسألة الفوقية حجر الزاوية فى مذهبهم وهى تعنى أن الله عز وجل له (مكان) فوق عباده ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر، بينما الطحاوى وكل المسلمين يعتقدون أن الله خارج إطار الفوقية والتحتية وأنه جل جلاله فى كل الوجود، ومن أجل ذلك يقحم ابن باز فكرة الفوقية على النص ويقول (قول الطحاوى «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» مراده الجهات الست المخلوقة وليس مراده نفى علو الله واستوائه على

عرشه، لأن ذلك ليس داخلاً فى الجهات الست، بل هو فوق العالم ومحيط به وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه فى جهة العلو فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارئ الكريم واعلم أنه الحق وما سواه باطل)[١].

ومن الواضح أن الطحاوى فى العبارة السابقة لم يشر إلى مسألة الفوقية لا بالتأييد أو الرفض، بل إن كتاب العقيدة الطحاوية كله لا يشير من قريب أو بعيد إلى قضية الفوقية التى ابتدعها السادة الوهابيون وأرادوا فرضها على المسلمين وعقائدهم.

وعندما يقول الإمام الطحاوى: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) ينبرى الشيخ ابن باز لمحاولة اغتيال هذه السماحة التى ربطت بين الخروج من الإيمان وجحود وإنكار ما آمن به المسلم ودون إعداد شراك خداعية توقعه فى المحظور والكفر، فيسرع الشيخ ابن باز ويقول معلقاً (يخرج العبد من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بيّنها أهل العلم فى باب حكم المرتد، من ذلك طعنه فى الإسلام أو فى النبى أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه أو بشئ من شرعه. ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستعانة بهم وطلبه المدد والعون ونحو ذلك لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق الله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول لا إله إلا الله وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم وهى ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة وهناك مسائل

(١) العقيدة الطحاوية - شرح ابن باز - ص ٨ .

أخـــرى كثيرة يكفـر بها المسـلم وهـى لا تسمى جحوداً وقد ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد فراجعها أيها القارىء)[١]

ونعلق على ما قاله الإمام الطحاوى (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيـه)، وعلى تعليق الشيخ بن باز قائلين: إن تلك العبارة التى قالها الإمام الطحاوى والتى استفزت الشيخ بن باز توضح الفرق بين الروح العامة السائدة فى كتاب «العقيدة الطحاوية» والتى تتميز بالاعتدال والتوازن وبين الروح العامة السائدة عند السادة الوهابيين والتى تتميز بالغلظة والشدة والرغبة فى تأثيم المسلمين، فقد اعتبر الشيخ بن باز أن عبارة الإمام الطحاوى قصارة وفيها نظر، فإذا كان الطحاوى يعتبر ببســاطة أن المؤمن من آمن بالله وبرسوله وبكتـابه وملائكتـه ورسله ويخـرج من دائرة الإيمان من يجحد شيئاً من ذلك فإن الشيخ بن باز لا ترضيه هذه السماحة وهذه البساطة وهذا الاعتدال، فيفرد على الفور مظلة التكفير على كتاب «العقيدة الطحاوية» ويعدد الكثير والكثير من طرائق تكفير المسلمين التى ابتدعها السادة الوهابيون غير مسألة الجحـود التى ذكـرها الطحـاوى، ويلفت النظر إلى أن عبـادة الأوثان تخـرج المسلم من الإسلام كما لو كان المسلمون يعبدونها سراً مثلاً، وأن كل مسلم يحتفظ فى داره بتمثال للات أو العزى صنع فى تايوان أو هونج كونج خصيصاً لعبدة الأوثان المسلمين. وبالطبع الشيخ بن باز يعتبر أن كل أنواع الصور والتماثيل الموجودة عند أى مسلم أوثاناً معبودة أبتداءً من صور الزعماء لصور الأصدقاء لصور الآباء والأمهات، ويستمر الشيخ بن باز فى تعداد طرائق الوهابيين المعهودة فى تكفير المسلمين حتى يصيغ كتاب الطحاوى صياغة وهابية معتمدة.

(١) المرجع السابق ـ ص ١٣.

وعندما يقول الإمام الطحاوى: (والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان) يعلق بن باز قائلاً: (هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة).

وبالمناسبة هذا ليس كلام المرجئة ولكنه كلام المسلمين كلهم فى كل الدنيا وفى كل العصور، وربط الإسلام بالعمل كما يفعل السادة الوهابيون اليوم شىء بالغ الخطورة لأنه يفتح باب التكفير على مصراعيه ويجعل المسلمين فى موقف المطاردة اليومية، لحظة بلحظة من أجل التأكد من إسلامهم (الوهابى).

ولكن ماذا يمثل كتاب العقيدة الطحاوية ولماذا أصر السادة الوهابيون على إفساده؟ العقيدة الطحاوية ومؤلفات الأشعرى والماتريدى فى علم الكلام تمثل الحل الوسط الذى ارتضاه المسلمون منذ أكثر من ألف عام فضاً للاشتباك بين تيار العقل وتيار النقل أو بين التيار الذى مال ناحية العقل فى تعامله مع النص الدينى والتيار الذى انحاز إلى التفسير الظاهرى للنص وألغى دور العقل فى التعامل مع النص، فظهر الثلاثة الكبار السابق ذكرهم وأرسوا دعائم هذه المدرسة المعتدلة التى توازن بين العقل والنص بحيث لا يجور طرف على آخر، وهذه المدرسة المعتدلة التى تقبلتها جماهير المسلمين فى كل مكان لا تكفر المسلمين على جزئيات خلافية لا تؤثر على جوهر العقيدة الإسلامية، فالاختلاف فى صفات الله وأسمائه ليس جزءاً من العقيدة ونزول الله كل مساء إلى السماء الدنيا ليس جزءاً من العقيدة. واستمراراً لهذا النهج المعتدل الرشيد فلا ربط بين إسلام المرء وعمله، وبالطبع كل ذلك أقض مضاجع السادة الوهابيين

فانهالوا إفسادا وتدميراً لأهم إفرازات هذه المدرسة المعتدلة وهو كتاب العقيدة الطحاوية.

ولم يكتف السادة السعوديون باختراق الأزهر ومؤسساته وجامعة الأزهر والكتب التي تدرس فيها، بل امتد نشاطهم واختراقاتهم لكافة الجمعيات الدينية الرسمية وغير الرسمية، وإليكم عينة من هذه الاختراقات: من أشهر الجمعيات الدينية (الرسمية) المصرية «جماعة أنصار السنة المحمدية) التي تأسست عام ١٩٢٦، والتي تستقطب الآلاف المؤلفة من المسلمين. فقد نشرت في مجلتها الشهرية «التوحيد» في عدد ربيع الآخر ١٤١٤ بكل فخر واعتزاز صفحتين مزدانتين بالزخرفة والنقوش وفي أروع إخراج خطابين من المملكة العربية السعودية.

هذا نص الخطاب الأول:

إلي من يهمه الأمر

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

بخصوص مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية في جمهورية مصر العربية - هي مجلة إسلامية تنشر العقيدة الصحيحة وتدعو إلي الأخلاق الفاضلة وتحذر من البدع وسائر الأمور المخالفة للشرع المطهر، فهي جديرة بالدعم والمساعدة والاشتراك فيها حتي تستمر في جهادها المبارك في نشر الحق والفضيلة.. ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه إنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

والخطاب السعودى الثانى :

المكرم الأستاذ / صفوت الشوادفى المحترم

رئيس تحرير مجلة التوحيد

القاهرة - ٨ شارع قوله . عابدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نظراً لما تقوم به مجلة التوحيد من دور فعال نحو أداء رسالتها التى تكرسها لخدمة الإسلام والمسلمين وانطلاقاً من حرص المملكة العربية السعودية فى دعم وتشجيع المطبوعات الهادفة ذات الطابع الإسلامى الواضح. أود الإحاطة بموافقة وزارة الإعلام على الاشتراك فى المجلة اعتباراً من ١٤١٤/١/١٥ هـ بواقع ٥٠٠ نسخة من كل عدد

وكيل وزارة الإعلام المساعد

للإعلام الخارجى

د. شهاب محمد مكى جمجوم

١٤١٤/١/١٥هـ

والعجيب أن الجمعية الموقرة تتباهى بنشر الخطابين وتنشر شكر الجمعية لحكومة خادم الحرمين الذى يقترب من لغة الخدم مع السادة ونصه:

أسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية داعية الله عز وجل أن يوفق القائمين عليها لما فيه نصر الإسلام ورفعة المسلمين فى ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين. وفقه الله لما فيه خير البلاد والعباد.

ومن الواضح من نشر الخطابات المتبادلة على صفحات المجلة الموقرة أن الصفقة قد تمت، بدليل أن نفس هذا العدد من المجلة يباع للقراء المصريين بالإضافة إلى كتاب كامل من تأليف الشيخ محمد صفوت نور الدين رئيس الجمعية، بمبلغ خمسين قرشاً مصرياً فقط لا غير (الكتاب + المجلة).

وهذا يثبت أن المسألة ليست مسألة شراء خمسمائة نسخة فقط، والدفع بالدولار، وإلا فكيف تقدم المجلة للقراء كتاباً كاملاً هدية بلا مقابل مع المجلة، ومن دفع ثمنه؟ بالطبع السعودية والدليل على ذلك أن الكتاب من أول صفحة لآخر صفحة. والمسمى «موقف أهل الإحسان من صفات الرحمن» - مسخر للدفاع والترويج للتصور الوهابى لله عز وجل وهو يناقض التصور الذى يفهمه المسلمون فى مصر والعالم الإسلامى كله والذى سبق توضيحه فى كتابنا هذا.

وبالإضافة إلى كل هذه الاختراقات السعودية للبنية الثقافية والعقيدية المصرية تم زرع كوكبة من الدعاة المصريين الوهابيين فى تربة الوطن بعد استنباتهم وصياغتهم وهابياً ثم تصديرهم إلينا ليخرجونا من هويتنا الدينية والثقافية، ولعل أبرز وأخطر

هؤلاء الدعاة البتروليين الشيخ الشعراوى الذى صدرته السعودية إلينا بعد عشرين عاماً أقامها هناك، وذلك بعد هزيمة مشروع عبد الناصر للتحضر والنهضة، عاد الشيخ الوهابى لينطلق من خلال المذيعين البتروليين أمثال السيد أحمد فراج، وليبدأ فى الترويج للفكر الوهابى لمدة عشرين عاماً متتالية لعب فيها دوراً بالغ الخطورة فى إحداث ردة ثقافية شملت جماهير واسعة من الشعب المصرى والشعب العربى كله.

وتحركت الكتيبة الوهابية فى كل مكان، فقطاع تزعَّم حركة توظيف الأموال وإضفاء الشرعية الدينية عليها أمثال الدكتور عبد الصبور شاهين وصحبه، وقطاع تفرغ لإخراج الكتب التى تعيد صياغة ديننا صياغة وهابية كالدكتور يوسف القرضاوى، والذى يلعب دوراً مريباً ما بين مصر والإمارات واليمن والسعودية، فهو الداعية الوهابى المتنقل لأكثر من عشرين عاما بين عواصم تلك الدول.

وقطاع تفرغ لإحداث الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط مثل دكتور كلية الزراعة عمر بن الكافى، هذا بالإضافة إلى الفرع النسائى للكتيبة الذى تعتبر السيدة كريمان حمزة مذيعة التليفزيون أهم أقطابه، والمعروفة بعلاقاتها الخاصة بالسعودية ودول النفط السعيدة، والتى تقوم بتأليف الكتب الموجهة لنساء مصر (المشركات) لتهديهم إلى الإسلام النفطى بالإضافة إلى مهمتها الأساسية فى إطلاق الدعاة الوهابيين من برامجها الدينية البريئة.

وابتكرت جائزة فيصل السخية جداً التى تقدم للحلفاء والأتباع الوهابيين، فتمنح مثلا للكاتب المصرى أحمد محمد شاكر الذى اسم أحد مؤلفاته «وجوب قتل مدمن الخمر».

وفي النهاية نستطيع أن نقول إن السعودية لم تصدر التطرف والإرهاب إلي مصر وديار المسلمين فقط، ولكنها مع كل أسف قد أحدثت ما هو أفظع وأشد خطورة من ذلك، فقد أحدثت من خلال فكرها الوهابي ونجاحها في الترويج له ردة كاملة في مجال الفكر الإسلامي فبعد أن استطاعت كوكبة رائعة من مشايخنا الكبار أمثال جمال الدين الأفغاني ورفاعة الطهطاوي والإمام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا إحداث حركة دينية مستنيرة تروج للعقل وتقدم دليله، ثم تبعهم جيل آخر رائع من علمائنا الكبار أمثال الشيخ شلتوت والدكتور البهي والشيخ محمد عبدالله دراز والشيخ أبو زهرة الذين تابعوا المسيرة وحاولوا إنماء التيار العقلي والدفع به إلي قيادة الأزهر والحركة الدينية كلها في مصر والعالم الإسلامي بأسره، جاءت العاصفة الوهابية الكاسحة، بكل عتوها، وبكل الزخم المالي النفطي لتطيح بكل إنجازات هذا التيار المستنير، وتصيغ الأزهر وكل مؤسساتنا الدينية صياغة وهابية منكرة للعقل ومطاردة إياه في كل ركن كان حصيناً في بيئتنا الثقافية والدينية.

مارس ١٩٩٤

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب